سيرة اللذة والجنس
في مصر

سيرة اللذة والجنس
في مصر

د. ياسر ثابت

الطبعة الأولى ، القاهرة 2017

غلاف : حسين جبيل

رقم الإيداع : 2016/ 26499

I.S.B.N: 978-977-488-488-7



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557 – 01147633268

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

سيرة اللذة والجنس
في مصر

د.ياسر ثابت



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

هذا كتابٌ عن الظمأ.

ظمأ الجسد، وجوعه، وطرائق إشباعه أو "تحريره" عند رجال ونساء من الحاضر والماضي، عبر أقوال أثارت جدلًا وأفعال أحدثت زلزالًا في مجتمعات حائرة بين دين الفضيلة وديناميت الرغبات الجامحة.

هنا تطالع تفاصيل صادمة عن الفعل الفاضح في مجتمعاتنا، وأشكال الثورة الجنسية التي تشهدها بلادنا، ووقائع التلصص واختلاس اللذة عبر تسريب تسجيلات حميمة أو خاصة لمشاهير أو ذوي نفوذ. وبوسع القارئ رصد تطور التناول السينمائي لمشاهد الجنس والإغراء في أفلامنا الروائية، وإن شئت، فأنت على موعد مع صفحاتٍ من تراثنا العربي الذي يزخر بكتاباتٍ جريئة عن الجسد ورغباته وطرق إشباعها التي تفوق خيالك.

وبينما طرقنا باب تلك العلاقة الشائكة بين الدين والجسد، عبر قصصٍ ونماذج معاصرة حاضرة في الأذهان، فإننا خصصنا في الكتاب مبحثـًا طويلًا عن قضية اجتماعية مؤرقة، هي التحرش الجنسي، الذي ينفجر في وجوهنا بين الفينة والأخرى كأي قنبلة موقوتة في مجتمع يعاني من أزمات تتراوح بين انفلاتٍ أخلاقي حينـًا وغياب الردع الأمني وربما القانوني حينـًا آخر.. وما بينهما نظرة مشوهة

للمرأة وأحكام مغلوطة ونمطية عليها استنادًا إلى المظهر أو طبيعة العمل أو حتى اعتبارات الزمان والمكان.

كل هذا الشبق الذي نراه في شوارعنا ومكاتبنا ومتاجرنا، فضلًا عما يجري في الخفاء، يبدو لنا مسألة بحاجة إلى مزيد من البحث والفهم والاستقراء، لكي نعرف موقعنا في تلك القضايا، وندرك مواطن الضعف ونستدرك الأمر قبل أن يستفحل، أو نقبل بالواقع بدلًا من أن ننكره. وهذا هو شأن الأمم الحية والمجتمعات التي لا تتخلى عن وعيها، حتى وهي تقترب من القضايا المسكوت عنها لسببٍ أو لآخر.

دينا، بديعة مصابني، إيناس الدغيدي، ميا خليفة، زينة، أحمد عز، سعيد صالح، سعيد طرابيك، محمد عبدالوهاب، عبدالفتاح القصري، صلاح جاهين. هؤلاء وغيرهم صنعوا مادة هذا الكتاب الذين بين أيديكم.

الأسماء كثيرة وشهيرة، والوقائع مثيرة، مع حرصٍ واجب على تقصي التفاصيل والتحقق من دقتها ونسبتها إلى مصادرها إن لزم الأمر.

نتناول في الكتاب حكايات أولئك الذين تشبثوا بصارية الحلم والحب، وتناسوا الفارق في العمر، وصنعوا قوارب الهوى ليبحروا فيها ما شاء لهم الغرام. تجارب بعضها نموذجٌ للنجاح، وبعضها الآخر

مناديل وداعٍ وألمٍ وغياب.

سيرة اللذة هنا هي أيضـــاً هي مسيرة الفراشات التي تندفع مجذوبة لبريق النار فيكون من نصيبها الاحتراق.. موجة إثر موجة.

صفحة الختام، ستخبرك بأن الذي يحِبُّ، سيعشق حتى التجاعيد، ويكتب عن ملاحة خطوط الزمن، ورقة دروب الجمال على الوجه المضيء واليدين المتوضئتين بالحنان.

في كل الأحوال، فإن الغرام هو قطارٌ وقوده حزمة اللحظات المتقدة بين عاشقين قررا التخلي في اندفاعتهما عن محطات الوقوف وشروط الأمان.

محبرة الكلام هنا تخط كلماتٍ بسيطة وسلسة تحاول كسر الرتابة بالرشاقة، مع حرصٍ على أن تصف كل شيء بأعلى قدر من الفهم للسياق المجتمعي والعادات والتقاليد الحاكمة، التي تجعل من ضبط الألفاظ مهمة صعبة تقتضيها الضرورة.

يمكن أن تتأرجح الآراء بعد مطالعة الكتاب ما بين دعم مقولة فرويد "إن البشر ظواهر جنسية"، وتأييد رأي إيريك فروم، الذي أخذ الحُبّ بما فيه من حميمية جسدية، إلى مُرتقى أسمى وأبقى هو "الحُبّ المُنتج" – على حد تعبيره.

تكثر الأسئلة مع اقتراب النهايات. تطاردك تساؤلات حائرة عن ثقوب في سماء العلاقات الإنسانية والحميمة أو مواقف الشخصيات، وتتنوع علامات الاستفهام في أنماط مختلفة بعضها مباشر فج والآخر يتوارى في خجل. كلما زحفت إلى الخلف دُر بحثـًا عن إجابة للأسئلة اللا منتهية، زادت حيرتك.

هناك أصواتٌ ستحذركم من أن تلك العلاقات الحسية والجسدية، مثل بقعة دمٍ متخثرة على الإبهام، توشك أن تلوث نقاء الثوب. أصوات أخرى ستهتف بكم: لا تجعلوا خوفكم من "الذئب" يصرفكم عن التفكير في حريتكم.

وفي بلادنا، البعض يموتُ بالحُبِّ الذي لم يقله، والكلمات التي دسها في جيوب النسيان.

غير أنه يلزم القول إن هؤلاء الذين يحكون نصف الحكاية، متجاهلين عمدًا نصفها الآخر، هم القتلة الحقيقيون.

من التناقض المريع في مجتمعاتنا أننا نجد بعضهم يرفض أن يتدخل أحدٌ في حياته، في حين يسمح لنفسه باقتحام حياة الآخرين وإعطاء الحق لنفسه في استباحة الحياة الخاصة للآخرين. نحن أمام مرض اجتماعي يتفشى بضراوة ولا بدَّ من إيقافه والتصدي له من أجل أن نحيا في مجتمع غير مشوه، يرفض التربص والتلصص.

في الوقت نفسه، فإن بعض ما يجري في الظلال يفوق في أهميته ومدى خطورته مهرجانات الأضواء. من هنا يأتي دور الرصد والتحليل والاستقراء، حتى لا نبقى أسرى تغييب الحقائق وتهميش الوقائع، التي تلمسنا في حياتنا المعيشة بدرجةٍ تفوق تقديراتنا.. وحساباتنا.

أتمنى لكم قراءة مفيدة وممتعة.

ياسر ثابت

القاهرة

11 نوفمبر 2016

الثورة الجنسية في مصر

البعض يبحث عن الحرية الجنسية.. البعض الآخر يصنعها. فريقٌ ثالث، يعارضها ويتحفظ على هذا الانفجار الجنسي الذي يصعب السيطرة عليه.

في مصر، يبدو الجنس هاجساً لدى كثيرين، يركلهم بقوة ويزيح بقسوة أولويات وغرائز أخرى، فارضاً نفسه في مجتمع يصعب تبرئته من تهمة الذكورية والتباهي بالقدرات والرغبات.. والغزوات.

عندما تطرق د.جمال حمدان في كتابه «شخصية مصر» إلى خصوبة المصريين كتب:

«.. وما قاله المؤرخون العرب في العصور الوسطى لا يختلف كثيرًا عما يقوله كُتاب اليوم، فالمقريزي في القرن الرابع عشر قال: (ورجالهم يتخذون نساء عدة، وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال، وهم منهمكون في الجماع، ورجالهم كثيرو النسل ونساؤهم سريعات الحمل)[1]. أما الباحث الأميركي وليام فوغت William Vogt فقال ساخرًا: «إن لعبة الجنس هي الرياضة الوطنية للمصريين»[2].

الكاتبة الطبيبة د.نوال السعداوي، ببساطة، من النوع الذي أحدث ثقبــًا في منطاد الجمود.اقتحمت المحظورات وكسرت قارورة الجنس والسياسة والدين[3].

في أجزاء السّيرة الذّاتية الثّلاثة "أوراقي.. حياتي" (صدر الجزء الأول عن دار الهلال، القاهرة، 1995؛ ثم أصدرت الأجزاء الثلاثة: مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2006)، تتبنى د.نوال السعداوي أسلوب الصراحة الصادمة.. فهي محاطة منذ طفولتها بأحاديث وحكايات وإرث زاخر بالجنس والعلاقة بين المرأة والرجل.

---

[1] د.جمال حمدان، شخصية مصر: عبقرية المكان، 4 أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013.

[2] William Vogt, Stuart I. Freeman (Illustrator), Bernard M. Baruch (Introduction), Road to Survival, New York: William Sloane Associates, 1948.

[3] د.ياسر ثابت، كتاب الرغبة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.

"جسمي يشعر بالتعب فأغمض عينَي وأتمدد فوق الأرض وأنام، أفتح عينَي، أرى النجوم وصوت ستي الحاجة لا يزال يحكي عن ليلة الدخلة، الدم كان ينزف من بين فخذيها، فضت الداية بكارتها بإصبعها المدبب، حملتها الحمارة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، أغرق الدم بردعة الحمارة وهي تسير من خلفها الطبول. في بيت العريس رقدت فوق الحصير تنكمش داخل جلبابها الجديد المزركش ببقع الدم. جاء العريس ناداها بصوتٍ غليظ: قومي يا بت حضّري العشا. تأخرت في النهوض، فانهالت عليها العصا الخيزران التي يقود بها حمارته" (ج 1: ص21).

الدم هنا ألم وأنوثة.. عذاب واستسلام..

"تلك الليلة كانت ستي الحاجة في العاشرة من العمر، لم يدركها الحيض بعد، وقد جثمت فوقها وهي تدس الطرحة في فمها تكتم الصراخ. لم يكن للعروس أن تصرخ وإلا لسعتها الخيزرانة، أو ألسنة الجيران، فلا يعود لها أو لأبيها وجهٌ في القرية" (ج 1: ص 22).

في محيط العائلة كانت الأمنية المستحيلة أن تصبح الفتاة ولدًا..

و"ترفع عمتي رقية كفها نحو السماء تدعو الله أن يقلبني ولدًا. أسمعها تقول: ربنا قادر على كل شيء.. وترد عليها ستي الحاجة: من بقك لباب السما يا بنتي".

"كنت أتطلع نحو السماء بعينين أن يكون باب السماء مفتوحاً وأن الدعوة سوف تنطلق من فم عمتي مباشرة إلى أذن الله، وأني سأصحو في الصباح لأجد الشق (أو الفرج) بين فخذي مسدودًا وقد نبت مكانه العضو الذي عند أخي.

"في الصباح أدخل الحمام أختلس النظر إلى جسدي. لا أستطيع النظر بين ساقَي، أخشى أن تتسع المسافة بينهما أكثر من اللازم، لا أقوى على النظر إلى تلك المنطقة المحوطة بالخزي والخوف والخشية من قدرة الله"(ج 1: ص 33–34).

لا تخشى نوال السعداوي سرد آلام تجربة الختان المفزعة التي تعرضت لها. وفي سن الصبا تزداد المسافة اتساعـــاً بين عالمي المرأة والرجل.

"كنت أشد الحمالات من فوق كتفي، أكشف صدري وبطني للهواء والشمس. ترتفع يد خالتي نعمات في الهواء وتضربني، وصوتها يخرق أذني: عيب! وأصرخ: اشمعنى طلعت! يعود إليّ صوتها مثل نعيق البوم: هو ولد وأنتي بنت!

"كانت هذه العبارة تخرق أذني منذ ولدت، تدخل فمي في مياه البحر المالح.. "هو ولد وأنتي بنت" (ج 1: ص 49).

ثم تضيف قائلة:

"أخي يكشف صدره للهواء والشمس وأنا أخفي صدري.. صدري عورة تستوجب الإخفاء. كلمة "عورة" تخرق أذني مثل المسمار" (ج 1: ص 49–50).

***

لم تكن نوال السعداوي الوحيدة التي أحدثت ثقبـًا في جدار الصمت..في عام 1995، نشر ياسر أيوب كتابـًا مهمـًا حمل عنوان "الانفجار الجنسي في مصر" عن دار سفنكس، القاهرة. في الكتاب الضخم (545 صفحة)، يرصد الكاتب الطبيب ملامح مصرية منذ الفترة السابقة لثورة 23 يوليو من أول 1952 وتحديدًا من أيام الملك فاروق حتى تسعينيات القرن العشرين، ليوضح أن ما حدث في المجتمع المصري من هوس في هذا الباب انفجار بمعنى الكلمة لسعار الجنس.

يرى ياسر أيوب أن حالات التحرش والاغتصاب ليست جرائم جنسية، لكنها جرائم جنائية انتقامية يرتكبها الجاني الذي حُرِم فرصة حقيقية عادلة فيصب جام غضبه وإحباطه من المجتمع والنظام في ضحيته.

وفي تقديره أن التحرش والاغتصاب ليس نتيجة الكبت الجنسي أو تأخر سن الزواج، بدليل أن معدلات الاغتصاب في أوروبا وأميركا تفوق المعدلات المصرية رغم ما في الغرب من حرية جنسية

كاملة. ويضيف أن معدلات الطلاق في مصر وصلت إلى 60% بعد العام الأول للزواج منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين. وتشير إحصائيات مركز البحوث الجنائية والاجتماعية إلى أن الطلاق في جميع الحالات يرجع إلى التنافر الجنسي وذلك بسبب غياب الثقافة الجنسية. ويقول إن الثقافة الجنسية لابد من تدريسها في المدارس والتدرج في المحتوى من الابتدائي إلى الثانوي.

***

أما د.خالد منتصر، فقد وضع عدة كتب حول الحب والجنس، منها "حقائق وأوهام عن الجنس" (دار أجيال، القاهرة، 2010) و"الختان والعنف ضد المرأة" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007)، وتتلخص رؤيته في أن معظمنا يتعامل مع الجنس على أنه أداة تلقيح وماكينة إنجاب ومفرخة تناسل، ورغم أن الجنس لقاء لا لقاح، فإننا مازلنا نغفل بدهيات هذا اللقاء وآدابه، ورغم أن شعرنا العربي يؤكد أنه كلام فسلام فلقاء، فإننا مازلنا ننكر الكلام والسلام واللقاء ونقتحم باب الجنس بدون استئذان أو تمهيد.

يقول منتصر: اللقاء له إتيكيت إنساني، واللقاح له غريزة حيوانية. فنحن نفترق عن الحيوان أننا لا نملك مواعيد محددة للجماع أو ما يطلق عليه في علم الحيوان موسم التلاقح، وهي مواسم منضبطة جدًا يتجه فيها ذكور القطيع أوتوماتيكياً إلى

الإناث ويتم الجماع والسفاد والإخصاب. اللقاء يعني مواجهة، في الجنس ننفرد ونتميز عن الحيوانات بأننا نرى ملامح بعضنا البعض أثناء الجنس، الرفيق يرى الفرحة ويراقب البهجة ويحس النشوة فتنتقل إليه كهرباء التفاعل الجنسي، ومن الممكن أن يلاحظ ألمًا وصدودًا وهجرانًا بل وتمثيلًا. فيفهم أنه راسب في اختبار الحب، وعليه أن يطور أدواته الإنسانية، ويعدل من مفاهيمه الجنسية، ويفهم أنه يلتقي ولا يلقح ويعي أنه يضع بذرة المحبة قبل أن يضع بذرة الإخصاب.

يشرح خالد منتصر وجهة نظره بالقول إن الجنس له ثلاث وظائف "الإنجاب، المتعة، الصلة بمعنى إقامة علاقة حب" وليس لقاء أجساد في غرف مغلقة.. بل هو "لقاء ثقافات مسبقة"، ويتابع: الوظيفة الثالثة للجنس، وهي الحميمية وإقامة علاقة الحب وهي للأسف ليست موجودة عندنا فهناك علاقات كثيرة في البيوت المصرية تحولت إلى اغتصاب مقنن بورقة" – في إشارة منه إلى الزواج.

***

وفي أكتوبر 2015، فتحت تصريحات الكاتبة الصحفية منى الطحاوي، للتليفزيون الفرنسي، بابـًا للجدل والنقاش على نطاق واسع، وتحول الموضوع المثار إلى رقم واحد على قائمة الأكثر تداولًا على تويتر بهاشتاغ #الثورة_الجنسية.

منى الطحاوي نادت بما أسمته "ثورة جنسية" في الشرق الأوسط، مؤكدة أن العالم يحتاج هذه الثورة في الوقت الراهن لتحرير المرأة من العنف، على حد قولها. وقالت الطحاوي، خلال لقائها في برنامج "حوار" عبر قناة "فرانس 24":

"إن الدولة تمارس العنف الجنسي ضد المرأة من خلال قانون فحص العذرية للفتاة".

واستكملت: "لازم الثورة الجنسية تبقى مع البحث عن لقمة العيش". وأكدت أن المرأة تريد إسقاط النظام في المنزل والشارع، وأن كتابها بعنوان "الحجاب وغشاء البكارة" جاء لأن العالم الإسلامي وصل لمرحلة النظر إلى الأنثى حسبما هو أعلى رأسها، وإلى ما بين فخذيها، مضيفة أنه بعد تنحي الرئيس الأسبق حسني مبارك حدثت فحوص العذرية على عدد من المتظاهرات، وأنه كان واضحاً ممارسة الدولة للعنف الجنسي ضد المرأة.

تحب منى استفزاز المجتمع، خاصة في هذه المرحلة المليئة بالثورات، وهي توضح أن العرب بدأوا ثورة ولكنها سياسية، وأنها كامرأة تعلم جيدًا أن هناك مبارك في الشرع، ومبارك في المنزل، في إشارة إلى الرئيس المصري الأسبق.

وأردفت أنه "مستحيل أن نصل إلى الحرية السياسية بدون الثورة الجنسية؛ لأن المرأة نصف المجتمع، وليست أقلية، والثورة الجنسية مهمة كلقمة العيش، وجسد المرأة ملكها فقط، ويجب أن نحارب الختان، والاغتصاب الزوجي، والعنف الجنسي بالشارع، ومن حق المرأة البالغة أن تختار ممارسة الجنس مع أي شخص داخل أو خارج الزواج، ومثلي أو غير مثلي".

كلام منى الطحاوي أثار دوامة من الجدل.

البعض اعتبر ذلك ثورة جديدة على الإسلام، في حين تساءل آخرون: هل انتهينا من الربيع العربي من أجل الثورة الجنسية، وسخر العديد من المغردين من منى الطحاوي، فقال أحد المغردين:

"دي طبعـــًا البديل عن ثورة العيش والحرية والكرامة الإنسانية"، وأضاف آخر: "من الواضح من شكل وهيئة منى الطحاوي، أنها تعاني كبتـــًا شديدًا، فاقترحت هذه الثورة، لعل وعسى"!

وتابع ثالث: "هناك فارق بين الحرية والإباحية.. أصحاب العقول الصغيرة هم فقط من يعتقدون أن الحرية عبارة عن فرصة لممارسة أشكال الجنس"!

***

لم تكن منى الطحاوي وحدها التي تسبح ضد التيار وتنادي بثورة جنسية في مصر.

الفنانة انتصار أثارت بدورها حالة واسعة من الجدل بعد تصريحاتها الساخنة حول الجنس في برنامج "نفسنة" الذي قدمته على قناة "القاهرة والناس" مع كل من شيماء سيف وهيدي كرم.

في الحلقة الأولى من البرنامج في مطلع أكتوبر 2015، توقف كثيرون عند فقرة عُرِض فيها فيديو قصير عن الفرق بين الأفلام الجنسية وبين الجنس في الحقيقة، موضحـــًا أن الأفلام الإباحية تخدع المشاهدين وتقدم لهم "أحجامـــًا" و"فترات ممارسة" غير حقيقية، وتختلف تمامـــًا عما يحدث في الواقع. عرضت الفقرة تقريرًا صوّر في الشارع، يستطلع آراء شباب مصريين إن كانوا يشاهدون أفلامـــًا إباحية، فأجاب معظم من شملهم الاستطلاع بنعم.

بعد انتهاء التقرير، قالت انتصار إن أكثر رأي أعجبها في التقرير، قول أحد الشبّان: "أصبّر نفسي بأفلام البورنو". واعتبرت انتصار الشاب صريحـــًا لأنه غير قادر على الزواج. فقاطعتها شيماء سيف قائلة: "ما الذي تقولينه، ماذا تريدين من الناس أن تفعل"؟ فردّت انتصار: "يصبروا أنفسهم". فعلّقت شيماء مرة أخرى: "الدين يقول عكس ذلك، من لم يستطع الزواج عليه أن يصوم". فتابعت انتصار ساخرة: "من لا يستطيع الزواج يصبر نفسه، هناك قناة تعرض أفلام

سكس في شكل دراما". فردّت عليها شيماء: "يبدو أنك ملمة بالموضوع"، فواصلت انتصار: "نعم طبعـــًا". حينها سألتها شيماء مباشرةً: "هل تشاهدين هذه الأفلام؟" فأجابت انتصار: "نعم أشاهد".

وأضافت انتصار أنها مع منح كل فرد في المجتمع حرية الاختيار وضد منع هذه النوعية من الأفلام والمواقع لأنها ترى أن المنع ليس حلًا؛ لأن هناك رجالًا لا يعلمون أي شيء عن العملية الجنسية وتعلموا ذلك من خلال هذه الأفلام.

الحوار بين مقدّمتي البرنامج نقلته عدة مواقع مصرية بعد انتهاء الحلقة مباشرة. وعلى الفور، تعرضت الصفحة الخاصة لقناة "القاهرة والناس" على موقعَي يوتيوب وفيسبوك لسيل من الانتقادات والشتائم بسبب البرنامج، ودشن عدد كبير من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي هاشتاغ خاصـــًا باسم انتصار للتعليق على محتوى الحلقة.

***

قبل منى الطحاوي وانتصار، كانت المخرجة إيناس الدغيدي أقامت ولم تُقعدها بتصريحات لها ترى فيها أنه لا مانع من إقامة علاقات جنسية قبل الزواج.

في حديثها الصادم والمثير للجدل، اعتبرت إيناس الدغيدي أن الجنس بشكل عام حرية شخصية، حتى وإن كان خارج إطار

الزواج، قائلة في مداخلة هاتفية أجرتها مع جعفر عبدالكريم، في برنامجه "شباب توك"، على قناة "دويتشه فيله" الألمانية، إن هناك أناساً يخافون الإقدام على الجنس؛ لأنه "محطوط في مخهم من وهما صغيرين إنه حرام"، على حد قولها.

وأضافت أن "الجنس اختيار شخصي ليس له أي اعتبارات من الآخرين، وهذا حق لكل شخص يمارسه حسب فكره وحسب عقليته وعاداته وتقاليده".

ورأت الدغيدي أن العلاقة الجنسية قبل الزواج، تكمن أهميتها في معرفة الأشخاص بعضهم البعض قبل الزواج، منوهة بوجود مشكلات كثيرة تظهر بعد الزواج من الناحية الجنسية، تتمثل في ظهور حالات عجز جنسي بين الشباب، الأمر الذي يؤدي إلى الطلاق.

بدا الرأي العام مصدومـــاً من هذه التصريحات التي تدولتها وسائل الإعلام ومواقع إلكترونية.

الزوبعة التي أثارتها الدغيدي، لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة في الأغلب، فقد صرحت عام 2000، أن الكثير من الفتيات في مصر "سيدات"، سبق فض أغشية بكارتهن، إلا أنهن أجرين عمليات ترقيع لغشاء بكارة، وهو ما عرَّضها لهجمة شرسة في حينه، لإساءتها لنساء مصر.

وحين دعت الدغيدي إلى تقنين بيوت الهوى، ومنح تراخيص لفتيات الليل اللاتي يمارسن أقدم مهنة في التاريخ، دافعت عن وجهة نظرها قائلة إن "الدعارة حسب ما يعلم الجميع موجودة في كل العالم، وأنها من أقدم المهن، ولا يمكن محاربتها، ويجب تقنينها، ومنح بيوت الدعارة تراخيص، هدفه تلافي سلبياتها. فالترخيص يحصرها في مكان معلوم، وإجراء كشف طبي على ممارسيها"[4].

يومها أكدت أن "ترخيص بيوت الدعارة في مصر يقلل من ضغط الجنس على الشباب".

وفي حوار أجرته مع مفيد فوزي، في برنامج "مفاتيح"، على قناة "دريم"، قالت إن "مصر كان فيها قبل الثورة تلك البيوت، وممارسة البغاء، والحوض المرصود، وكان الشباب يذهب لأنه عنده طاقة يحتاج أن يفرغها". وذكرت أن "ذلك ربما يكون صعباً، ويبدأ الناس في تعليق المشانق لمجرد سماع هذا"، موضحة أن "ترخيص بيوت الدعارة سيعود بالفائدة على المجتمع"[5].

***

4 أيمن عبدالمجيد، إيناس الدغيدي الجريئة التي تهاجم مجتمع "ما تحت الحزام"، جريدة "العرب"، لندن، 23 مايو 2015.

5 هبة الحنفي، أشهر 9 "قنابل صحفية" قالتها إيناس الدغيدي: أحب أصدقائي المثليين و"رجلي حلوة وملفوفة"، موقع "المصري لايت" الإلكتروني، 23 مايو 2015.

في السياق نفسه، يضيف البعض برنامج "بوضوح" المذاع على قناة الحياة تقديم عمرو الليثي، الذي يستضيف فيه د.هبة قطب، استشاري الطب الجنسي والعلاقات الزوجية، لتجيب على تساؤلات جريئة للمشاهدين فيما يتعلق بالعلاقة الجنسية وكيفية التعامل معها.

تتضمن المناقشات الكثير من الأسئلة الجريئة، والتي من الممكن أن تكون في نظر البعض خارجة أو خادشة للحياء، لكنها تناقشها في إطار تحاول إضفاء صفة علمية ما عليه، وإن كان عددٌ من المختصين انتقدوا كثيرًا من آرائها، قائلين إنها تفتقر إلى أسس علمية واضحة.

من أغرب التساؤلات التي تلقتها هبة قطب، ذلك السؤال الذي وجهته إحدى متابعات برنامجها في رسالة أرسلتها إلى البرنامج حول كيفية معرفة أن الزوجة لا تزال عذراء، مشيرة إلى أنه حتى الآن لا توجد إجابة كاملة بنسبة 100%.

وردت قطب: "ربنا خلانا منعرفش الإجابة الكاملة علشان الستر، علشان لما حد يغلط ربنا يستر عليه، وعلشان ربنا عادل، ماخلاش علامة مؤكدة عند الست، ولا علامة مؤكدة عند الراجل، إلا بعض العلامات الأكيدة اللي كلنا عارفينها".

وفيما اعتبره البعض عرضـًا لأسرار الفراش على الهواء، ردّت د.هبة قطب، استشاري الطب الجنسي والعلاقات الزوجية، على تساؤل سيدة، عما إذا ما كان رغبتها في إقامة العلاقة الحميمة مع

زوجها مرّتين يوميـــاً في حين لا يستطيع زوجها، مرضـــاً أم أمرًا طبيعيـــاً؟

وقالت قطب: من الممكن أن تكون السائلة تعاني الشّره الجنسي، وإذا كانت مشكلة الشّره الجنسي نفسية عند الزوجة، فيمكن علاجها نفسياً.. ولو كانت المشكلة وظيفية يمكن تعليم الزوجين كيفية القيام بالعلاقة الحميمة بطريقة تُرضي الطرفين.

ووجّه أحد الشباب المقبلين على الزواج، سؤالًا إلى هبة قطب، عجزت عن الإجابة عليه، قائلًا: "أنا داخل على جواز كمان أيام، ومش عارف هقول لزوجتي إزاي إني عايز أعاشرها؟".

ردّت قطب: "أنا مش عارفة أرد عليه إزاي، ومادام هي هتتجوزك يبقى أكيد عارفة إنك هتعاشرها".

وتعرضت هبة قطب لسؤال مُحرج وجريء على الهواء من إحدى المتابعات للبرنامج أرسلته إليها، قالت فيه إنها تستمتع باستخدام أدوات اللعب الجنسية، وتساءلت: هل يمكن أن تكون تلك اللعب الجنسية بديلًا عن العلاقة الجنسية أم لا؟!

وردّت قطب قائلة: إن أدوات اللعب الجنسية سلاح ذو حدين للمرأة، فإذا كانت تستخدمها حتى لا تقع في الحرام فلا مانع، ونصحت باستخدامها في نطاق ضيق جدًا لمجرد تفريغ الرغبة

ليس إلا.

وأضافت: إذا كانت اللعب الجنسية تستخدمها المرأة للاستغناء كليا عن الزواج، فهذا هو غير المشروع؛ لأن سنة الله في الأرض هي الزواج.

وإذا كانت مصر تتلمس خطاها على طريق "الثورة الجنسية"، فإن هذا المصطلح أقدم بكثير مما نشهده الآن في الألفية الثالثة.

إن مصطلح "الثورة الجنسية" الذي يرمز عادة إلى الجنس خارج إطار علاقة الزواج التقليدية بين رجل وامرأة أو العلاقة مع شريك واحد (الزواج بشكل أساسي)[6]، ظهر في الولايات المتحدة منذ عشرينيات القرن العشرين، ثم أصبح أكثر رسوخـاً بعد صدور كتاب شهير وضعه عالم النفس ومؤسّس العلاجات النفسية البدنية فيلهلم رايش، الذي كان من مؤسسي تيار الفريدوماركسية. صدر كتابه عن الثورة الجنسية بالإنجليزية عام 1945 وذلك بعد 30 سنة من إصدارات "ماغنوس هيرشفالد" و"أوتو غروس" و"كارل كراوس".

حسب رايش، فإن الأخلاق ذات الوجهين وكبت الفطرة الجنسيّة تأتي بتشوّهات في الشخصيّة وتفضي إلى العدوان والانفلات، مما

---

[6] Escoffier, Jeffrey (editor), Fred W. McDarrah (Photographer), Sexual Revolution, Philadelphia: Running Press, 2003.

يجعلهما يتجليان في حُبِّ السلطان والهرميّة. ورأى رايش أن تحرير الأخلاق الجنسيّة سيؤدّي إلى تحوّل سلمي للبنية الإجتماعيّة: الإنسان الذي يعيش في علاقات مشبعة لن يمكن تقييده في نظم حُكم لا تعبئته لأعمال عنيفة.

تاريخيــاً، فإننا نجد في العصور الإغريقية والرومانية رموزًا جنسية وآلهة للحب مثل ايروس التي اشتقت منها كلمة Erotic و كيوبيد رمز المحبين والعشاق في عيد الحب، فهذه الشخصيات وغيرها في الميثولوجيا الإغريقية تقوم بالإغراء والجنس والإغواء حتى الاغتصاب في صور جميلة وممتعة.

في العصر الفيكتوري، تم تقسيم الجنس إلى طبيعي وغير طبيعي، كما ظهرت مصطلحات مثل السادية والمازوخية.

في عام 1869، ابتكر الكاتب الهنغاري- النمساوي كيرتبني مصطلح المثلية الجنسية وزعم أنها سلوك طبيعي وصحي، خلافــاً للتعريف الفيكتوري للجنس الصحيح بأنه اتصال فقط بين رجل وامرأة بالغين غير أقرباء، واعتبار المثلية الجنسية سلوكــاً غير طبيعي.

يرى باحثون ومؤرخون أنه يصعب تحديد سبب محدد في انفجار الثورة الجنسية عالميــاً في العصر الحديث[7].

---

[7] Alan Petigny, "Illegitimacy, Postwar Psychology, and the Reperiodisation of the Sexual Revolution", Journal of Social History, Oxford: Oxford University Press, fall 2004.

الشاهد أنه بعد الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر والتطور العلمي أصبح منع الحمل ممكنـــًا عن طريق تصنيع الواقي الذكري بكميات كبيرة وبسعر زهيد، كما ساعد علم المناعة في الإجهاض، ومع تطور الدواء أمكن تصنيع دواء لمنع الحمل. سرعان ما انتشرت حبوب منع الحمل التي تم قصر استعمالها في البداية على المتزوجين فقط، ثم أصبحت لاحقـــًا متاحة لكل من أراد، قبل أن تأتي الفياغرا وأخواتها، ليصبح من المألوف شراء مثيرات الشهوة ونحوها.

في المقابل، كانت السينما تواكب هذه "الثورة الجنسية" في مراحلها المختلفة.

بعد بداية السينما، بدا المجتمع في حالة صراع ثقافي بين ما يشاهد في شاشة السينما من مشاهد فيها نساء فاتنات وتقبيل ومعانقة ومع ما يعيشه في مجتمعه وما تربى عليه من أخلاق وقيم.

ساهم التليفزيون الذي أصبح موجودًا في البيت العائلي، مع باقي وسائل الاتصال الجماهيري من راديو وصحف ومجلات في نشر مفاهيم الانفجار الجنسي إلى حدٍ كبير.

مع مرور الوقت، بدأت صناعة إباحية إعلامية من أفلام ومجلات وقصص. ففي عام 1953 أسس هيو هفنر مجلة "بلاي بوي" التي استهدفت جمهور الذكور من سن 21 عامـــًا إلى 45 عامـــًا[8]. وفي

[8] David Farber, The Sixties Chronicle, Boston: Legacy Publishing, 2004, p. 30.

عام 1960، قرر هفنر التوسع في أعماله، فافتتح أول نادي "بلاي بوي" في شيكاغو، قبل أن يفتتح فروعـــاً له في مدن مختلفة.

سرعان ما انتشرت مفاهيم الإباحية على نطاق أوسع، في الوقت الذي زاد فيه عدد الأميركيين غير المتزوجين الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و24 عامــاً، بمقدار يفوق الضعف، ليرتفع من 4.3 مليون فرد في عام 1960 إلى 9.7 مليون فرد في عام 1976[9]. وأخذ الرجال والنساء في الولايات المتحدة يعيدون تشكيل مفهوم الزواج عن طريق ابتكار مؤسسات جديدة تمثل "الزواج المفتوح"، تبادل الشركاء جنسيـــاً، والجنس الجماعي، إلخ.

في تلك الفترة، أصبح الأميركيون أكثر انسجامــاً مع مجموعة أفكار تصب في اتجاه الجنس قبل الزواج، واستخدام وسائل التحكم في مسألة الإنجاب، والعلاقات العابرة بين البالغين، لتتحول هذه الممارسات إلى أمر شائع اجتماعيـــاً.

خلال ستينيات القرن العشرين أخذت تحدث تغييرات واسعة بخصوص الطريقة الذي ينظر بها المجتمع إلى الجنس، كان من شأنها إعلان عصر جديد من إلغاء التعصب المرتبط بالجنس من بعض النواحي وتنحية طريقة التفكير التقليدية، كما أدت إلى نشوء

---

[9] Ashley Kahn, Rolling Stone: The Seventies. Boston: Little, Brown and Co, 1998, pp. 54–57.

تشريعات جديدة بشأن السلوك الجنسي؛ العديد منها لا يزال معمولًا به في الوقت الحاضر.

بعثت الستينيات بثقافة جديدة هي "الحُب الحُر"؛ حيث اعتنق ملايين الشبان مذهب الهيبيز وأخذوا ينشرون أفكارهم عن قوة الحب وجمال الجنس كجزء فطري من الحياة الطبيعية. كان الهيبيز يؤمنون بأنّ الجنس ظاهرة بيولوجية فطرية يتعين عدم إنكارها أو كبتها. ومع تغير السلوك الجنسي للمجتمع بات كثيرون يعتقدون أن المواقف التقليدية السابقة التي كان يتخذها المجتمع تجاه الموضوع كانت منافقة ومتعصبة للذكور.

أدى التحرر الجنسي هذا إلى فتح المجال للإتيان بأمور وتوجهات شتى منها: حرية الجنس سواءً كان المرء متزوجـــًا أم لا، منع الحمل وحبوب منع الحمل، العُري العلني، حركة تحرير المثليين الجنسيين، الدعوة إلى تحرير الرغبة بالإجهاض، الزواج بين الأعراق المختلفة، العودة إلى الولادة الطبيعية، حقوق المرأة وحركة تحرير المرأة أو الأنثوية.

العديد من الأشخاص الذين عاشوا في العصر ذاته لكن بثقافة مناقضة كانوا ممتنعين عن الجنس نتيجة لخياراقم الشخصية. مثل تلك الخيارات لم يكن لها لدى البعض علاقة بالجانب الأخلاقية بل كانت متعلقة بآراء شخصية قد تعزى جزئيـــًا إلى اقتناع روحي.

جدير بالذكر أنّ فكرة كون العلاقات والجنس من الممكن أن تعيق طريق إيجاد الحرية الروحية على المستوى الشخصي، هذه الفكرة دفعت بالعديد من الهيبيز إلى التوقف عن ممارسة النشاط الجنسي.

اللافت للانتباه أن الذين كانوا من الهيبيز ممتنعين عن الجنس لم ينتقدوا من اختاروا منهم طريق "الحُب الحُر" و"التحرر الجنسي". في أواخر السبعينيات والثمانينيات، بدأ استغلال ما كسبه المجتمع من حريات جنسية جديدة عبر استثمارات كبيرة تتطلع إلى الاستفادة من المجتمع الأكثر انفتاحًا، وتمثل هذا ببدء ظهور المواد الإباحية والفاضحة علنـــاً.

وبينما يعد الأثر الذي تركته الثورة الجنسية على السلوك الجنسي من ناحية كونه كبيرًا أم لا محل نقاش، فإن العديد من المراقبين أشاروا إلى أن التغير الأساسي الذي أحدثته الثورة الجنسية لا يتمثل في أنّ الناس أصبحوا يمارسون الجنس أكثر من ذي قبل أو أصبحوا يمارسون أنواعـــاً مختلفة من الجنس، بل ببساطة أنّهم أصبحوا يتحدثون عنه بحرية أكثر من الأجيال السابقة – الأمر الذي يصفه المؤرخون المؤيدون بأنّه ثوري بحد ذاته.

يقول المؤرخ ديفيد ألين إنّ الثورة الجنسية تمثل وقت ظهور ما كان مخبـــأً: بشأن الجنس ما قبل الزواج، الاستمناء، الخيالات الشهوانية الجامحة، استخدام المواد الإباحية، والممارسات الجنسية[10].

---

[10] David Allyn, Make Love, Not War: The Sexual Revolution: An Unfettered History, New York: Little, Brown and Company, 2000.

وهناك حركات نسوية ترى أن الحرية الجنسية هي جوهر حرية المرأة. وقد قامت رائداقما بما يُعرف بالثورة الجنسية عبر رفضهن أي رقابة على العلاقات الجنسية بين الراشدين ولو كانت على شكل قوانين دول، كما تؤيد هذه الحركات والمنظمات حرية الميول والأهواء الجنسية.

على أي حال، فإن الجدل قائم بشأن الحرية الجنسية بشكل عام وحرية المثليين في مصر على وجه التحديد، ولعل أبرز مثال على ذلك هو المحاكمات في قضية المتهمين بالمثلية عام 2001 والمعروفة بقضية "كوين بوت"، التي هيمنت أخبارها على عناوين الصحف والمجلات في مصر آنذاك. في تلك القضية، حوكم 52 شخصــاً أمام محكمة أمن الدولة باقمامات تتعلق بالمثلية الجنسية بعد حملة أمنية داهمت قاربــاً راسيــاً على النيل يشتبه في أنه مكانــاً لتجمع المثليين وسهراقم.

صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية فتحت ملف هؤلاء قائلة في تقرير لها إن "الأيام الأخيرة في عهد نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك والفترة التي أعقبت ثورة 25 يناير كانت موجعة بالنسبة للكثيرين في مصر، لكنها بالنسبة لمثليي الجنس والمتحولين جنسيــاً كانت فترة من الحرية غير معتادة"[11].

---

[11] Liam Stack, Gay and Transgender Egyptians, Harassed and Entrapped, Are Driven Underground, New York: The New York Times, August 10, 2016.

وأضافت الصحيفة أنهم «كانوا يتلاقون في البارات والمقاهي على الأرصفة، وباتوا يتواعدون مع شركائهم عبر تطبيقات للمواعدة على الهواتف الجوالة، بقدر أكبر من الانفتاح والأريحية عما كانوا عليه من قبل".

وتابعت: "لكن هذه الفترة انتهت بعد 30 يونيو 2013 حينما ألقت السلطات القبض على ما لا يقل عن 250 شخصـــاً من السحاقيات ومثليي الجنس ومزدوجي الجنس والمتحولين جنسيـــاً في حملة هادئة أدت لتمزيق تلك التجمعات النشطة والظاهرة للعيان". وأوضحت الصحيفة أن "تلك الحملة التي نفذها الأجهزة الشرطية دفعت المثليين والمتحولين جنسيـــاً للعودة إلى الاختباء، وفي كثير من الحالات غادروا البلاد".

اللافت للانتباه أنه لا يوجد في مصر قانون يحظر ممارسة الشذوذ الجنسي، لذلك فإن المثليين يحاكمون بتهمة "اعتياد ممارسة الفجور" بموجب قانون صادر عام 1961، علمـــاً بأن الأحكام تتراوح عادةً ما بين عامين و12 عامـــاً.

المطربات..

استغلال الحناجر والجيوب!

من شيرين إلى أنغام، ومن ليلى مراد إلى فايزة أحمد وصولًا إلى ذكرى التونسية، تبدو العلاقات العاطفية عنوانـــًا للمأساة في حياة المطربات، وجوهر الأزمات التي تنتقل من غرف النوم إلى صفحات الصحف وشاشات التليفزيون.

ولأنه في موسم الجوائز والمغارم، هناك من يفوز ومن يخسر، فإن عالم المطربات لا يخلو من حكايات عن الاستغلال العاطفي أو الجسدي، المالي أو الاجتماعي.

ولعل ما جرى في الأيام الأربعة وقبلها للاعتزال القصير للمطربة شيرين عبدالوهاب في عام 2016، يفسر الكثير مما حدث معها ومع

غيرها من المطربات.

ربما جاز القول إن هناك أربعة أسباب وراء إعلان شيرين اعتزالها،
- السبب الأول: الحب، مصادر مقربة من شيرين تقول إنها كانت خلال الشهور الستة السابقة للقرار على اتصال بطليقها محمد مصطفى بنية العودة إلى بعضهما بعضـــًا، لكن هذه المساعي تعثرت، ومصادر أخرى قالت إن شيرين اتصلت بالمطربة اللبنانية نوال الزغبي نحو 20 مرة ليلة إعلان اعتزالها الغناء، وأخيرًا أبلغتها أنها تمر بمرحلة صعبة بعد استغلالها من أحد الأشخاص المقربين منها ماديـــًا وعاطفيـــًا.

نضال الأحمدية، الصحفية والناشرة اللبنانية، قالت إن المطربة شيرين عبدالوهاب، أرسلت لها رسالة صوتية في الساعة الرابعة فجرًا، تحتوي على قرار اعتزالها الفن، وأصرت على نشر قرار اعتزالها في هذا التوقيت.

وأضافت نضال، في مداخلة هاتفية لبرنامج "صح النوم"، تقديم محمد الغيطي، أن "شيرين أعلنت العصيان على كل ما رأته في حياتها؛ لأنها تعذبت كثيرًا منذ ولادتها، وتعرضت لصدمة عاطفية كبيرة منذ 3 أشهر، جعلت منها شخصية مذبوحة، ومجروحة من أحد الشخصيات الفنية المعروفة".

- السبب الثاني هو العائلة، فخوف شيرين على ابنتيها كان من أهم الأسباب التي جعلتها في حالة نفسية سيئة نظرًا، لكونها حائرة وممزقة بين حياتها العاطفية والمهنية وأمومتها التي تفرض التزامات تجاه ابنتيها.

- السبب الثالث هو ملف إدارة أعمالها، حيث وقعت خلافات بين شقيقها محمد ومدير أعمالها ياسر خليل، وهو ما أثر بالسلب على شيرين، التي ظهرت بصحبة شقيقها محمد فقط في آخر ظهور لها في دبي قبيل إعلان اعتزالها الغناء. وفي هذه المناسبة تحديدًا، كانت شيرين تتحدث مع أحد الأشخاص بنبرة عصبية، قائلة له: "أنا مش غنية عشان أدفعله الفلوس دي، وكل مرة بيطلب 50 و70 ألف جنيه وبدفعله، بس أنا مصدومة أنه في الآخر يعمل فيا كده".

- السبب الرابع: الإعلام، حيث إنه بعد هجوم وسائل الإعلام على شيرين وانتقادها لبعض تصرفاتها وتصريحاتها وملابسها، لجأت إلى أحد الصحفيين العرب لتعلن خبر اعتزالها من خلاله، مع تجاهل الصحفيين المصريين، وكانت شيرين قد امتنعت في الفترة السابقة لإعلان اعتزالها عن إجراء أي لقاءات أو حوارات صحفية في حفلاتها.

لم تتواصل شيرين خلال أيام الاعتزال الأربعة إلا مع الصحافة والإعلام العربي من خلال كل من ربيع هندي ونضال الأحمدية وتوني

خليفة، وعندما نبهها أحدهم إلى أن ذلك سيساء تفسيره، وكأنه موقفٌ معاد من الصحافة والإعلام المصري الذي كثيرًا ما دعمها قالت إنها لم تقصد. وهي محقة فكل ما تفعله لا تقصده؛ لأنها لا تفكر عادةً في أي من التبعات أو التفسيرات. ويتذكر البعض ما جرى عندما غنت للرئيس الأسبق حسني مبارك قبل تنحيه بأشهر قلائل وذلك بعد عودته من رحلة علاجه بألمانيا، حيث تلقت اتصالًا من أنس الفقي وزير الإعلام الأسبق فنفذت "التوجيهات"، وبعدما قامت الثورة ضد مبارك انتظرت أن يرشدها أحدهم لاتخاذ موقف.

شيرين عبدالوهاب نشرت لاحقـًا رسالة لها عبر فيسبوك، تحدثت خلالها عن اعتزالها الفن. وأشارت إلى أن سبب اتخاذها هذا القرار يرجع إلى ضغوط الحياة، والهجوم الإعلامي عليها، وانشغالها في العمل، وتأثيره على أسرتها، معبرة عن أسفها لما سببته من قلق لجمهورها، وأضافت "هابعد لفترة إجازة مع عيلتي وبعدها أعود للعمل".

***

أصالة وأيمن: خيانة وعنف منزلي

في ملف علاقة المطربة السورية أصالة نصري وزوجها السابق أيمن الذهبي تتنوع قائمة الأزمات والاستغلال ما بين الخيانة الزوجية والعنف المنزلي والاستغلال المالي وغيرها من اتهامات هبت مثل عاصفة هوجاء ليقع الانفصال ثم الطلاق بينهما.

وبعد زواج دام نحو 12 عامـــاً، سار كلٌ منهما في طريق، غير أن المكايدة تكررت عبر وسائل الإعلام وفي بيانات صحفية، ذات طابع ناري، وبها قدرٌ لا يستهان به من الغمز واللمز، ووصل الأمر إلى نقطة التخوين، خاصة في ظل الوضع المأساوي الذي تعيشه سوريا، والانقسام الحاصل فيها، ووقوف أيمن الذهبي في صفوف الموالين للنظام في سوريا، في حين انحازت أصالة إلى معارضي النظام بشكل صريح.

ربما كانت الطلقة الأولى في المعركة التي طال رذاذها كثيرون من نصيب المنتج السوري أيمن الذهبي طليق الفنانة أصالة نصري، حين قال إن سبب خيانته لزوجته السابقة تقصيرها في حقه وعدم اهتمامها به، وقال الذهبي في مقابلة مع برنامج "شو سرك" على قناة LBC اللبنانية مساء الخميس 19 مايو 2011: "لقد خنت أصالة أثناء زواجنا؛ لأنها كانت مقصرة في حقي ولم تهتم بي، وأعتقد

أنه من حق أي رجل أن يخون زوجته إذا قصرت في حقه".

وشدد الذهبي على أن أصالة كانت سليطة اللسان؛ حيث كانت تشتمه وتسبه أمام أولاده وكذلك أمام الناس، ما جعله يضربها في بعض الأحيان حتى تصمت.

وعلى ذمة أيمن، فإنه زعم أنه ضحى بماله وأهله لنجاح أصالة إلا أنها لم تُقدّر هذا الأمر، خاصة وأنه ظل بعيدًا عن أهله لمدة ست سنوات بسببها. غير أن رواية أصالة عند هذه النقطة تختلف تمامـــًا، وسط اتهامات له باستغلالها ماليـــًا والاستيلاء على أموالها ومجوهراتها، فضلًا عن أن صعوده في عالم الإنتاج جاء على كتفي أصالة بعد نجاحها في عالم الفن.

أيمن أكد أن الزمن لو عاد به من جديد لتزوج على أصالة، رافضـــًا ما يتردد بشأن استغلاله أصالة لجمع المال؛ حيث شدد على أن كلًا منهما استغل الآخر لتحقيق النجاح، وأنه كان العقل المدبر لها وبدونه لما صارت النجمة الشهيرة، وأن صوتها ساهم في نجاحه كونه منتجـــًا.

وذكر أنه لم يشك إطلاقًا في خيانتها إياه، لكن زواجها بالمخرج طارق العريان بعد يوم واحد فقط من نهاية عدة طلاقهما جعله يتأكد أنها كانت تخطط لهذا الزواج وهي على ذمته، على حد قوله.

زيجات أنغام في السر والعلن

تزوجت المطربة أنغام 3 مرات، وكانت الزيجة الأولى من المخرج مجدي عارف، وأنجبت منه ولدها عمر، وانتهى زواجهما بالطلاق.

في التجربة الثانية، تزوجت أنغام من الموزع الموسيقي الكويتي فهد محمد الشلبي، في عام 2004، بعد أن جمعتهما علاقة عمل وصداقة، وأدت أنغام دويتو مع زوجها فهد بمناسبة عيد الحب في 2005، وكان عبدالرحمن ثمرة هذا الزواج الذي لم يستمر أيضـًا سوى ثلاث سنوات فقط، وفي سبتمبر 2007 رفعت المطربة أنغام دعوى خلع من زوجها فهد، وأوضح محامي أنغام – حينذاك- استعدادها لرد مؤخر الصداق والتنازل عن كل حقوقها الشرعية في مقابل نيل حريتها، وفشلت كل محاولات الصلح بين أنغام وزوجها، وحُكِم لها بالخُلع.

تعتبر الزيجة الثالثة سرًّا من أسرار أنغام، ولها قصة مختلفة، فقد كان الزواج سريًّا ولم يُذَع خبره إلا من خلال وثيقة زواج تؤكد زواج أنغام من الفنان أحمد عز، وهي الوثيقة التي تداولتها الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة، وظل الحديث مفتوحـًا بشأنها حتى خرجت أنغام عن صمتها، وأكدت زواجها من أحمد عز عام 2011 ثم انفصالهما في عام 2012.

كان الزواج معروفـــاً لعدد قليل من أصدقائهما، وعندما ذاع خبره خرج الاثنان وقاما بنفيه جملة وتفصيلًا، لكن قضية نسب طفلي زينة لأحمد عز كانت سببـــاً في كشف وثيقة زواج "أنغام وعز".

كان سر إخفاء زواج أنغام من أحمد عز يرجع لعدة أسباب، أهمها أنه عند طلاق أنغام من زوجها والد طفلها حدثت مشكلات معه، وعانت كثيرًا حتى تأخذ نجلها منه وكانت تخشى في حال الإعلان عن زواجها أن تذهب حضانة الطفل إليه.

على صفحته على فيسبوك، شرح أحمد عز الموقف، قائلًا:

إذا كان أحمد عز وأنغام قد أعلنا زواجهما فإنه طبقاً لقانون حضانة الطفل ستذهب إلى والدة طليقها، وهو ما كانت ترفضه أنغام شكلًا وموضوعاً، لذلك تم إخفاء أمر الزواج عن جمهورها وجمهور أحمد عز ولم يكن يعلم به سوى المقربين من عائلتي الطرفين.

وأضاف أنه عندما نفى زواجه منها فإن هذا كان احتراماً منه لظروفها وليس خداعاً لجمهوره وهي وقتها قامت بالنفي أيضاً.

كانت فايزة أحمد تدرك جيدًا أنها ليست فائقة الجمال، وأن كنزها الحقيقي كمرأة ليس في شكلها وملامحها وإنما في صوتها، فهي من وصف صوتها محمد عبدالوهاب، بـــ"الكريستال المكسور"، ولكنها كأي امرأة ظلت تبحث عن الحب، تبحث في كل مكان عن رجل يعشق روحها، يراها أجمل نساء الكون، وربما ذلك ما جعلها تكرر تجربة الزواج خمس مرات.

تزوجت كراون الشرق، للمرة الأولى من الضابط مختار العابد، سوري الجنسية، الذي تزوجها طمعًا في استغلال صوتها، وأنجبت منه ابنتها فريـــال، أقنعها بأنه يحبها وأنه رجل ثري، ولكنها أصرت على الطلاق منه بعدما علمت أنه تزوج قبلها 10 زيجات وكان يبيع أبناءه إلى الأرمن، ويدفع زوجاته للعمل ليستولي على أجورهن.

تزوجت فايزة المرة الثانية من المونولوجست عُمر النعامي، ولكنها اكتشفت كذلك أنه تزوجها ليستغل صوتها، ففضلت الانفصال عنه.

الزيجة الثالثة كانت من نصيب عازف الكمان عبدالفتاح خيري، الذي لم يختلف هدف زواجه منها عن سابقيه، فقد تزوجها هو الآخر طمعًا فيها، وخاصة أنه كان ذيع صيتها، وأصبحت تنافس كبار النجوم، حتى قالت عنها أم كلثوم: "هو الصوت النسائي الوحيد

الذي أطرب له وأسمعه بنشوة".

الزيجة الرابعة، كانت من الموسيقار الكبير محمد سلطان، وهو الحب الحقيقي في حياتها، الذي لم ينتهِ حتى بوفاتها، فقد قال عنها: "هي حبيبتي الأولى والأخيرة.. لم ولن أنساها.. ماتت لكنها لم ترحل عن دنياي حتى الآن".

بعد 17 عامــًا من زواجهما، بدأت المشكلات بينها وبين سلطان، وتركت منزل الزوجية وأخذت جناحــًا بفندق "شيبرد" بالقاهرة، ليعلنا انفصالهما في 22 مايو 1981.

كانت زيجتها الأخيرة من الضابط عادل عبدالرحمن، بعد انفصالها من الموسيقار محمد سلطان، وبعد فترة بدأت المشكلات بين فايزة والضابط، ووفقًا لأحاديثها الصحفية: "كان يقول لها اتركي الفن ده في الزمن ده مايوكلش عيش. كان غرضه الاتجاه إلى التجارة وكانت فايزة ترفض هذا الاقتراح بشدة، وكانت تعانده وتقول له إن الفن حياتها وماتقدرش تعيش بدون الغنا.. ففي يوم من الأيام حصلت مشادة بينه وبين ابنتها فريــال بوجود فايزة، فانهال عليهن ضربــًا مبرحــًا، كما قيل إن الضابط حمل فايزة ليرميها من الدور السادس لولا تدخل والدته وإنهاء المشكلة، وبعد ذلك أصرت فايزة على الطلاق".

غنت له بكل حواسها: "حبيتك وبحبك وهحبك على طول"، لكن أنور وجدي كثيرًا ما صرح في حياته أنه أتعس زوج في العالم، وأن أكبر غلطة ارتكبها في حياته هو الزواج من ليلى مراد، ويقول "غلطتي أنني تزوجت من نجمة مشهورة تعتقد أنها أشهر مني، تزوجت من امرأة غنية تعتقد إنها ليست في حاجة إلى أموالي..".

حبيب الروح الذي سيظهر في اللحظة المناسبة وينقذ حبيبته، هكذا كانت دائمـــاً رومانسية الدويتو الأشهر في السينما العربية أنور وجدي وليلي مراد، التي بدأت مسيرتهما بفيلم "ليلى بنت الفقراء" عام 1945، تخلله قصة حب شهيرة، توجت بالزواج لكنها انتهت بالطلاق، كانا معـــاً "حياة عاصفة" حسبما يقول الكاتب صالح مرسي في كتابه "ليلى مراد"[12]، الذي يعد جزءاً من سيرتها الذاتية روتها له. حياة احتوت على حقائق أغرب من الخيال.

تعتبر ليلى كلمة السر التي فتحت لزوجها أنور الأبواب على مصراعيها، فلم تكن مجرد زوجة له، بل كوّن أنور مع ليلى أحد أشهر الثنائيات التي عرفتها السينما المصرية في عصرها الذهبي، واستفاد أنور كثيرًا من زواجه بليلى، حيث قدمته كمخرج لأول

[12] صالح مرسي، ليلى مراد، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ديسمبر 1995.

مرة في فيلم من بطولته لأنها كانت أكثر شهرة منه حينها، وبعد الزواج احتكرها بالكامل ليقوم هو ببطولة جميع أفلامها وأيضاً إخراجها وإنتاجها، وكانت ليلى تتهاون في أجرها باعتبار أن المنتج زوجها، لكن زواج ليلى وأنور، مر بأزمات كثيرة ما بين غيرة فنية واستغلال وعلاقات نسائية.

حُبّ أنور للمال أوقعه في خلافات كثيرة معها وتسبّب في انهيار سعادتهما الزوجية؛ حيث بعد زواجهما أسس أنور شركة إنتاج وأصبح محتكرًا لليلى، لدرجة أنه لم يكن يتقبّل أن تلعب بطولة فيلم لصالح شركات إنتاج أخرى، وهو ما يعني ربح هذه الشركات آلاف الجنيهات من وجهة نظره، وكما روت ليلى في أحد أحاديثها النادرة أن أنور كان يتعمّد افتعال خناقة معها قبل موعد التصوير حتى تذهب إلى الأستوديو وهي في حالة نفسية سيئة تنعكس سلبــاً على أدائها.

وقع الطلاق الأول بين ليلى وأنور في عام 1951، ويروي وقائعه صالح مرسي، قائلًا: إن (ليلى) استيقظت ذات يوم من النوم، واستعدت لمغادرة البيت لتصوير بعض المشاهد لفيلم من أفلامها، وجدت البيت وكأنه مقبل على معركة، كان صوت (أنور) يتصاعد من المطبخ صارخاً لاعناً، وكان صوت الأطباق والحلل يتطاير بين الحين والآخر، ووجدت ليلى صديقهما محمد البكار في البيت، فسألته عن سر الثورة، فأخبرها أنه يطبخ طبخة دمشقية من التي يحبها، وعادت تسأل عن السبب،

فجاءها صوت أنور من خلفها صائحاً: "البيت مفهوش كمون يا ست هانم". التفتت ليلى إليه هادئة، وكانت تعلم علم اليقين أن الكمون ليس سبب ثورته، فقالت: "طيب وفيها إيه يعني يا (أنور) نبعت نشتري كمون". صرخ أنور: "وإيه يعني، طب إنتي طالق يا (ليلى)".

خرجت ليلى بهدوء شديد إلى فندق "سميراميس" لتقيم فيه وهي تحمل لقب "مطلقة" للمرة الأولى في حياتها، كان يومـاً قاسيـاً تعيسـاً حزينـاً، فـ"قيس" الذي كانت تبحث عنه لم يكن له وجود، كان وهمـاً وأكذوبة، وما زادها حزنـاً أنه في اليوم نفسه أرسل أنور إليها ورقة الطلاق، لكن المياه عادت إلى مجاريها بينهما بعد تدخل من شقيقيها إبراهيم ومنير مراد، وكان أنور يرتبط بعلاقة صداقة بهما بدأت منذ ارتباطه بـليلى، وعامـاً بعد عام تواصلت الحياة حتى وقع الزلزال الكبير.

وبعد أن ضبطته مع عشيقته الحسناء الفرنسية لوسيت، استيقظت ليلى في السابعة من صباح اليوم التالي، ثم ارتدت ملابسها وجهزت حقائبها، ويقول صالح مرسي: عندما فتحت باب غرفتها كان أنور لا يزال جالساً كما هو فوق مقعده منذ عودتهما سوياً دون نوم، وقالت: "أنا ماشية يا أنور". التفت إليها مذهولًا وعادت تقول له: "على فكرة أنا مش زعلانة منك، بالعكس، أنا فرحانة جدًا". ورد: "عاوزة تقولي إيه؟، فيه واحدة تفرح لما تضبط جوزها مع

واحدة تانية؟"، وردت: "أصل الناس كانوا دايماً يقولوا لي إني اتجوزت واحد مالوش قلب، ما يعرفش يحب غير الفلوس، لكن أنا كنت بقول إن لك قلب، وطلعت أنا صح"، ورد: "إنت فاكرة نفسك مين؟ شكسبير؟"، وردت: "ولا شكسبير ولا حاجة، أنا بقول لك اللي أنا حاسة بيه، أشوف وشك بخير"، وخرجت ليلى وهي تودع قصتها الغرامية مع أنور رغم أنها لم تنسها أبدًا.

وفي صورة نادرة تظهر ليلى وهي توقع على ورقة طلاقها من أنور، وكان ذلك في عام 1953، علقت على هذا الحدث الذي جاء بعد زواج دام 7 سنوات، قائلة: "ربنا يسعده ويوفقه الفترة اللي جاية".

في فجر يوم الجمعة 28 نوفمبر من عام 2003 جرى نهرٌ من الدماء في الشقة رقم 112 بسراي السلطان في شارع محمد مظهر في حي الزمالك. وفي غضون ربع ساعة، انطلقت 69 رصاصةٍ من مدفعٍ رشاش أمسك به رجل الأعمال أيمن عوني صادق السويدي وصوَّبه تجاه زوجته المطربة التونسية ذكرى ومدير أعماله عمرو الخولي وزوجة مدير أعماله خديجة صلاح الدين. وبعد المذبحة البشعة أمسك رجل الأعمال بمسدسه وصوَّب الفوهة إلى فمه وأطلق على نفسه رصاصةً واحدة وانتحر.

الساعات التي سبقت المأساة الدامية شهدت اصطحاب السويدي ذكرى، التي كان قد تزوجها بعقد زواج عرفي في 23 أغسطس 2003، إلى سهرةٍ في محلٍ يدعي "بلوز" اشتراه السويدي قبل شهرٍ من الواقعة في شارع النيل بجوار كوبري جامعة القاهرة.

بعدها عاد الجميع إلى مسكن السويدي الذي يضمه مع زوجته ذكرى، الكائن في شارع محمد مظهر بالزمالك.. وكان بصحبتهما مدير أعماله وزوجته. ظهرت معهم هذه المرة فنانةٌ مغمورة تدعى كوثر سعيد رمزي (55 عامـــاً)، وهي معروفةٌ بقراءة الفنجان للفنانات.

وفور دخول المترل طلب المليونير من كوثر الجلوس في الصالون وتركهم بمفردهم، وطلب أيمن من الخادمتين زينب إبراهيم (19 عامـًا) وأم هاشم حسني الوسي (17عامـًا) إغلاق الباب عليها؛ لأن هناك حديثـًا عائليـًا بينهم، ثم طلب من الخادمتين البقاء في غرفتهما وعدم مغادرتها.

وسرعان ما بدأت محاكمة غريبة الأطوار!

عيَّن السويدي نفسه قاضيـًا ومدعيـًا عامـًا، وعقد محاكمة لضحاياه الثلاث استغرقت نحو عشرين دقيقة، اتهم أثناءها زوجته الفنانة بأنها على صلةٍ برجل ما، ثم عاد وقرر أنه مدير أعماله عمرو الخولي.

بدأ السويدي المحاكمة موجهـًا حديثه إلى زوجته ذكرى طالبـًا منها التفرغ له كزوجة؛ لأن عملها الليلي يأخذها منه في حين يعمل هو نهارًا.. لكنها ردت عليه في حدةٍ بأنها لن تترك عملها كفنانة، وأنه تزوجها وهو يعرف طبيعة عملها.

وانتهى الأمر بمجزرة بشعة وتساؤلات حائرة عما جرى.

الفعل الفاضح من بديعة مصابني

إلى شاكيرا!

فجأة، قفزت جريمة الفعل الفاضح إلى الواجهة.

صارت حديث المجالس الخاصة ومواقع التواصل الاجتماعي، ومادة للنشر في الصحف المطبوعة وموضوعًا للحديث في بعض قنوات التليفزيون. تحدث كثيرون باستفاضة عن جرائم الفعل الفاضح، التي انتقلت من الكازينوهات والملاهي الليلية والشوارع المظلمة إلى موقع "يوتيوب" وكليباته التي تحظى أحيانًا بمعدلات مشاهدة و"فرجة" قياسية!

وتكررت أسماء مختلفة، من شاكيرا "المصرية" وبرديس إلى رضا الفولي ودينا.. وصولًا إلى بديعة مصابني.

ولكن ما هو الفعل الفاضح؟

المادة 278 من قانون العقوبات تنص على أن "كل من فعل علانية فعلًا فاضحـًا مخلًا بالحياء يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة لا تتجاوز ثلاثمائة جنيه مصري". ويتضح من هذا النص أن الجريمة لا تقوم إلا بتوافر أركان ثلاثة – "الأول" فعل مادي يخدش في المرء حياء العين أو الأذ، سواء وقع الفعل على جسم الغير أو أوقعة الجاني على نفسه. "الثاني" – العلانية، ولا يشترط لتوافرها أن يشاهد الغير عمل الجاني فعلًا، بل يكفى أن تكون المشاهدة محتملة. و"الثالث" القصد الجنائي، وهو تعمد الجاني إتيان الفعل.

لم تحدد المادة 278 من قانون العقوبات المقصود بالعلانية في جريمة الفعل الفاضح العلني، ولم تحل هذه المادة إلى نص المادة 171 من قانون العقوبات والتي عنيت ببيان طرق العلانية في جرائم النشر. ومؤدى ذلك أن العلانية ليست واحدة في الطائفتين من الجرائم.

والعلانية هي الجهر بالشيء أو إظهاره، أي إحاطة الناس علما به. وقد استقر الفقه والقضاء على أن العلانية تتحقق في جريمة الفعل الفاضح العلني إذا شاهد الغير فعل الجاني أو كان في استطاعته مشاهدته. وتكون العلانية في هذه الحالة الأخيرة علانية حكمية تعادل العلانية الفعلية.

يأخذ الركن المعنوي في جريمة الفعل الفاضح العلني صورة القصد الجنائي. ويتحقق ذلك باتجاه إرادة الجاني إلى ارتكاب الفعل المكون للجريمة علنـــاً، عالمـــاً بأن من شأنه أن يخدش الحياء.

لفترة طويلة، ظلت الراقصتان برديس وشاكيرا في مصر تقدمان رقصات مخلة ومليئة بالإيحاءات الجنسية الفجة، تارة على شاشات الفضائيات المخصصة للرقص، وتارة أخرى من خلال تصوير كليبات خاصة بهما وترويجها كنوع من الدعاية لنفسيهما وتحقيق مكاسب مالية كبيرة.. ثم امتد نشاطهما إلى الفنادق الكبرى وقدمتا فيها جميع أنواع الرقص العاري والمخل.

أثارت هذه الكليبات الفاضحة غضب عدد كبير من المواطنين، وتقدم البعض ببلاغات ضدهما. وعقب تحديد مكان المتهمتين ألقي القبض على الراقصة سها محمد علي وشهرتها «شاكيرا»، والراقصة داليا كمال يوسف وشهرتها «برديس»، وتم تحرير محضر وإحالة المتهمين لنيابة العجوزة لمباشرة التحقيق.

قبل ذلك، تابع عشرات الآلاف فيديو كليب لراقصة مغمورة اسمها برديس، أنتجت بنفسها الكليب، وفيه ارتكبت فعلًا فاضحـــاً بالتراث، بأدائها الهزيل لأغنية "يا واد يا تقيل" للراحلة سعاد حسني، والتي كتب كلماتها صلاح جاهين، ولحنها كمال الطويل، وقدمتها سندريلا الشاشة العربية باستعراض غنائي جميل في فيلم "خلي بالك

من زوزو".

الفيديو ليس أكثر من عرض استفزازي رخيص لجسد راقصة تطاولت حتى استمرأت أن تضع اسمها إلى جانب أسماء كبيرة مثل صلاح جاهين وكمال الطويل، بل وتشطب اسم سعاد حسني متوهمة أنها بديل مناسب.

قبلها، قالت رضا الفولي – وشهرتها سلمى الفولي– راقصة فيديو كليب "سيب إيدي" المثير للجدل، في تحقيقات النيابة العامة إنها بريئة من الكليب الفاضح الذي التهمته العيون على المواقع الإلكترونية، نقلًا عن يوتيوب. ومن بين أوراق التحقيقات نطالع ما يلي:

"س: ما قولكِ فيما هو منسوب إليكِ، أنكِ متهمة بنشر فيديو كليب خادش للحياء ولا يتناسب مع تقاليد المجتمع الشرقي؟

ج: محصلش

س: ما قولك فيما هو منسوب إليكِ بمتهمة ارتكاب فعل فاضح؟

ج: محصلش

س: ما الذي حدث إذن، وما أوجه دفاعك؟

ج: اللي حصل إن كان فيه إعلان على "فيسبوك"، في صفحته الشخصية التي تدعى وائل الصديقي، وطالب فيه مغنية وراقصة لتصوير كليب، وبعد ذلك كلمت المخرج على رقم

هاتفه واتقابلنا وخدني على الأستوديو ومعرفتش مكانه فين.. وبعد كده قالي يلا نعمل test camera عشان أشوف قدراتك.

س: وما هي طبيعة الملابس التي كنتِ ترتدينها في ذلك الوقت؟

ج: أنا كنت لابسة جاكيت فوق الفستان، وقالي اقلعي الجاكيت متخافيش ديه مجرد بروفة عشان يشوف أدائي بس.. وأن المفروض الفيلم يتصور في ميدان التحرير. وفوجئت في الأيام الماضية أن الفيديو نزل على مواقع الإنترنت بدون سابق معرفة أو تنسيق بيني وبين المخرج وائل، وحاولت الاتصال بيه بعد ذلك لقيت تليفونه مقفول، وكلمني من رقم دولي من تونس وقالي أنا نشرت الفيديو عشان كان عاجبني، وحاولت أحذفه بس معرفتش للأسف".

***

تهمة الفعل الفاضح لا تقتصر على الراقصات، ومن ذلك مثلًا أن قائمة الاتهامات الموجهة إلى ياسمين النرش، المعروفة باسم "سيدة المطار"، تضم ممارسة فعل فاضح، إلى جانب التعدي على موظف عام والاتجار في المخدرات.

عقب الواقعة التي شهدها مطار القاهرة في 28 إبريل 2015، فرغت النيابة العامة محتويات الأسطوانة المدمجة المرفقة بالتحقيقات، وتبين احتواؤها على تسجيلات مرئية ومسموعة واضحة للمتهمة أثناء استعمالها القوة والعنف مع الضابط المجنى عليه وتهديدها له

بإلحاق الأذى به، فضلًا عن قيامها بخلع ملابسها والكشف عن أجزاء من جسدها وإتيانها أفعالًا خادشة للحياء في صالة المطار. وأقرت المتهمة بتحقيقات النيابة العامة بعد مواجهتها بالأدلة والمشاهد بتعديها على الضابط المجنى عليه، ووجهت النيابة العامة للمتهمة ارتكاب جرائم تشكل جنايات وجنح معاقب عليها قانونـــاً هى حيازة مواد مخدرة بقصد الاتجار، ومقاومة أحد رجال الشرطة بالقوة والعنف والتهديد لمنعه من أداء عمله، وإهانة موظفين عموميين بالقول والإشارة أثناء تأدية وظائفهم، والفعل الفاضح العلني المخل بالحياء.

محاكمة ياسمين بدأت في مطلع يونيو 2015، والعبرة بالخواتيم.

***

وأدين الشيخ علي ونيس، عضو مجلس الشعب السابق عن حزب النور السلفي، إثر ضبطه بصحبة فتاة في وضع مخل داخل سيارة خاصة، على الطريق الزراعي السريع في طوخ، وتم الحكم عليه غيابيـــاً بالحبس سنة مع الشغل - خُفِفتْ لاحقـــاً إلى 3 أشهر- وكفالة 1000 جنيه لوقف التنفيذ في تهمة الفعل الفاضح، و6 أشهر - خُفِفتْ لاحقـــاً إلى شهر- وكفالة 500 جنيه لتعديه على أفراد القوة التي ضبطته.

وفي يونيو 2014، مباحث حماية الآداب، ألقت القبض على المطرب سعد الصغير وراقصة درجة ثالثة، بتهمة ارتكاب فعل فاضح

في أحد الأفراح الخاصة.

جاء ذلك بعد تداول بعض المشاهد المخلة بالآداب على الهواتف المحمولة، وتبين أن المشهد يضم أغنية للمطرب الشعبي سعد الصغير مع إحدى الراقصات في أحد الأفراح الشعبية بمنطقة بين السرايات بالدقي.

كما تبين أن المطرب سعد حنفي، الشهير بـــ"سعد الصغير"، تغنى بكلمات تخدش الحياء وأتى بأفعال فاضحة علنـــاً أمام الحضور، وأنه تم تصوير هذه المشاهد وتداولها المواطنون عبر الهواتف المحمولة وعلى شبكات الإنترنت. وكشفت التحريات أن الراقصة تدعى "ولاء السيد محمد" سبق ضبطها في قضية فعل فاضح.

***

في مايو 2008، انتقد د.فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري – حينذاك– استعانة إحدى المدارس الثانوية بالراقصة دينا لإحياء حفل نهاية العام.

وقال في جلسة مجلس الشعب: أدين هذا التصرف قبل أن تناقشه لجنة التعليم، فلا يجوز لدور التربية والتعليم أن تلجأ للراقصات لإحياء الحفلات ونحن نوجه الشباب نحو القيم والتربية الحسنة. وأحال سرور طلب الإحاطة في هذه الفضيحة إلى لجنة التعليم لمناقشته.

كما أكد د.مفيد شهاب وزير الشئون القانونية والمجالس النيابية عدم موافقة الحكومة علي هذا التصرف غير الأخلاقي. ووعد بحضور د.يسري الجمل وزير التربية والتعليم – وقتذاك– أمام المجلس لإعلان ما اتخذ لمعاقبة من شارك في هذا الأمر.

كان 17 نائبـــاً بمجلس الشعب قد تقدموا بطلبات إحاطة عاجلة إلى وزير التربية والتعليم بسبب حفل أقامته مدرسة ثانوية خاصة بالقاهرة ورقصت فيه الراقصة دينا ببدلة ساخنة أمام الأساتذة والطلاب.

وأعلن النواب غضبهم الشديد علي وزارة التربية والتعليم مطالبين الوزير بوقفة حاسمة مع المسؤولين عن الحفل وإحالتهم إلى النيابة العامة لأنهم أهدروا قدسية المدرسة كمكان للتعليم وخرقوا فيه عادات المجتمع، موضحين أن التحقيق التأديبي مع مثل هؤلاء لا يكفي.

كما أقام المحامي نبيه الوحش دعوى قضائية ضد وزير التعليم والراقصة دينا بسبب الحفل الذي أقيم في إحدى المدارس الثانوية الخاصة.

وطالب الوحش في الدعوى وزير التعليم بإلغاء مثل هذه الحفلات التي أصبحت المدارس الخاصة تنظمها أخيرًا، وذلك حماية للتلاميذ من الفساد الذي يلحق بهم بسببها.

وأرسل إنذارًا إلى وزير التعليم طالبه فيه بمنع الحفلات الغنائية التي تقدمها مطربات وراقصات وصفهن بأن مهنتهن هي "توصيل الجنس إلى المنازل".

***

تاريخ الفعل الفاضح والخادش للحياء يعود إلى زمن أقدم.

بديعة مصابني، التي قدمت إلى القاهرة في عام 1919، افتتحت مجال الرقص الشرقي في "أم الدنيا"، وإليها يعود الفضل في تحوّله إلى "فن" معترف به. غير أنها تعرضت لاتهامات متكررة بأنّها فتحت صالة للرقص ولممارسة الأعمال المخلّة بالآداب.

ومن يومها، وتهمة الفعل الفاضح أو المخل تلاحق الراقصات وغيرهن، بلا توقف.

كل هذا الشبق

لم يجد هذا الفيلم طريقه إلى دور العرض السينمائية في مصر.

والسبب في ذلك هو موضوعه، وليس "مناظره". فالفيلم يدور في مجمله حول فكرة أساسية: إدمان الجنس.

الفيلم المقصود هو Sleeping with other People وهو من إخراج ليزلي هيدلاند، ومن بطولة جيسون سوديكس، أليسون بري، آدم سكوت، وأماندا بيت.

في تفاصيل الحكاية السينمائية، نتابع قصة جيك وليني، اللذين دخلا في علاقة عابرة مندفعة أثناء دراستهما في الجامعة، كانت بالنسبة لكليهما العلاقة الأولى. وبعد 12 عامـاً يتقابل الثنائي بالصدفة مرة أخرى خارج عيادة لعلاج إدمان الجنس في نيويورك،

وشرعا أخيرًا في أول ميعاد حقيقي بينهما، ولكننا نكتشف أن الاثنين تغيرا كثيرًا. فقد أصبحت ليني غشاشة ومحتالة محترفة في علاقاتها المتعددة، ومن بينها علاقة غرامية مع الدكتور ماثيو، وجيك باعتراف الجميع زير نساء كبير.

وعبر علاقة أفلاطونية تتسم بالعذرية هذه المرة، يدركان ببطء أن الانجذاب المتبادل بينهما لم يعد من الممكن تجاهله. وهكذا يقرران معـــًا التخلص من عيوبهما وبناء علاقة من البداية على أسس صحيحة وقوية.

لم تكن هي المرة الأولى التي تطرح فيها السينما هذا الموضوع، الذي نجد له أطيافـــًا ما في أفلام مصرية مثل "الزوجة 13" من إخراج فطين عبدالوهاب وبطولة شادية ورشدي أباظة وحسن فايق وشويكار وعبدالمنعم إبراهيم، و"بئر الحرمان" من بطولة سعاد حسني، ونور الشريف، ومريم فخر الدين، وصلاح نظمي.

في 2014 طرح المُخرج لارس فون ترير فيلمه المثير للجدل "Nymphomaniac"، من بطولة شيا لابوف وشارلوت جينسبرغ.

ويتناول الفيلم الحياة الجنسية لامرأة تعاني إدمان الجنس منذ مراهقتها وحتى وصولها لسن متقدمة، ويشارك في بطولة الفيلم أيضـــًا أوما ثورمان، وليام دافو، جيمي بيل، ستيلان سكارسغارد، وكريستيان سلاتر بالإضافة إلى ستاسي مارتن، التي تلعب إلى جانب

شارلوت جينسبرغ دور البطلة في مرحلتَي الشباب والكبر.

في هذا الفيلم بجزأيه يضعنا تريير أمام أكثر صور الشبق تطرفـًا، لكنه وبذكاء شديد يخفف من حدته، بل وربما يبرره على لسان سليجمان المتقوقع داخل شقته المتواضعة متوحدًا مع حُبِّه للكتب.

لا مجال للتعاطف في هذه المعالجة لمثل هذا الموضوع الشائك، والذي هو ثقيل على المعدة العربية، فقط "جو" تكرر سؤالها إن كانت شخصــًا جيدًا أم لا. بوصلتها القيمية محطمة تمامــًا، غير أنها في منتهى الاعتزاز بذاتها وهويتها، كما أعلنت ذلك في خطبتها التي انهالت بها على رؤوس زميلاتها في جلسة علاج إدمان الجنس:

"عزيزاتي، لم يكن الأمر سهلًا، لكنني أفهم الآن أننا لسنا متشابهات على الإطلاق، ولن نكون، لست مثلكن، تمارسن الجنس لإثبات الصلاحية، ولقد حصلتن عليها حين رغب أحدهم أن يمارس معكن الجنس أول مرة، وقد بلغتن ذروة إشباعكن منذ زمن، وما إدمانكن للجنس إلا لرغبتكن القميئة في الامتلاء بأي شيء كمحاولة لإخفاء احتقاركن لذواتكن، وهذا التعاطف المزيف المتبادل بينكن ما هو إلا غطاء لكونكن في الحقيقة جزءًا من الشرطة الأخلاقية المجتمعية، التي تسعى لمحو أمثالي من الوجود، حتى لا تشعر البورجوازية بالامتعاض، لست مثلكن، أنا شبقة، وأحِبُّ نفسي لكوني كذلك، وفوق كل شيء أحِبُّ شهواتي الدنيئة القذرة".

وبعد أن تركتهن مصدومات، ازداد توغلها في الجانب المظلم، لتعمل لحساب أحد جامعي الديون، ونظرًا لخبراتها الجنسية الواسعة كانت في قمة أدائها الوظيفي، خاصة في ذلك المشهد المهيب حين استخدمت مهاراتها النفسية في الكشف عن ميل أحد ضحاياها لحب الأطفال، ما دفعه للانهيار ودفع المبلغ المطلوب.

مُدمنة (Addicted)، فِيلم درامي مُثير أميركي مُقتبس مِن إحدى روايات الكاتبة الأميركية زِين يتحدث حول مَخاطر الرغبة والطيش، وهو مِن إخراج بيلي وودروف وإنتاج بول هول وَبطولة شارون ليال وبوريس كودجو وويليام ليفي وتايسون بيكفورد وإصدار 10 أكتوبر من عام 2014.

يَتكلم الفِيلم عَن سيدة أعمال ناجِحة تُدعى زوي رينارد (شارون ليال) التي لَديها زوج مُحب (بوريس كودجو) وثلاثة أطفال رائعين وبيت جَميل وعائلة سَعيدة ومِهنة مُزدهرة؛ لِذا تَبدو حياتها مِن الخارج مثالية إلا أنها عكس ذلِك تمامـــًا، حيث أنها تُعاني إدمان الجنس وزوجها مُنهمك في العمل وتربية الأولاد؛ لِذا يُهملها بِغير قصد منه، فتلجأ إلى خيانة زوجها مع كل رجل تُصادفه وتتورط في علاقات شهوانية وعابرة مَعَهُم. بسبب ذلك تعيش حياة مزدوجة مُهددة تعيسة؛ حيث أنها لا تستطيع الفرار منهُم أو مُقاومتهم وتجد نفسها مندفعة باتجاه طريق مَحفوفة بِالمخاطر لا تُكلفها علاقتها

بزوجها فقط بل تُهدد حياتها أيضـــاً!

في عام 2012، قالت الممثلة، غوينيث بالترو، إن "إدمان الجنس" حالة "حقيقية" يعاني منها البعض. جاء ذلك في إطار تعليقها على فيلمها "شكرًا للمشاركة" أو Thanks for Sharing

وقالت بالترو، عن "إدمان الجنس": "أعتقد أنها حالة حقيقية للغاية، مرض يعاني منه البعض.. يمكن تقبلك اجتماعياً إذا كنت تعاني إدمان الكحول، لكن الجنس.. إنه عار بحق".

لعبت النجمة الحائزة على الأوسكار في فيلم "شكرًا للمشاركة" دور صديقة رجل يتعافى من "إدمان الجنس"، وهو الممثل مارك روفالو، والفيلم الكوميدي من إخرج ستيوارت بلومبرغ.

في الفيلم، يحاول (آدم) الانتهاء من كتابه عن إدمان الجنس، الذي استغرق منه خمس سنوات،منذ أن عرف إدمانه،وبدأ العلاج. أما (نيل) المدمن على الجنس، والذي يحاول أن يقتدي بـــ (آدم) لكنه ضعيف الإرادة تجاه النساء، فإنه يقابل (فيبي) الجميلة التي تبدو مثالية بالنسبة له، لكن تكمن المشكلة في أنه لم يدخل في علاقة منذ وقت طويل، فضلًا عن أنها لا تواعد مدمني الجنس؛ لذا فإنه يبدأ في إقامة علاقة مع زميلة له في العلاج الجماعي.

"عار" (Shame) هو فيلم درامي بريطاني من إخراج وكتابة ستيف ماكوين آبي مورغان. وبطولة مايكل فاسبندر وكاري موليغان. بدأ عرض الفيلم في الولايات المتحدة في 2 ديسمبر 2011 بإصدار محدود وحصل على تصنيف NC-17 بسبب المشاهد الإباحية الواضحة. حقق الفيلم أرباحـــاً تقدر بـــ6،17 مليون دولار حول العالم منها 4 ملايين دولار في الولايات المتحدة.

يحكي الفيلم عن براندون، الموظف في شركة في نيويورك يحافظ على سرية حياته الخاصة الغارقة في إدمان الجنس والعلاقات العابرة، إلى أن تُربك زيارة مفاجئة لشقيقته كل حساباته وتقلب حياته رأســاً على عقب، خاصة بعد إعلانها أنها جاءت لتقيم معه بشكل دائم.

وحين نعبر ضفة الأطلسي، سنجد خبر تتويج الروّائية الفرنسية من أصل مغربي، ليلى سليماني، بجائزة المامونية في دورتها السادسة هذه السنة، عن روايتها "في حديقة الغول" DANS LE JARDIN DE L'ORG، والرواية صادرة عن دار غاليمار الفرنسية الشهيرة. تخصّص الجائزة، والتي تبلغ قيمتها أكثر من 20 ألف دولار، للكتّاب والكاتبات المغاربة والذين يكتبون باللغة الفرنسية، وتأتي في سياق "تشجيع الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، وتأمين إشعاعه دوليــاً".

حظيت الرواية نفسها قبل تتويجها بجائزة المامونية باحتفاء إعلامي كبير في الوسط الإعلامي الثقافي الفرنسي، نظرًا لجرأتها في تناول أحد

أهم التابوهات إثارة للجدل "الإدمان الجنسي عند المرأة".

اعتبرت لجنة التحكيم أن تتويج رواية ليلى سليماني جاء "لقدرتها على التطرُّق بشيء من الذكاء والبراعة إلى موضوع حساس نادرًا ما تَمّ التطرُّق إليه في الأدب المغربي، واعتبرتها عملًا متكاملًا". كما أن الرواية حظيت بمتابعة إعلامية في الوسط الإعلامي الفرنسي؛ إذ اعتبرت من النصوص الروائية اللافتة في الدخول الثقافي في فرنسا السنة الماضية إلى جانب المقالات التي تناولتها بالنقد والتحليل، خصوصـــًا جرأتها في سبر أغوار العلاقات الإنسانية والاقتراب من موضوع "الإدمان الجنسي عند المرأة"، لدرجة أن بعض المقالات وسمتها بـــ"بوفاري" الحديثة، وسبق ليومية "ليبراسيون" الفرنسية أن خصّصت لها صفحة كاملة، كما تَمّ ترشيح نفس العمل الروائي لنيل جائزة فلور الأدبية وهي الجائزة التي ذهبت للكاتب الفرنسي الشاب أورليان يبلنجر عن روايته "الأرض" (صادرة عن دار النشر نفسها).

الروّائية ليلى سليماني والمولودة في مدينة الرباط سنة 1981، من أم فرنسية ذات أصول جزائرية وأب مغربي، انتقلت سنة 1999 إلى العاصمة الفرنسية قصد متابعة دراستها وحصلت على دبلوم من معهد الدراسات السياسية بباريس، اشتغلت ليلى سليماني كمحرّرة وكاتبة بمجلة "جون أفريك"، حيث تخصّصت لكتابة موضوعات تهتم بشمال إفريقيا، وتفرّغت للكتابة بعد اشتغالها في العمل الصحافي كما

تستعد لإجراء بحث يخصّ الحياة الجنسية للمرأة في شمال إفريقيا. وقد بدأت الروّائية كتابة السيرة الذاتية في بداية مشوارها الأدبي، إلى أن أطلّت على الوسط الثقافي بروايتها "في حديقة الغول" من خلال جرأة في الحكي والكشف عن "مرض الشبق الجنسي عند المرأة" من خلال حكاية زوجين اختارت الزوجة أن تبحث عن علاقات خارج الأسرة منساقة حول شهواتها.

وتعتبر ليلى سليماني، التي عبّرت دائمـــًا عن إعجابها برواية "مدام بوفاري"، أن الإدمان الجنسي للمرأة ليس جديدًا، بحكم أنه ظهر في إنجلترا سابقـــًا، وكان يُشار إلى النساء واعتبارهن "مجنونات" وكن يتعرّضن للختان ويحتجزن في الملاجئ. رغم أن حكاية المرأة "آدل" في روايتها تهدف من إدمانها الجنس إلى الخروج من سلطة اليومي و"ضجرها البورجوازي"، فإن يبدو أن النص الروائي يتجه إلى خلق صراع أبدي بين "الشهوة" والبحث عن المطلق في سعي "شخصية المرأة إلى المثالي".

تشير الروّائية ليلى سليماني –التي فازت بجائزة غونكور في عام 2016– إلى أن فكرة الرواية تولّدت لديها سنة 2011 بعد انفجار قضية رئيس صندوق النقد الدولي سابقـــًا الفرنسي دومينيك ستراوس–كان، ففكرت في موضوع "الإدمان على الجنس من طرف امرأة"، كما نوّهت بأن الفضاء الأسري الذي عاشته، مكّنها من

الانفتاح أكثر على هذه الموضوعات بدون "عُقد مسبقة"، إلى جانب تناول الموضوع من زاوية "المعاناة والإدمان" عكس تلك النظرة التسليعية الاستهلاكية التي تسود في العالم. فيما اعتبرت لجنة التحكيم أن الرواية تروي بذكاء، الحالة الجسديّة والنفسيّة بلغة عميقة تسبر أغوار الذات/ذات الأنثى.

على المستوى الأكاديمي، يرى باحثون بريطانيون أن المواد الإباحية الجنسية لها تأثير على المخ مماثل لتأثير المخدرات على المدمنين.

ورغم عدم وجود أرقام دقيقة يعتقد خبراء في هذا المجال فإن واحدًا من بين كل 25 بالغـــاً ينتابه سلوك جنسي قهري يعرف أكثر باسم إدمان الجنس، وهو عبارة عن هواجس من الأفكار أو المشاعر أو السلوكيات الجنسية التي لا يمكن السيطرة عليها.

وقال الباحثون من جامعة كامبردج في دراستهم التي نشرت في دورية "بلوس وان" إن المشاهدة المفرطة للمواد الإباحية إحدى السمات الأساسية لإدمان الجنس الذي قد يؤثر على الحياة الشخصية لهؤلاء الأشخاص وعملهم ويتسبب في القلق والشعور بالخجل.

ودرس الباحثون نشاط المخ لدى 19 مريضـــاً بإدمان الجنس وقارنوا ذلك بحالات متطوعين أصحاء. وبدأ المرضى مشاهدة المواد الإباحية في سن مبكرة وبنسبٍ أعلى من المتطوعين.

وقالت فاليري فون التي قادت الدراسة بقسم الطب النفسي بجامعة كامبردج إن "المرضى في دراستنا هم أشخاص واجهوا جميعـــاً صعوبات في التحكم في سلوكهم الجنسي وكان لهذا تبعات كبيرة عليهم أثرت على حياتهم وعلاقاتهم".

وقالت: "في نواح كثيرة يكون هناك تشابهات في سلوكهم مع مدمني المخدرات. أردنا أن نرى ما إذا كانت هذا التشابهات تنعكس أيضا على نشاط المخ".

وعرضت سلسلة فيديوهات قصيرة بها محتوى جنسي صريح أو مباريات رياضية على المشاركين في الدراسة. وجرى مراقبة نشاط المخ باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي.

ووجد الباحثون ثلاث مناطق بالأخص في المخ بها نشاط أعلى لدى مرضى إدمان الجنس مقارنة بالمتطوعين الأصحاء. وأفاد الباحثون أن هذه المناطق تنشط أيضـــاً لدى مدمني المخدرات.

اختلاس اللذة.. وثالثنا الأمن!

فضيحةٌ يلتهمها الآخرون بنهم: اللقطات الحميمة على شريط فيديو.

وحينما يتحول الفراش إلى استوديو، تلتهب مشاعر "الجمهور" العربي من المحيط إلى الخليج.

وتزداد الإثارة كلما كان بطل الفضيحة نجمـــاً من نجوم الفن أو السياسة.

إنها شهوة اختلاس الفرجة واستراق السمع إلى رجال ونساء النفوذ ـ المالي والاجتماعي- والسلطة - السياسية والدينية- وهم متلبسون بإرضاء رغباتهم على شريط فيديو.. بل إن البعض يرى أنها نوعٌ من التشفي - المصحوب بالتلذذ- في هؤلاء الذين ينعمون

بالشهرة والمال والنفوذ.

تلك الشراهة نحو معرفة ما يفعل الآخر، لها أسبابها النفسية وربما دوافعها الشخصية، لكنها تفرز مجتمعـــاً ينحي المبادئ الأخلاقية جانبـــاً عندما يتعلق الأمر بفضائح الآخرين الموثقة بالصوت والصورة.

يفضل "الجمهور" عادةً أن تكون "بطلة" الفضيحة المصورة فنانة (من الطرب إلى التمثيل والرقص)، ربما لأنه تستقر في ذهن كثيرين صورة ذهنية سالبة مفادها أن الممثلة أو الراقصة هي امرأةٌ "سوبر" مكتملة الأنوثة تتقن لعبة الفراش ويسهل الوصول إليها.. وكوكبٌ يصبح غزوه إنجازًا يستحق التباهي والتفاخر في الأوساط الخاصة.

على درب الفضيحة، تتنوع وجبة "الفرجة" لتشمل مختلف الأصناف، من الراقصة المصرية دينا إلى نجمة المجتمع الأميركية باريس هيلتون مع صديقها ريك سالومون، مرورًا ببطلة التزلج الأميركية تونيا هاردينغ مع زوجها جيف جيلولي، ونجمة الإثارة باميلا أندرسون مع زوجها آنذاك تومي لي تارةً ومع صديقها بريت مايكلز تارةً أخرى.. ومن عارضة الأزياء اللبنانية نيكول بلان إلى الفنانة السورية نانا مع صديقها خليل كرم.

ومن العميد مصطفى ثابت "كومسير الدار البيضاء" إلى رئيس وزراء تونس سابقـــاً محمد مزالي الذي سجلوا له في منفاه الباريسي

شريط فيديو – يدفع البعض بأنه مفبرك – مع سيدةٍ كانت تحتل موقعـــاً في حزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم آنذاك، فتحدث عن ذلك حوار لمجلة عربية تصدر في العاصمة الفرنسية تحت عنوان شهير: "كسّتوني.. ليُسكتوني". عنوانٌ دالٌّ على الواقعة وعلى فهم مزالي لأصول لعبة الأمن.

منذ مطلع الألفية الثالثة وحتى اللحظة، سيطر مصطلح "العنتيل" على عقول المصريين واهتماماهم.

هذا على الأقل ما تؤكده بيانات محرك البحث الشهير غوغل، الذي أفادت تقاريره في نوفمبر 2014 بأن كلمة "العنتيل" تفوقت على جميع الكلمات التي استخدمها المصريون في عمليات البحث على "غوغل".

واستخدم المصريون مجموعة من كلمات البحث احتلت خمسة مراكز في عمليات البحث على محرك "غوغل"، وجاء في المركز الأول عبارة "عنتيل الغربية"، وفي المركز الثاني "جنازة معالي زايد"، وحلت كلمة "العنتيل" ثالثة، وفي المركز الرابع "عنتيل المحلة"، وفي المركز الخامس "عنتيل السنطة"، أما "عنتيل النور" فقد جاء سادســـاً[13].

وكلمة "عنتيل" لها أصل في اللغة الفرعونية القديمة حيث كان الاسم بـــ"أنتوري" وتعني "الرجل الناضج"، ثم تُرجِمَت بعد العصر

---

[13] غادة علي، "العنتيل" يحتل تفكير المصريين على "جوجل"، موقع "بوابة الوطن" الإلكتروني، 13 نوفمبر 2014.

القبطي ليكون معناها الرجل القوي وحمل اسم "عنتوري". وبمرور الأيام وتعاقب السنوات وكثرة الأجيال حُرِّفت الكلمة ليكون اسمها الدارج "عنتيل" وتحمل معنى الرجل الذي يستعرض فحولته الجنسية عبر علاقات متعددة مع النساء. وبطبيعة الحال ومع تطور التكنولوجيا، أصبح تسجيل هذه الممارسات جزءاً من طقوس الفحولة سواء للتباهي أو لابتزاز الضحية.

ما بين هذا اللقب وبين تهافت الناس على معرفة أخبار "العناتيل الجدد" أو مشاهدة أفلامهم تضيع ملامح انحراف الطباع ويبقى بريق الشهرة أو الشهوة في أذهان كثيرين.

للأسف يؤكد علماء النفس والاجتماع أن زيادة معدل الاهتمام بهذه النماذج في أي مجتمع مرتبط بزيادة نسب الضعف الجنسي فيه؛ إذ يكون هذا الاهتمام نوعـــاً من الإسقاط النفسي الذي يلجأ له الأفراد بشكل لا شعوري لإخفاء ضعفهم وعدم قدرتهم. ولا يخفى على أحد أن مصر تستهلك منشطات جنسية بنحو 15 مليار جنيه سنويـــاً[14].

في عام واحد (2014) كانت مصر على موعد مع 5 "عناتيل"، اختلفت ظروفهم وتنوعت أفكارهم لكن بقيت تصرفاتهم متشابهة، حيث ممارسة الجنس برغبة من ترضى، أو مواقعتها من أجل المال، مع

---

14 سامح جويدة، الثقافة والضعف الجنسي والعنتيل، موقع "اليوم السابع" الإلكتروني، 18 نوفمبر 2014.

تصوير العلاقة كاملة في فيديوهات جنسية يحتفظ بها صاحبها، لتكون الصدفة سيدة الموقف في فضح الأمر.

ومن صالات التدريب إلى قاعات المحاكم، انتقل عبدالفتاح الصعيدي، مدرب الكاراتيه بنادي بلدية المحلة، الذي حوكم وعوقب بعد إدانته بممارسة الجنس مع 35 سيدة والتسبب في إشاعة أفعال مخلة بالآداب، وتصوير نساء في وضع مخل ونشرها في المجتمع، مما يشجع على ممارسة الرذيلة.

ومن متعة شخصية كان المدرب المذكور حريصــاً على تسجيلها وحفظها على حاسوبه الخاص، للنساء اللاتي كان يواقعهن في غرفة ملحقة بصالة التدريب، انطلقت شرارة الحكاية، خاصة بعد أن طلب عبدالفتاح الصعيدي من قريب له إصلاح الحاسوب لعطل طرأ عليه، فعثر الأخير على ما رأى أنها "غنيمة" أو "فضيحة"، وأبلغ السلطات عن الصعيدي وتسجيلاته المصورة مع نساء من مختلف الأعمار، ليسقط المدرب في مارس 2014.

زاد موقف مدرب الكاراتيه صعوبة، بعد أن أقام زوج مقيم في السعودية دعوى زنى ضد زوجته والصعيدي بعد أن شاهد تسجيلًا مصورًا للزوجة وهي في أحضان مدرب الكاراتيه[15].

---

[15] محمد فايد، بطل فضيحة المحلة ينفي صلته بالفيديوهات الجنسية ويزعم تركيبها "فوتوشوب"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 11 مايو 2014.

وفي مايو 2014، جاء ثاني "العناتيل" إبراهيم المهدي، فقد تسبب ظهور فيديوهات جنسية جديدة لمدير مركز الشباب في مدينة إيتاي البارود بمحافظة البحيرة، في اشتعال الأوضاع داخل المدينة الهادئة، حيث تداول شباب المدينة 31 تسجيل فيديو فاضح عبر المواقع الإباحية، وتبيّن أنه أقام علاقات جنسية مع عدد من النساء داخل مركز شباب قرية قليشان، إما بالموافقة دون مقابل وإما بمقابل مادي 100 جنيه. غضب أهالي الضحايا دفعهم إلى حرق مترله، ومنازل بعض أقاربه، ومحل الكوافير والاستوديو الخاصين به[16].

ويجيء شهر أكتوبر ومعه سقوط "العنتيل" الثالث المعروف إعلاميــًا بــ"عنتيل دمنهور"، والذي يعمل مقاولًا معماريــًا، لكن قضيته لم تشتهر كثيرًا حيث تم إخلاء سبيله هو وعشيقته بكفالة 5 آلاف جنيه لكل منهما.

وفي نوفمبر، انتشرت قصة "عنتيل الغربية"، بعد نشر خبر على المواقع الإخبارية عن اكتشاف شاب أثناء إصلاحه عطلًا في جهاز "لاب توب" لرجل ملتحٍ، مجموعة من الفيديوهات تجمعه بنساء في مشاهد فاضحة.

---

[16] وسيم عفيفي، "عنتيل".. اسم من أصل فرعوني لصفة خُلق دفع ثمنه شاعر أزهري موهوب، موقع "أون مصر الإخبارية" الإلكتروني، 19 نوفمبر 2014.

أخذ الكل يتفرجون على فضائح العنتيل الجنسية، لكنهم أيضاً هاجموه وحاولوا التبرؤ منه، من الأهل والجيران إلى حزب "النور" السلفي الذي قال إنه لا علاقة له بالمدعو ممدوح حجازي، صاحب شركة الدعاية والإعلان في قرية أبو الجهور بمركز السنطة في محافظة الغربية. أما زوجته وتدعى "مريم.أ" فقد هاجمت المحتشدين أمام المترل – بعد هروب زوجها وتواريه عن الأنظار– قائلة: "إن زوجها راجل ولا يعيبه أي شيء ولم يجبر أي سيدة من اللاتي ظهرن معه في الفيديوهات على الذهاب إلى الشركة، حيث إنهن كن يذهبن إليه بمحض إرادتهن لممارسة تلك الأفعال، وعلى كل رجل أن يحكم زوجته ويلمها قبل مهاجمة زوجي"[17].

حسب الأهالي، فإن المدعو ممدوح حجازي صاحب مقاطع الفيديو متزوج من 3 نساء، وقد أُجبِر على ترك شقته بعد انكشاف أمره، خاصة أن الفيديوهات ظهرت فيها صور لنساء تربطه بينه وبينهن الجيرة؛ لذا فر تاركـاً شقته التي تقدر بـ250 ألف جنيه، خوفـاً من ذبحه واصطحب معه زوجتين له إلى الإسكندرية، في حين أصرت الزوجة الثالثة على الطلاق[18].

---

[17] أحمد فتحي ورفيق ناصف، سائقا "توك توك" في شوارع السنطة: أسطوانة "العنتيل" بـ5 جنيه، موقع "بوابة الوطن" الإلكتروني، 13 نوفمبر 2014.

[18] علاء شبل، 20 حالة طلاق بالسنطة بعد "فيديوهات الملتحي".. وأمن الغربية: لم نتلق أي بلاغ رسمي، موقع "بوابة الشروق" الإلكتروني، 12 نوفمبر 2014.

من جهتها، حاولت قيادات سلفية في تلك المنطقة ترضية أسر السيدات اللاتي ظهرن في مقاطع الفيديو حتى لا تتفاقم الأزمة وطلبت منهن مغادرة أماكن سكنهن الحالية ووعدتهن بدفع تعويضات مناسبة مقابل عدم تقدمهن ببلاغات إلى النيابة للتحقيق مع المتورط في الفضيحة[19].

شهدت القرية أكثر من 20 حالة طلاق عقب نشر الفيديوهات ونشبت خلافات زوجية عدة مع حالات أخرى ساور الشك أزواجهن؛ لأن الجاني بحكم عمله في مجال الدعاية والإعلان دخل العديد من المحال والمشروعات التجارية بالسنطة وبالتالي أصبحت العاملات في تلك المحال في دائرة الشبهات، وكان اللافت أن غالبية ضحايا حجازي كُن من زوجات البسطاء الذين يثقون فيه كرجل ملتزم ثقة عمياء.

انتشرت أسطوانات فضائح حجازي الجنسية، وتفاوتت أسعار "الفرجة" بدءاً من 5 جنيهات لنسخ المقطع الواحد ووصل السعر إلى حاجز 100 جنيه لدى الباعة الجائلين ومعظم محال الكاسيت والفيديوهات المنتشرة على مستوى قرى ومراكز محافظة الغربية. بل إنه تم تداول الفيديوهات الخاصة به عبر الهواتف المحمولة، وموقعَي التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر.

---

[19] مصطفى الشرقاوي، بعد نشر 62 فيديو ساخن.. "عنتيل النور" بالغربية يمارس الرذيلة مع عشرات السيدات، موقع "بوابة التحرير" الإلكتروني، 11 نوفمبر 2014.

وصل الأمر إلى أن عددًا من سائقي التوك توك أطلقوا على شارع المحطة، الكائن به مقر شركة المتهم بكونه "عنتيل الغربية"، اسم "حجازي"[20]!

في نوفمبر أيضـــًا، قال مسؤول أمني بمديرية أمن الغربية إن قوات الشرطة وتحريات المباحث رصدت فيديوهات جديدة لعنتيل خامس يعمل محاميـــًا حُرًا، وأضاف أن العنتيل الجديد في العقد الخامس من العمر، وتم رصد فيديوهات مسربة له أثناء ممارسته الرذيلة مع 5 سيدات[21].

في تفسير ظاهرة فيديوهات "العناتيل" التي انتشرت أخيرًا، تتعدد اجتهادات علماء النفس والاجتماع والدين وخبراء الأمن، ويجمع بينها التأكيد على أن أصحابها يعانون اضطرابات نفسية دفعتهم لتصوير أنفسهم وقت ممارستهم العلاقات الحميمة، ومثلما يضع الخبراء "عناتيل" الفيديوهات تحت لافتة المضطربين سلوكيـــًا، فإنهم يرون أيضـــًا أن "بطلات" هذه الفيديوهات لديهن استعداد لممارسة إقامة علاقات متعددة خارج نطاق الزواج وصولًا إلى البغاء، وتتعدد أسباب دوافعهن في هذا الشأن ما بين معاناة بعضهن من برود جنسي،

---

[20] المصدر نفسه.

[21] أحمد فتحي ورفيق ناصف، "عنتيل" جديد في الغربية.. تسريب فيديوهات لمحام يمارس الجنس مع 5 نساء، موقع "بوابة الوطن" الإلكتروني، 17 نوفمبر 2014.

ورغبة البعض الآخر في الحصول على المال بأي مقابل، حتى لو كان الثمن هو بيع أجسادهن، إلى جانب تفسيرات تقليدية لمعاناة البعض الثالث من عُقد سواء في طفولتهن أو في حياتهن الزوجية، إن كُن متزوجات.

تزداد مساحة انتشار وتداول هذه الفضائح في بلد يعشق الهواتف المحمولة ويقتني أحدثها رغم الأوضاع الاقتصادية الصعبة، وفي وطن أصبحت أجهزة الكمبيوتر فيه وسيلة لتبادل وتداول ملفات وسيديهات الجنس بدلًا من ملفات الأبحاث والكتب.

وفي مطلع العام 2003 انتشر في أنحاء مصر شريط جنسي للراقصة دينا ورجل الأعمال حسام أبو الفتوح صاحب توكيل سيارات "بي إم دبليو". دينا، التي أنكرت علمها بعملية التسجيل، قالت إنها كانت متزوجة من أبو الفتوح عرفيًا في العام 1993 الذي شهد تسجيل علاقتهما الحميمة في شقة رجل الأعمال في لندن.

لم يكن شريط دينا هو الشريط الوحيد في القضية التي كان أبو الفتوح يحاكم بسببها أمام القضاء (وهي في الأساس قضية مالية، غير أن التسجيلات تسربت بعد تفتيش الشرطة للفيلا التي كان يملكها!).. فقد كانت هناك تسجيلات مصورة منها 11 شريطًا لمطلقة ابن مطرب شهير راحل، وشريط لابنة وزير سابق ترك السلطة منذ سنوات بعيدة،

وآخر لزوجة رجل أعمال كان يقضي عقوبة السجن في قضية مالية، وشريط لمطربة غير مصرية رمزوا لها بالحرفين (ف. س.)، وشريط لزوجة رجل فنادق شهير. صحيح أن عدد بطلات تسجيلات حسام أبو الفتوح يتجاوز الثلاثين من سيدات المجتمع وبنات العائلات، غير أن دينا كان لها نصيب الأسد من التركيز الإعلامي.. ربما بحكم شهرتها كراقصة.

انتشر الشريط الجنسي مثل النار في الهشيم وانتقل من القاهرة إلى الأقاليم ثم زحف إلى الخارج من أجل عيون المغتربين في إطار ما يمكن أن نسميه: تصدير الفضيحة.

حسام ودينا كان ثالثهما هذه المرة: الأمن.

وحتى الآن، تثار تساؤلات حول الجهة التي تعمدت تسريب هذا التسجيل بالذات والتربح من ورائه سواء على المستوى المادي أو بهدف إلهاء المصريين عن أزماتهم الاقتصادية والسياسية المتلاحقة. وخطورة ما حدث في شريط دينا وأبو الفتوح أنه يكرس قاعدة تسريب واستباحة "أحراز" القضايا بفعل فاعل لتكون في متناول الجميع.

وفي صيف عام 2002، تسربت من قبل الأفلام الإباحية الخاصة بفضيحة طبيب الأسنان المصري محمد العجماوي، الذي كان يعالج في عيادته الفخمة في حي الدقي عددًا كبيرًا من سيدات المجتمع والفنانات والمذيعات.

في التحقيقات، قال الطبيب إنه كان يصور بكاميرا الفيديو تلك اللحظات للاستخدام الشخصي، ودفع بأن مطلقته تمكنت من سرقة هذه التسجيلات المصورة القديمة من منزله بغرض الانتقام. وسرعان ما انتشرت تلك المشاهد في الأسواق وباعها البعض تحت اسم "فيلم الدكتور".. وضمت التسجيلات 14 امرأة، من بينهن ممرضاته الثلاث. غير أن العجماوي نال حكمـــاً بالبراءة في أكتوبر من العام نفسه، بعد أن أثبت عبر محاميه أنه لم يكن وراء نشر هذه التسجيلات "الخاصة" التي قال إنها صُوِّرَت كلها بالتراضي ودون إكراه.

وتناقل مالكو الهواتف المحمولة عبر تقنية البلوتوث لقطاتٍ منسوبة للممثلة الشابة دنيا سمير غانم، ابنة الفنانين سمير غانم ودلال عبدالعزيز، تظهر فيها بحمالة الصدر فقط في نصفها العلوي لمدة عشر ثوانٍ. وفي الكليب الذي صوره صديقٌ لها، تظهر دنيا بملابسها الداخلية في الحمام وهي تتحدث إلى هذا الصديق الذي يبادرها في اللقطة الأولى بالقول ممازحـــاً "لقطتك"!

وعندما ظهرت اللقطات المذكورة، كانت دنيا متفرغة لتصوير مسلسل "أحلام البنات" من تأليف مجدي صابر وإخراج رائد لبيب. وفي المسلسل لعبت دنيا دور فتاة تعاني انفصال والديها وتتورط في علاقةٍ غير شرعية مع شاب مستهتر لا يحافظ عليها.

وفي بعض الأحيان تُسرب السلطة وأجهزتها فضيحة خاصة لهذا

المسؤول أو الفنان أو رجل الأعمال لشغل الرأي العام وصرف انتباهه عن أمور أخرى.. إنها هنا تُلقي بورقة الجنس إلى الرأي العام لغرض في نفس "يعقوب".. وما أدراك ما يعقوب هذه الأيام!

وفي 16 مارس 1993 كانت مقاعد مجلس الشعب المصري كاملة العدد استعدادًا لمتابعة طلب الإحاطة الذي تقدم به النائب كمال خالد، نائب دمياط، عن الفساد الأخلاقي لكبار المسؤولين في الدولة. وهكذا استمع النواب إلى نص الحوار الهاتفي بين المشير محمد عبدالحليم أبو غزالة وزير الدفاع المصري وحسناء بيانكي الأرمنية لوسي آرتين –قريبة الفنانتين نيللي ولبلبة– والذي يقول فيه المشير إنه سيكلم محافظ السويس تحسين شنن، بحثـًا عن وساطةٍ مع القاضي الذي ينظر في قضية النفقة المرفوعة منها ضد زوجها هاجوب آرتين.

في الجلسة المذكورة عرض النائب كمال خالد نص حواراتٍ هاتفية ساخنة بين مساعدي وزير الداخلية آنذاك وهما اللواءان حلمي الفقي وفادي الحبشي.. وتضمنت التسجيلات أحاديث عما يدور في غرف النوم وأنواع وألوان الملابس الداخلية وشكل الأوضاع الجنسية.

ولعل من اطلع على نسخةٍ من محاضر التحقيق مع رئيس مجلس الشورى المصري – ووزير الإعلام السابق لأكثر من عقدين من الزمان– صفوت الشريف أيام كان مجرد ضابط مخابرات يتولى

عمليات التصوير السرية في أواخر الستينيات باسمه الحركي "موافي"، سيصعق لمعرفة تفاصيل عمليات تسجيل مشاهد الفراش لفنانات - بينهن سعاد حسني واعتماد خورشيد وشريفة ماهر- ومسؤولين مصريين وعرب وأجانب تحت إشراف مدير المخابرات آنذاك صلاح نصر.

وفي صباح الأحد الموافق 17 يونيو 2001، استيقظ المصريون على واقعة ألهبت المشاعر وأشعلت الغضب في صدور كثيرين، عندما خرجت جريدة "النبأ" الأسبوعية في عددها رقم 663 بموضوعٍ صحفي وصور فاضحة حول ممارسة جنسية لراهب مخلوع يمارس الجنس مع سيدة. تبين أن الصور مأخوذة عن شريط فيديو جنسي صوَّره الراهب المشلوح برسوم المحروقي، الذي تم خلعه قبل ست سنواتٍ من تاريخ الواقعة ومنعه من دخول الدير بسبب شكاوى وردت إلى الدير من تصرفات وسلوكيات غريبة صدرت عنه، بالإضافة إلى اتهامه بممارسة الدجل والسحر الأسود.

أثارت الصور -والشريط الجنسي- أزمة واحتجاجات واسعة للأقباط في مصر. وكانت النتيجة هي إغلاق صحيفة "النبأ" -التي عاودت الصدور بعد ذلك بسنوات- ومحاكمة وسجن صاحبها ممدوح مهران، الذي توفي لاحقًا إثر أزمة قلبية. بالتأكيد فإن نار الفضيحة أحرقت بشكل أو بآخر ثوب السيدة التي كانت قد تقدمت

بشكوى ضد تهديدات وتأثير راهب دير المحرق في أسيوط. أما الراهب المخلوع بطل الفضيحة، الذي وصفه البعض بأنه راسبوتين جديد، فهو حتى تاريخه وساعته.. فص ملحٍ وذاب[22].

وأطاحت صور فاضحة للمستشار ناصر عبدالرحمن أحمد جابر مع فتيات آسيويات بمستقبله ووظيفته. وأصدر مجلس تأديب القضاة في صيف 2016 حكمـــاً بإحالة المستشار نائب رئيس مجلس الدولة، صاحب الصور الفاضحة التي تداولتها صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى المعاش، وتم إرسال الحُكم لرئاسة الجمهورية لاستصدار قرار جمهوري بإحالة القاضي المذكور للمعاش، أي فصله من وظيفته القضائية دون توفير وظيفة إدارية بديلة له[23]. وتعتبر هذه العقوبة هي الأشد بين البدائل التي يملكها مجلس التأديب، حيث يمكنه إصدار أحكام بإحالة القضاة المساءلين تأديبيـــاً إلى وظيفة إدارية بإحدى الجهات الحكومية، أو اللوم، أو التبرئة.

حكم إحالة هذا القاضي إلى المعاش استند على الصور الفاضحة التي جمعته ببعض الفتيات الآسيويات في أماكن للسهر، والتي تم تداولها منذ عام 2013 على صفحات التواصل الاجتماعي. واكتشفت الصور الفاضحة بعد رفع بعضها على صفحة «فيسبوك»

---

[22] د.ياسر ثابت، جرائم بالحبر السري، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2010، ص 207-208.

[23] محمد بصل، مجلس الدولة يحيل «قاضي الصور الفاضحة» إلى المعاش، موقع "بوابة الشروق" الإلكتروني، 9 سبتمبر 2016.

الخاصة بإحدى الفتيات الظاهرات في الصور، فيما أكد مقربون من القاضي الذي كان يعمل في قطر على سبيل الإعارة، أنها التقطت خلال رحلة سياحية.

ارتأى مجلس التأديب أن هذا القاضي وضع نفسه موضع الشبهات بوجوده في أماكن سيئة السمعة ومخالطة ومجالسة النساء فيها، بما لا يليق بقامة وقيمة القضاة، ويتناقض مع السمات الواجب توافرها في القضاة المنتمين لمجلس الدولة. حاول القاضي المذكور التنصل من هذه الصور بطرق شتى، والتهوين من أثرها، إلا أن مجلس التأديب أصر على إدانته.

وفي سبتمبر 2011، قبضت قوات الأمن المصرية على منتج سينمائي شهير بتهمة تصوير أفلام لعدد من الفنانات والشّخصيات المعروفة أثناء ممارسته الجنس معهن قبل تحقيقهن الشهرة، وذلك لإجبارهن على العمل معه وحده من دون شركة أخرى.

ورصدت مباحث الجيزة 53 فيلماً لعدد من الفنانات وضعها المنتج السينمائي على الإنترنت، حيث تمت مداهمة مقر شركته، لتضبط قوات الأمن أسطوانات تحوي أفلاماً إباحية خاصة بالمتهم مع الفنانات، وتبين أن معظمهن من الفنانات الشهيرات خلال السنوات العشر السابقة لواقعة القبض، بالإضافة إلى 5 فنانات لبنانيات[24].

[24] محمد عبدالحميد، القبض على منتج سينمائي يمارس الجنس مع بطلات أفلامه، جريدة "الأهرام"، القاهرة، 22 سبتمبر 2011.

نيكول بلاّن، التي درست تصميم وتسويق الأزياء في جامعة كاليفورنيا، اختارت لنفسها مهنة تصميم العباءات عبر مؤسستها "مفتاح الشرق"، بعد أن حققت شهرتها في عالَمي الجمال وعروض الأزياء. نجحت نيكول في عالم الأزياء، حتى ارتدت من تصاميمها المغنية الكندية سيلين ديون.

عاطفيـــاً، ارتبطت نيكول بعلاقة مع المغني اللبناني فارس كرم، قبل أن ترتبط برجل الأعمال صاحب مطعم "Le Particulier"، يعقوب خوري، في 14 يوليو 2011، وعاشا في مترلهما في منطقة الكسليك، لكن لم يمض عام واحد على ارتباطهما حتى توفي الزوج وهو في سن الثامنة والثلاثين، إثر إصابته بذبحة قلبية أودت بحياته على باب المبنى حيث شقتهما الزوجية.

لكن تعالوا نتكلم عن حكاية الشابة العشرينية نيكول وصديقها مروان كيروز.

بدءاً من نوفمبر 1995، انتشر في الجامعة الأميركية في بيروت شريطٌ جنسي مثير لوصيفة ملكة جمال لبنان للعام 1995، نيكول بلاّن، مع صديقها مروان كيروز، بطل رياضة "مواي تاي" ومدرب الألعاب القتالية. وقتها، بيعت النسخة الواحدة من ذلك الفيلم الإباحي بمبلغ يتجاوز 100 دولار.

في 21 مارس 1996، طالب المدعي العام في بيروت بسجن نيكول بلاّن لمدة عام، واقم الحسناء المولودة عام 1970 بانتهاك الآداب العامة والاشتراك في بطولة شريط فيديو مترلي إباحي.

وطالب المدعي العام للدولة في لبنان – حينذاك– فوزي داغر بالسجن لمدة تصل إلى عام لصديقها مروان كيروز أيضـــًا ورجلين آخرين زعم أهم شاركوا في تسويق الفيلم الإباحي الذي تبلغ مدته 20 دقيقة وتسرب في ظروف غامضة وانتشر في لبنان ودول عربية أخرى.

في ساحات القضاء، دفع الثمن "صديق" مروان كيروز، الذي سرق شريط "الألعاب القتالية" المذكور، ونسخه مع صاحب محل للأفلام، قبل أن تقضي المحكمة بسجنهما.

أما مروان كيروز، فقد تزوج وانتقل للعمل في السعودية، كما أصبح مالك ومدير فندق "إتوال سويت" ETOILE SUITES الذي استضاف جلسات الحوار الوطني اللبناني في 2006، ويرتاده سياسيون ونواب معروفون، نظرًا لوجوده المنطقة الذهبية المخصصة للمشاة في وسط بيروت التجاري وبالتالي قربه من مبنى البرلمان[25].

المفارقة أن مشكلة بلاّن انفجرت في وقت شهد فيه لبنان صعودًا قويـــًا جديدًا لثقافة البصرية، محمولًا على الفضائيات وأجهزة

---

[25] سناء الجاك، أقطاب الحوار اللبناني يحولون "إتوال سويت" من "بوتيك أوتيل" إلى قلعة أمنية حصينة، جريدة "الشرق الأوسط"، لندن، 20 مارس 2006.

الفيديو المحمولة باليد وبدايات انتشار الكمبيوتر والإنترنت. كان أيضـــاً زمن التغيير بمعانٍ كثيرة، خاصة فيما يتعلق بمساعي الخروج من دوامة الحرب الأهلية في لبنان والتخلص من إرثها وثقافتها[26].

تقول الصحفية اللبنانية نضال الأحمدية: "خلال عملي في مجلة "نادين" لم أنشر سوى أخبار فضيحتين بالوثائق والأدلة القاطعة وليس بالاعتماد على الشائعات.. وهما فضيحة فيلم إباحي يتعلق بنيكول بلآن.. والثانية كانت تتعلق بإلقاء القبض على شبكة دعارة تتألف من 27 شخصاً في عام 1997، كان بينهم عددٌ من الفنانين، من أشهرهم هيفاء وهبي".

وفي عام 2005، انتشر عبر الهواتف النقالة فيلم إباحي بطلته فتاة تشبه الفنانة هيفاء وهبي التي أنكرت أي علاقة لها بالفيلم، بل سارعت إلى رفع دعوى قضائية تعلن فيه تبرؤها منه، وتتهم كلًا من مدير أعمالها السابق كريم أبي ياغي، والفنانة رولا سعد والإعلامية نضال الأحمدية بفبركة الفيلم، بغرض أذيتها والنيل من سمعتها. وبقيت الدعوى موضوع النزاع شهورًا طويلة أمام القضاء، الذي رفض محاكمة المتهمين لعدم وجود أدلة تدعم ادعاءات هيفاء.

"كلن بدن نانا" عنوان الكليب الذي أخرجه جاد صوايا

---

[26] أحمد مغربي، علياء المهدي ونيكول بلان وثمن الثقافة البصرية، جريدة "الحياة"، لندن، 4 ديسمبر 2011.

للراقصة الحلبية نانا، واسمها الحقيقي نجوى قعقع. نانا دخلت أبواب الشهرة بطريقة أخرى؛ إذ انتشر في 2008 فيلم إباحي لها مع صديقها خليل كرم الذي كانت تعيش معه في بيروت.

وفي لقاء مع تليفزيون "الجديد" اللبناني، قال بطل الشريط الإباحي خليل كرم إن نانا هي التي طلبت تصوير الفيلم في أحد الفنادق – بإيعاز من مخرج فيديو كليب مصري لم يذكر اسمه – لإثارة غيرة فتاة أخرى كانت على علاقة معه، وتأكيد أنه ما زال على علاقة غرامية بالفنانة السورية. ونفى خليل – الذي جرى توقيفه والتحقيق معه أمنيـــاً في بعبدا – أن يكون وراء تصوير الفيلم الإباحي، قائلًا إن نانا – وهي زوجة وأم لطفل– هي التي سرَّبت الفيلم طلبـــاً للشهرة، لكنها فوجئت برد فعل سلبي دفعها إلى الهروب والتواري عن الأنظار. خليل – الذي اعترف بأنه يعمل في مجال القوادة والدعارة– قال أيضـــاً إن من صوَّرت الفيلم هي صديقة مشتركة تُدعى ماريان، مشيرًا إلى أنها فضحت هويتها في اللقطات الأخيرة من الفيلم التي التقطتها لنفسها[27].

الطريف أن نانا – التي كانت تقيم في بيروت بحثـــاً عن الشهرة– ادعت في البداية أنها كانت فاقدة للوعي وتحت تأثير مادة مخدرة أثناء

---

[27] http://www.youtube.com/watch?v=MxuRKcxHeL8&feature=related

تصوير الفيلم، الذي تتجاوز مدته 6 دقائق، وهو ما تفند صحته المشاهد التي تُبين أنها كانت في كامل وعيها.

ونقل تليفزيون "الجديد" مقتطفات من اتصالات هاتفية مباشرة بين نانا –أثناء وجودها في دبي– وخليل كرم، وتبادل العتاب بينهما بشأن تسريب الفيلم الإباحي، مع عبارات غرامية، ووعود منها بأن ترسل له مبالغ مالية قريبـاً[28].

وتناقلت الهواتف المحمولة مقاطع ساخنة للممثلة السورية لونا الحسن مع شخص يُدعى مهند حمود، وفق ما ظهر من خلال مناداتها له في لحظات حميمة.

تجاوزت المدة الزمنية لبعض المقاطع عشر دقائق، وكلها مشاهد ساخنة، تُذكّر المشاهدين بالأفلام التي سُرِّبت لرجل الأعمال السوري المعارض فراس مصطفى طلاس مع سوسن كيالي، زوجة شريكه كمال بيتموني، وكذلك الفيلم الذي تسرب للقيادي السابق في "جبهة النصرة" (أو قائد "كتائب الفاروق" سابقـاً) الملازم أول عبدالرزاق طلاس، فضلًا عن فيلم آخر له عبر موقع سكايب مع صحفية سورية مغمورة اسمها ميديا داغستاني من حمص.

وتسربت لقطات فيديو مختلسة للفنانة نانسي عجرم في مركز للتجميل، أثناء عملية نزع الشعر الزائد. وما كان من نانسي إلا أن أقامت دعوى قضائية على مركز التجميل الذي تم إغلاقه بالشمع

---

[28] http://www.youtube.com/watch?v=eN0KEbddlxw&feature=related

الأحمر. واتضح بعد ذلك أن عاملًا في الصالون كان يعرف بمواعيد تلك الفنانة، فخطط لتصويرها خلسة عبر هاتفه المحمول.

عارضة الأزياء اللبنانية جويس عبود، كانت بطلة فيلم إباحي مدته 22 دقيقة، مع خطيبها في منتجع لبناني، لكن الفيلم لم يثر ضجة كبرى، ربما لأن جويس كانت عارضة أزياء وفنانة مغمورة، ولم تكن في الواجهة الإعلامية آنذاك. يبدو من خلال صور الفيلم أن جويس كانت راضية عن تصويره؛ إذ كانت تمثل مع خطيبها وتضحك وتعلق وتنظر إلى الكاميرا، أثناء المشاهد الحميمة وبعدها.

وتداولت مواقع إلكترونية في إبريل 2011 شريط فيديو للفنانة اللبنانية ومقدمة البرامج التليفزيونية رزان مغربي. والفيديو عبارة عن مشاهد التقطت بكاميرا الهاتف المحمول، وتظهر فيه رزان وهي تسرد لآخرين كيف تعرفت على صديقها – وزوجها لاحقـًا– "ناجي"، الذي كان موجودًا في الفيديو وهو يرتدي سروالًا قصيرًا ويحمل في يده زجاجة بيرة.

وحكت رزان في الفيديو كيف رأت ناجي لأول مرة وكان يستحم فأعجبها جسده العاري، ثم أخذت تعدد مناقبه بوصفه عشيقـًا فحلًا في الفراش. وبعد إيحاءات جنسية باستخدام قلب وحبتَي شوكولاتة، ظهر صوت المصور وهو يقول لرزان ممازحـًا don't eat my eggs. ثم تركع رزان على الأرض بين قدمَي ناجي

وتتحسس جسده بشكل فاضح، قبل أن تدس يدها داخل سرواله القصير.

يُذكر أن الأفلام الإباحية أصبحت قضية شائكة في لبنان وتشغل المراهقين والجمهور العربي. وثمة جميلات يعتمدن الأفلام وسيلة للشهرة، مثل المغنية منار التي كانت قد صوَّرت بعض المشاهد بغية الترويج لنفسها، ثم أثيرت ضجة عندما عقدت مؤتمرًا صحفيـــاً زعمت فيه أنها تعرضت للخطف وأُجبرت على تصوير الفيلم، ولاحقـــاً استدعيت إلى التحقيق من قبل الشرطة اللبنانية لمعرفة ملابسات ما حصل.

وفي مطلع عام 2012، تسرب للفنانة اللبنانية مروى شريط فيديو تناولته مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ويوتيوب، يتضمن لقطات محذوفة لها من فيلم "أحاسيس" تظهر فيه وهي تستحم عارية من نصفها العلوي، وتحاول عبثـــاً إخفاء صدرها بيديها.

اتهمت الفنانة مروى مخرج الفيلم هاني جرجس فوزى بتسريب الفيديو عن طريق "صحفي فاسد"، معتبرة أنهما خرجا عن شرف مهنة المخرج والصحفي.

وأكدت مروى أن السبب الذي دفع المخرج لهذا التصرف هو أنه وقع بينهما عدة خلافات أثناء تصوير الفيلم، أولها عندما طلب منها أن تصور أحد مشاهد الفيلم وهي ترتدي مايوه على البلاج في الغردقة،

لكنها رفضت وأغلقت الخط في وجهه. كما اختلفت مروى مع المخرج مرة أخرى عند تصوير أفيش فيلم "أحاسيس"، حيث فوجئت أن صورها قد وضعت في طرف الإعلان على الرغم من اتفاقها مع منتج الفيلم أن تكون صورها في الصدارة لكونها من أبطال الفيلم.

وأضافت الفنانة اللبنانية أنها شرحت كل ملابسات هذا الفيديو بكل صراحة أمام نقيب المهن الموسيقية في مصر الفنان إيمان البحر درويش، وأنه تفهم جيدًا "المؤامرة" التي تعرضت لها، وسمح لها بمزاولة عملها في مصر على أن تكون حريصة في الأدوار التي تقدمها فيما بعد[29].

على أن الفيديو الذي صوَّرته مروى في الفيلم كان لها وهي تستحم، وصدرها عارٍ تمامـــًا، بالرغم من محاولاتها إخفاءه، وهو يعني علمها بالتصوير، بغض النظر عن موضوع موافقتها على عرض هذه المشاهد الجريئة من عدمه.

وقد سبق للفنانة اللبنانية مادلين طبر أن وقعت في فخ اللذة المسجلة، فقد تزوجت من رجل أعمال مصري، قبل أن تطفو خلافات على سطح علاقتهما الزوجية بعد بضعة شهور من الزفاف، ما أدى إلى وقوع أبغض الحلال بينهما. ويبدو أن الزوج السابق قرر

---

[29] رحاب محسن، مروى: المخرج تربص لي بعدما رفضت ارتداء المايوه، موقع العربية نت الإلكتروني، 27 فبراير 2012.

الانتقام بطريقته الخاصة، وسرعان ما راج حديثٌ عن شريط فيديو يتضمن تسجيلًا كاملًا لأحد اللقاءات الجنسية بين مادلين وزوجها السابق.

مادلين قالت إنها لم تكن تعلم بحكاية التصوير، ودفعت بأن في مثل هذه الحالة فإن المعاشرة كانت في إطار الزواج، ومن ثم فإن الأمر لا يشينها.

وفي عام 2006 تداول الإيرانيون تسجيل فيديو تظهر فيه امرأة قيل إنها الممثلة الشابة زهرة أمير إبراهيمي، وهي تمارس الجنس مع صديقها. وفي ظل الضجة الكبيرة التي أحاطت بانتشار هذا التسجيل بالصوت والصورة، نفت زهرة - التي تلعب عادة أدوار فتياتٍ رصينات في مسلسلات تليفزيونية شعبية، لعل أشهرها مسلسل "نرجس"- أن تكون هي المرأة في الشريط، وقالت في حديث لصحيفة "الغارديان" البريطانية إن خطيبها السابق أراد الانتقام منها فلجأ إلى ألاعيب المونتاج للنيل من سمعتها والقضاء على مستقبلها الفني.

وأحدثت الفضيحة أصداء قوية، ما حمل المدعي العام لطهران سعيد مرتضوي على تولي التحقيق شخصيــًا، خاصةً بعد أن بيعت عشرات آلاف النسخ من هذا الشريط خلسة، كما تلقى العديدون الفيلم عبر رسائل على هواتفهم الجوالة، فضلًا عن بث نسخٍ مختلفة

قصيرة وطويلة عن الفيلم على الإنترنت.

وتبين لاحقـًا أن الرجل الذي ظهر في الشريط قد فرَّ إلى أرمينيا، لكنه أعيد إلى إيران ليواجه اتهامات بخرق قوانين الآداب العامة.

وللرجال أيضًا نصيبٌ من مصيدة المتعة الموثقة على شريط مصور.

النائب السابق حيدر بغدادي، الذي انتقل من صفوف الحزب الناصري إلى الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم في عهد مبارك، أثار خصومه ضده بمواقفه واستجواباته تحت قبة البرلمان، فسجلوا له بالصوت والصورة مشاهد له في ملهى ليلي متواضع، وسربوا الشريط. ولما لم تنجح خطة إسقاطه، سرّبوا في عام 2007 شريطـًا آخر له مع بائعتَي هوى. وتبين أن التسجيل جرى تنفيذه باحتراف في عام 2001، وقت أن كان على خصومةٍ حادة مع وزير سابق، فالسيدتان كانتا تستدرجانه إلى فخ الغواية والممارسة، والتباهي بسطوته تحت قبة البرلمان وفي أروقة الحزب الناصري الذي كان ينتمي إليه وقت حدوث التسجيل.

قضية ومحاكمة المسؤول الأمني البارز (أو كومسير الدار البيضاء) مصطفى ثابت في المغرب كانت حديث الجميع في هذا البلد العربي في عام 1993، حتى إن البعض كان يتندر في المغرب فيسأل صديقه عندما يلتقيان "هل أنت موجود في أحد تسجيلات العميد ثابت المصورة؟".

فقد اكتشفت قوات الأمن في شقة خاصة له 518 شريط فيديو جنسي لمئات الفيتيات والسيدات.

وكان الرجل قد حوكم ثم أدانته المحكمة في 15 مارس 1993 بهتك عرض مئات النساء عن طريق العنف والاغتصاب والاختطاف، وإجبارهن على الذهاب معه إلى شقته على مدى ثلاث سنوات، مع تصويرهن على أشرطة مخلة بالآداب والأخلاق، مستخدمـًا التهديد بالسلاح تارةً، وسطوة المنصب السلطوي تارةً أخرى.

وفي أثناء المحاكمة، تم توقيف عدد من المسؤولين الأمنيين، بتهمة عرقلة سير العدالة، وإخفاء مستندات، والتستر على العميد ثابت وجرائمه. أدانت المحكمة ثابت بارتكاب جميع الاتهامات الموجهة إليه، وقضت بإعدامه رميـًا بالرصاص، وفي سبتمبر 1993 تم تنفيذ الحُكم في حقه.

أما عائلته - وفي مقدمة أفرادها أرملته مليكة العباسي- فتدفع بأن "الحاج" مصطفى كان أبـًا حنونـًا وملتزمـًا.. وأن ضحاياه من النساء كن متواطئات معه وقبضن "مستحقاتهن" نقدًا. المخرج نبيل لحلو أعاد الشخصية المثيرة للجدل إلى الحياة في "ثابت أور نوت ثابت" الذي عُرض على مسرح محمد الخامس في الرباط.. وسط احتجاجات أرملة العميد التي كانت قد هددت في وقت سابق

بمقاضاة المخرج أمام المحاكم المغربية إذا تعرض بالسوء أو بالخير لقصة زوجها. وكلما طفت تلك الحكاية بتفاصيلها المتشابكة والمثيرة.. يردد كثيرون في المغرب كلمة "وا.. علاشوها".. وتعني بالعربية الفصحى: يا لها من فضيحةٍ مشينة.

فضائحٌ.. نعم.. لكن ردود فعل أبطالها وبطلاتها تفاوتت.. البعض بكى.. البعض اعتزل وانزوى.. البعض نفى.. البعض ارتدى الحجاب ولو مؤقتـــاً.. البعض حوكم وعوقب.. والبعض الآخر بقي في بؤرة الضوء وحضن الشهرة.. وكأن شيئـــاً لم يكن.

وحتى في الفضيحة.. لا يخلو البعض من الحسد.

جنس الإخوة

هؤلاء "الإخوة" الذين نحكي عنهم ليسوا شياطين، لكنهم أيضـــًا ليسوا ملائكة.

فالجنس عقيدةٌ سرية يدين بها كثيرون من الخليج إلى المحيط، ومن هؤلاء أشخاصٌ يبدو من سلوكهم الالتزام الديني، إلا إن كانوا فـــي الخفاء، ومنهم أيضـــًا أفرادٌ ينتمون إلى جماعات وحركات دينية، ينتصرون علنـــًا على مغرياتٍ لا تنتهي، قبل أن تهزمهم سرًا الشهوة بالضربة الفنية القاضية.

الأكيد أن هناك من يطابق قوله فعله من حيث الالتزام وحسن الخُلق، لكننا نتحدث عن نماذج لا يمكن تجاهلها أصيبت بتشوهات خطيرة نتيجة التناقض بين كبت مستمر تحت شعار الالتزام، ورغبة

مستعرة تلهو سرًا فتصنع ما تصنع!

و"جنس الإخوة" – إن صح التعبير، وبعيدًا عن السقوط فـــي فخ التعميم– مادة دسمة وثرية تحبس الأنفاس وتثير الاستغراب وتدعو إلى الدهشة، لكنها فـــي النهاية حقيقة واقعة بل وساطعة تستحق التأمل، فاقرأ وتأمل!

حاول الآن أن تركز كل أفكارك فـــي مضمون السطور التالية؛ لأنها شهاداتٌ حية عن أشخاص يعيشون بيننا لكن عددًا منهم يصوب على الآخرين سهام التكفير ويطلق على مجتمعاتنا أوصافـــًا وألقابـــًا، لعل أبسطها أنها "جاهلية"، من دون أن يملك هؤلاء شجاعة المواجهة وجرأة النظر فـــي المرآة.

هنا نضع المرآة فـــي مواجهة هؤلاء "الإخوة"، وبالتحديد عند نقطة شديدة الحساسية وبالغة الدقة، ونعني بها الجنس.

ربما نستطيع فـــي هذه الحالة أن نراهم بطريقةٍ أفضل، أو على الأقل ندفعهم إلى رؤية أنفسهم بصورةٍ أفضل.

تبدأ الحكاية من ميدان رمسيس.

وبالتحديد عند ناجي، بائع الصحف والمجلات القديمة الذي اعتاد لسنواتٍ افتراش أرض الميدان ببضاعته الرائجة، طالما أن هناك من يقرأ ويتصفح.

ففـــي إحدى الأمسيات الصاخبة، وبينما كنت أطالع "جديد" ناجي من المجلات الأجنبية القديمة، لاحظت شابـــاً ملتحيـــاً يرتدي جلبابـــاً تميل قامته إلى الطول، ينحني على ناجي هامســـاً، وإذا بالبائع ينفعل بشدة لم أعتدها منه وينهر الشاب ويدفعه بيديه طالبـــاً منه الانصراف، لكن الشاب الملتحي بدا لحوحـــاً، حتى إنه كرر المحاولة. غير أن صوت ناجي علا هذه المرة، الأمر الذي أثار انتباه المارة والواقفين، وأنا منهم.

سألتُ ناجي الذي تربطني به صداقة قديمة منذ أن "اكتشفته" فـــي أحد أركان الميدان كبائع واكتشفني فـــي دروب الحياة كزبون دائم، فإذا به يفاجئني قائلًا إن هذا الشاب طلب منه مجلات جنسية. زاد ناجي من مساحة فضولي فاستوضحته الأمر، فقال لي إن هذا الشاب الملتحي يأتي إلى الميدان بين الفينة والأخرى لتصفح المجلات الأجنبية، فإذا رأى صورًا عارية أطال النظر واستحب البقاء فـــي المكان لفترةٍ طويلة، لكنه هذه المرة تجرأ فطلب من ناجي الحصول على مجلة إباحية إن أمكن. غير أن ما لا يعرفه هذا الملتحي عن ناجي الذي كان فـــي أواخر الثلاثينيات من العمر أنه أكثر تدينـــاً وتحفظـــاً وأنه يمارس رقابة ذاتية على المجلات الأجنبية فيمنع تداول المجلات التي تتضمن صورًا عارية أو تلك التي يشعر بحاسته وخبرته

كبائعٍ متمرس للصحف والمجلات القديمة أنها فاضحة فـــي مضمونها.

رد ناجي الذي أفحم الشاب الملتحي لم يكن كافيـــًا بأي حال، حيث شاهدت الأخير يحوم حول المكان ذات ليلة من ليالي رمضان 1421 هـــ وذلك فـــي منتصف ديسمبر 2000. ومرة أخرى وجدته يهمس فـــي أذُن ناجي شارحـــًا ومستعطفـــًا. ولدى انصرافه، سألت ناجي عن الجديد الذي جعله يستمع إلى هذا الشاب بأناةٍ وصبر، فإذا به يقول لي إن أخانا الملتحي حكى له كيف أنه متزوج لكنه لا يستطيع مضاجعة زوجته إلا إذا شعر باستثارةٍ أو رأى صورًا توقظُ همته النائمة وتعيدُ إليه صبا الرغبة وشوق اللذة؛ ولذا فإنه يأمل فـــي الحصول على مؤونة و"معونة" من تلك المجلات التي تشعل فـــي نفسه رغبةً عارمة. نظرًا لشعور ناجي بالحرج من الموقف فقد تخلص منه بلباقةٍ، وقال له إنه سيرى ما يمكنه فعله لمساعدته فـــي هذا الشأن، لكن ناجي القادم من قلب الصعيد والمقيم فـــي ميت عقبة صارحني بقوله: "لن يجد عندي ما يريد".

حكاية هذا الرجل تقودنا إلى شخصية أخرى، رواها خالد البري، الذي خاض تجربة مع التيار الديني، بشأن سيرة الجنس وتدبيره فـــي صفوف "الجماعة الإسلامية" التي انتمى إليها فـــي شبابه. تلقى البري دروسه فـــي أسيوط ودرس الطب فـــي جامعتها وتخرج فيها طبيبـــًا فـــي تسعينيات القرن العشرين. وصل خالد بعد شهور من تجنيده إلى

"أمير إخوة ثانوي" فـــي أسيوط، ثم أصبح أحد خطباء الجماعة فـــي كلية الطب التي تخرج فيها بعاصمة الصعيد.. والتطرف. غير أن قراره بعد سنوات بالتحول صحفيـــاً وكاتبـــاً دفعه إلى مراجعةٍ صريحة لمسيرته مع الجماعة.

الشاب الذي كان يحلم بزي الأطباء وبريقه، خاض تجربة مهمة مع "الجماعة الإسلامية" استمرت تسع سنوات، تنقل أثناءها من متعاطف إلى عضو، فمعتقل ثم متعاطف. يحكي خالد بسلاسة فـــي كتاب "الدنيا أجمل من الجنة.. سيرة أصولي مصري"[30] كيف تحول من مراهق، ينهي عام 1986 سن الرابعة عشرة، يحب صوت السورية ميادة الحناوي ويعشق أغاني عبدالحليم حافظ، إلى عضو بارز فـــي صفوف الجماعة، حتى أوصله نشاطه إلى السجن الذي خرج منه ليدرس الصحافة والإنثربولوجيا، منصرفـــاً عن ممارسة مهنة الطب.

وربما تندهش لما تطالعه فـــي الكتاب عبر فصوله الأربعة المعنونة: الهداية، الجنس، السجن، التمايز.

فـــي الكتاب الذي صدر قرارٌ من مجمع البحوث الإسلامية فـــي الأزهر بمصادرته قبل أن يُسمح بإعادة طبعه، يروي خالد كيف تعلم فـــي مدرسة الرهبان الفرنسيسكان، وهو يتذكر "الأُخت أوجنين" وهي تُسمع لهم سورة الحديد، لغياب مدرس الدين، وعدم تهاونها

---

[30] خالد البري، الدنيا أجمل من الجنة.. سيرة أصولي مصري، دار النهار، بيروت، 2000.

فـــي كسرة أو فتحة.

فـــي صباه، كان خالد البري الأضعف بدنيـــاً بين لاعبي الكرة فـــي الشارع، وبدا "الجتزير"، هدية أولى خطوات الاستقطاب الأصولي. "آلة سحرية" فـــي الخناقات. صاحبُ هدية الجتزير سيتلقى 70 عصا "مدًا" على قدميه فيما بعد عقابـــاً على خطأ تنظيمي، وسيُعتقل مرات.. آخرها امتد لسنوات طويلة، فـــي حين سوف "يُدمي" جسد "مثلي إيجابي" بالجنازير أصر على الصلاة إمامـــاً بها، فـــي واقعة شهيرة بأحد مساجد أسيوط.

فـــي شهادته عن الجنس فـــي صفوف "الجماعة" يحكي خالد البري كيف كان إعلانه الأول عن نفسه فـــي شارعه بأنه صار ملتزمـــاً إسلاميـــاً ووقوفه فـــي شرفة شقته فـــي الطابق الثاني ممسكـــاً ببندقية الصيد الخاصة به ومصوبـــاً إياها إلى مدخل العمارة المقابلة حيث كان جيرانه الأولاد والبنات يلعبون "صياد السمك"، حيث يقف لاعبان على مسافة نحو عشرة أمتار ويتقاذفان الكرة بينهما محاولين أن يصيبا بها لاعبي الفريق المنافس الموجودَين فـــي المسافة الفاصلة. ظل مصوبـــاً البندقية نحو المدخل حتى أصبحت الكرة فـــي مرمى التصويب، فأطلق رصاص البندقية، الأمر الذي جعل الفتاة التي ذهبت لإحضار الكرة تتسمر فـــي مكانها ثم تتراجع إلى الخلف.

كان تبرير البري لما فعله أنه يحول بين الشباب وبين الوقوع في الخطيئة مبكرًا؛ لأن النظرة بريد الزنى. وقد حكى له جاره الذي يلعب معهم أنه يتعمد إلقاء الكرة بين سيقان الفتيات؛ كي تضطر الواحدة منهن إلى أن ترفع رداءها وتقفز لتفاديها، ويستطيع هو من ثم أن يرى ساقيها وملابسها الداخلية.

رأى البري يومها أن هذا أول منكر في الإسلام يتعين عليه تغييره.

غير أنه يعترف بعد سنتين من هذه الواقعة صار يقضي ساعات طويلة من الليل خلف النافذة يراقب هؤلاء الفتيات اللاتي يسكنّ أمامه، متحيناً الفرصة لكي يرى إحداهن تخلع ملابسها أو تنام فينحسر رداؤها عن ساقيها.

كان خالد البري يعتقد وهو في سن الرابعة عشرة أن الجنس أمرٌ نمارسه مع من لا نحب، أما من نحب فإن علاقتنا به يجب أن تسمو عن هذا الفعل المشين. وكانت "غزواته" الجنسية قبل ذلك لا تتجاوز التجمع في الخفاء مع أتراب الطفولة لمشاهدة صورة جنسية أو لمعاينة الأعضاء لتحديد الأكبر فيما بينها، إضافة إلى الاستماع إلى روايات مختلفة عن التجارب الجنسية الجريئة لبعض الأصدقاء. وحين أدرك أنه يأتي إلى الدنيا عن طريق الجماع أصيب بحالة من القرف الشديد والنفور من والديه، بعد أن تشاجر مع جاره الأكبر الذي

أبلغه بذلك، فاتهمه بتعمد إهانته.

بعد فترةٍ وجيزة من التزامه، امتنع عن مشاهدة التليفزيون الذي يعرض صورًا لفتياتٍ غير مستترات، الأمر الذي يحرك الشهوة ويحض على المعصية. وحتى سن الخامسة عشرة لم يكن قد احتلم من قبل، وكان هذا يشكل له هاجسـًا، خوفـًا من أن يكون ذلك علامة على ضعف ذكورته. وحين احتلم للمرة الأولى كاد يطير فرحـًا وحكى لكل الأصدقاء كأنه خاض تجربته الجنسية الأولى. غير أن هذا الفرح لم يدم طويلًا؛ إذ صار الأمر مرهقـًا حين يصحو لصلاة الفجر محتلمـًا فـي برد الشتاء، فيضطر إلى الاغتسال قبل الذهاب إلى المسجد.

وعلى رغم أن الاحتلام عملية فسيولوجية تتم لتفريغ شحنات جنسية مخزونة وهو ظاهرة طبيعية تختلف باختلاف الأفراد والحالات والمسببات، فإن خالد البري بدأ يكره الاحتلام كرهـًا شديدًا، ولجأ إلى حل رآه خلاصـًا له من ذلك المأزق: العادة السرية!

فقد صار يمارس الاستمناء قبل الاستحمام فـي وقتٍ اختاره، حتى لا يحتلم ويضطر للاغتسال فـي وقتٍ لم يختره، لكن العادة السرية نفسها جعلته يشعر بالذنب وعمّقت كراهيته للجنس وإحساسه بالضعف إزاءه.

ثم ازداد الأمر سوءًا، فأمسى حين يحتلم يرى نفسه يمارس الجنس مع محارمه البعيدات أو عجائز دميمات.

إن الحالة الجنسية للشباب تشبه عادةً حالة الإبريق الذي يغلي على نارٍ موقدة، فإن سددته وأحكمت سده فجَّر البخار المحبوس. وهذه حال من يحبس نفسه على شهوته وينطوي على أوهام غريزته، من دون أن يحاول حتى التسامي واستثمار طاقته فــي نشاطٍ بدني أو ذهني يحتوي الجسد الفوَّار. ويكفــي شعور المرء بأنه يمارس تلك العادة سرًا وخفية.

وفــي قديم الزمان كانت تلك العادة تُسمى عند العرب "جلد عُميرة"، وهذا لأنهم يُكنون عن الذكر بعميرة. يقول الشاعر:

إذا حللت بوادٍ لا أنيس به... فاجلد عُميرة لا عار ولا حرج

وقال آخر:

إذا امتحنت بعدم أو بليت به... فاجلد عميرة حتى تنقضي المحن

ويعكس هذا نظرة العرب إلى الاستمناء، فلا بأس به للمضطر. وقد عبر شاعر عن رأي الفقهاء فــي تلك العادة قائلًا:

وكذا ابن حنبل جاز جلد عميرة... فــي خلوةٍ عند اشتداد غرام

وكان خالد البري يقول لنفسه فــي تلك الفترة: لو أن الله لم يخلق فينا الرغبة الجنسية لضمنت الجنة!

وهكذا صمم على كسر شهوة النساء ولجأ إلى الحل الإسلامي: الصوم.. وزاد من جرعة الصيام حتى بلغ ما يصومه أسبوعيـــاً خمسة أيام، فكسر جزءاً من شهوته وكثيرًا من صحته!

تعلم الرجل من دروس الجماعة أنه من غير المستحب أن ينظر المرء إلى عورة نفسه، كما ينبغي عدم لمس العورات باليد اليمنى صونـــاً لتلك اليد عن لمس العورات. أحس البري أن عدم النظر إلى العورة قطعـــاً صعب من الناحية العملية، لكنه حاول فعل ذلك قدر استطاعته. أما عدم لمس العورة باليد اليمنى فقد اعتاد عليه سريعـــاً، ليس فقط فـــي الاستنجاء والاغتسال، ولكن فـــي ممارسة العادة السرية أيضـــاً.

وسرعان ما أثرت فيه تلك الترتيبات والمستحبات والمكروهات فـــي أمور يومية خاصة لم يكن معتادًا على التفكير فيها قبل ممارستها لكنه صار أكثر وعيـــاً بتلك العورة. يتساءل كيف تبدو فـــي البنطال، ويخشى الانتصاب فـــي وقتٍ ما، فيصاب بالحرج ويمتنع عن ارتداء البناطيل الضيقة. ولجأ إلى ارتداء قمصان طويلة فوق البنطال لتغطية تلك العورة. ثم صار يرتدي قطعتين داخليتين سفليتين واحدة فوق الأخرى لإحكام السيطرة على تلك العورة.

شيء شبيه بذلك نجده فـــي نصائح د.علي مدكور أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة القاهرة التي أوردها فـــي كتابه "التربية

الجنسية للأبناء"، حيث يشدد على ضرورة ارتداء الملابس الخفيفة الواسعة التي تقلل الاحتكاك بالأعضاء التناسلية أثناء النوم، وعدم النوم على البطن، والعشاء المبكر الخالي من اللحوم الكثيرة والتوابل، والاستحمام بالماء البارد يوميـــاً!

كان "الإخوة" ينبهون خالد البري إلى ضرورة التعامل بحذر مع الفتى الأمرد الذي لم تنبت له لحية بعد؛ إذ ينبغي عم احتضانه عند المصافحة مثلما كانوا يفعلون عادة مع أي "أخ". كذلك ينبغي عدم الاختلاء به ولو فـــي درس القرآن. وكان بينهم فتى أمرد يصغرهم بسنوات، فصار البري يتجنب التعامل معه ولا يتبسم فـــي وجهه. وفـــي حمام السباحة لاحظ أن أحد "الإخوة" يتعمد ملامسة هذا الفتى الأمرد واحتضانه بطريقةٍ مريبة وهو يعلمه السباحة، فأيقن أن "الإخوة" محقون وأن عليه تجنب الصبيان المردان أيضـــاً وليس الفتيات فقط.

الغريب أن كل هذه الإجراءات، وإن خففت من حدة الرغبة الجنسية لدى البري، فإنها جعلته يُستثار لأتفه الأسباب. وقد وصل مرة إلى الإثارة الكاملة من ملمس الماء على جسده وهو يستحم!

وهكذا تختلط الأفكار والرؤى والرغبات، ما بين حملات منع الاختلاط من الشارع إلى الجامعة، ومتعة قراءة كتب التراث والدين التي تتحدث عن الجنس، و"التكبير أثناء القذف"، وهلم جرًا.

إذ يشير الأصولي السابق إلى اهتمام "الإخوة" بتداول وقراءة كتب من عينة "تحفة العروس"، وهو أحد الكتب السلفية التي تتحدث عن أحكام الجماع وتصف الطريق إلى السعادة الجنسية بين الأزواج من خلال حكايات من أيام "السلف الصالح".. حكايات عن كيفية وصول المرأة إلى أن تجعل زوجها يبلغ ذروة نشوته من دون مخالفة القرآن والسُنة. كذلك كان "الإخوة" يتداولون فيما بينهم كتابـــاً آخر عنوانه "كيف تسعدين زوجك".

بطبيعة الحال، كان "الإخوة" يجدون متعة فـــي مناقشة أحكام الجماع والتي تزخر بها كتب الفقه الإسلامي. أما المرأة فهي فـــي نظرهم من جنود إبليس وهي من حبائل الشيطان. لا عجب إذًا أن تكشف دراسة بعنوان "الفتوى الضالة عن الإخوان والسلفيين"، أعدها د.سيد زايد، عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، أن تلك الفتاوى رأت في المرأة مخلوقـــاً غريبـــاً، لم يُخلق إلا للجنس فقط، وأن صوتها وشكلها وخروجها من بيتها عورة، وبعضها ذهب إلى أن كلها عورة.

وقالت الدراسة -التي تناولت 51 فتوى خلال حُكم الرئيس المعزول محمد مرسي- إن الإخوان والسلفيين أجازوا في فتاواهم زواج الفتاة في سن العاشرة، حماية لها من الانحراف، وحرّموا عليها أن تأكل بعض الخضروات، أو ملامسة الخيار والموز. وأضافت أن تلك

الفتاوى اعتبرت نزول المرأة البحر زنى -حتى لو كانت محجبة- لأن البحر من وجهة نظرهم ذكر، وبدخول الماء إلى أماكن حشمتها تكون المرأة زانية ويقع عليها الحد، كما أن تشغيلها التكييف في غياب زوجها حرام؛ لأنه يعطي إشارة للجيران بوجودها في المنزل، ويستطيع أحد الجيران أن يزني بها- حسب الفتاوى.

الأغرب من ذلك أن تلك الدراسة كشفت أن أصحاب تلك الفتاوى طالبوا بإصدار قانون يبيح للمرأة المطلّقة شراء عبد، ولا يدفع مهرًا ليتزوجها[31].

يقول د.نصر حامد أبو زيد:"هل نحن إزاء خطاب ديني؟ مغالطة أن نقول ذلك. بل نحن إزاء تخلف قد يتوسل لغة الدين أو لغة السياسة أو لغة الاجتماع والاقتصاد. لكنه في الحقيقة خطاب تخلف يكرس أزمة بقدر ما يعكسها، وهو ليس خطاب تخلف فقط، ولكنه خطاب إرهابي معتدٍ يمارس ضد المرأة كل صنوف الاعتداء التي وجدناها في حادث فتاة العتبة والمعادي"[32].

ولا بأس من التذكير أيضـــًا بما جرى لنساء التحرير ومجلس الوزراء.

[31] عيد عبدالجواد، فتاوى الإخوان: نزول المرأة البحر "زنى" ولمس الموز "حرام"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة 15 نوفمبر 2013.

[32] د.نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.

يروي لنا خالد البري كيف جمعته الظروف فـــي تلك الفترة بفتاةٍ من أصدقاء الأسرة نهارًا كاملًا فوجد نفسه غير قادر على استبعاد فكرة أن يضمها من الخلف وهي تتصفح الكتب الموضوعة على رفوف المكتبة. وحتى لا تعرف ما كان يدور داخله من صراع، أخذ يقترب منها وهي جالسة، ويسألها قائلًا: لماذا لا ترتدين الحجاب، إنك الآن كبيرة! فيما هو يضع يده على عنقها متظاهرًا بأنه يخنقها تأديبـــاً لها، متحسســـاً متعة أنه يلامس جسدها ويقترب منه.

من الواضح أن الجنس كان يمثل إغراء المحرومين الذين فـــي ظل الجماعة سيكونون قادرين على الزواج بشروط ميسرة مثلما كانت عادة السلف الصالح، فالإسلام يحث على الزواج المبكر بهدف الإعفاف فـــي الإطار المشروع وإشباعـــاً للغريزة وصونـــاً من الانحراف والوقوع فـــي الرذيلة.

الغريب أن "الجماعة" اعترضت يومـــاً على تنفيذ حكم الإعدام فـــي ستة أفراد اغتصبوا فتاة فـــي مصر، زاعمين أن النظام العلماني الجاهلي هو الذي اغتصب تلك الفتاة وليس مجموعة المغتصبين، على أساس أن المجتمع أصبح إباحيـــاً ويسمح للفتيات بالتبرج كما يعرض أفلامـــاً تثير الغرائز!

ومن هنا يمكن فهم سبب حرص "الجماعة" على منع الاختلاط فـــي الجامعة، ولو كان السبيل إلى ذلك القوة والعنف. ولا زلت

أذكر المرة الأولى التي زرت فيها مبنى كلية دار العلوم فـــي مطلع ثمانينيات القرن العشرين لمتابعة إحدى المحاضرات، فوجدت "الإخوة" ينظمون الدخول بحيث لا يدخل الشباب من بابٍ تدخل منه الفتيات، بالرغم من عدم وجود تزاحم عند المدخل، وكأن هذا يضمن عفة فتيات الكلية. وفـــي المدرجات، كان المشهد أوضح، فقد تم الفصل بين الفتيات الجالسات فـــي الجانب الأيمن والشباب الجالسين فـــي الجانب الأيسر.

ويروي خالد البري كيف ضربت "الجماعة" أحد "الإخوة"؛ لأنه شاذ جنسيـــاً، بعد أن حاول ممارسة الجنس عنوة مع "أخ" صغير داخل مسجد. وقد عُثِرَ على هذا "الأخ" الشاذ مقتولًا بعد سنتين ولم يُعرف الجاني!

وعلى الرغم من أن البري كان فـــي تلك الفترة يصوم خمسة أيام أسبوعيـــاً، فإنه يعترف باستمرائه المعصية فيما يخص الجنس. والمعصية هنا تعني الوقوف ساعاتٍ طويلة خلف النافذة لمراقبة بنات الجيران، حتى صار خبيرًا بعادات جيرانه اليومية لكثرة ما راقبهم.. يعلم وقت خروجهم ودخولهم وكراسيهم المفضلة وألوان ملابسهم الداخلية، ويحدد أفضل المواعيد لمراقبة مختلف البيوت فـــي كل الاتجاهات. والمعصية تعني أيضـــاً تحيُن فرصة عدم وجود أحد فـــي المنزل لمشاهدة التليفزيون أو البحث عن الصفحات الساخنة فـــي الروايات

التي كانت أسرته تملك عددًا كبيرًا منها.

أراد البري أن يقضي على الجنس فصار هاجسه، حتى صار يشعر بالاستثارة حين يستمع إلى الآيات الكريمة التي تحكي عن قصة النبي يوسف مع امرأة العزيز. هكذا صار يعتقد أنه أسوأ إنسان على وجه الأرض، ويعزو كل ما يحدث له من مشكلات إلى معاصيه، وإليها يعزو عدم قدرته على استذكار دروسه.

ويروي سامح فايز، وهو شابٌ آخر انتمى في صباه إلى جماعة الإخوان المسلمين، قصصــاً إضافية عن الصراع النفسي داخله بين غريزته والقيود التي فرضتها الجماعة عليه؛ إذ يحكي عن الحُبِّ العذري الأول الذي عاشه وهو في الصف الخامس الابتدائي، تجاه زميلته في المدرسة، حتى عوقب ضمن باقي زملاء صفه الدراسي بعد شكوى والد الفتاة لإدارة المدرسة من أن أحدهم دس خطابــاً غراميــاً في حاجياتها. كان العقاب الجماعي بضرب جميع تلاميذ صفه الدراسي على باطن القدم. "استمر هذا التعذيب لما يقارب الساعة؛ تم تعذيبنا وكأننا زنينا بالفتاة في ميدان عام ثم قتلناها وقطعناها إربــاً وحرقناها ومن ثم ألقينا بثراها في الهواء؛ لم يكن أكثر من مجرد خطاب"[33].

[33] سامح فايز، جنة الإخوان: رحلة الخروج من الجماعة، دار التنوير، القاهرة، 2013، ص 90-91.

ظل سامح فايز طريح الفراش في مترله لمدة أسبوع، لا يقوى على السير على قدميه، "ولأكثر من أربع سنوات ظللت أعاني ألمـاً في قدمي وظهري كنتيجة لهذا التعذيب الهمجي. إثر تلك الحادثة تكوّن لديذ رعب من كل ما له علاقة بالحُبِّ والفتيات"[34].

بعد تلك الحادثة ببضعة شهور، دخل سامح فايز عالم الإخوان المسلمين؛ في هذه الدائرة تعلم أنه "حتى تكون أخـاً ملتزمـاً، من أولياء الله، فعليك أن تنبذ رغبتك في المرأة؛ أنت محرمٌ عليك حتى مجرد التفكير فيها، وإن حدث فأنت إذًا صاحب عقيدة مشوبة يجب مداواهّا"[35].

كان طبيعيـاً أن يعيش هذا الفتى صراعـاً نفسيـاً وجسديـاً حين عرف بعد الحادثة السابقة بأربع سنوات جارة له أطلق عليها في الكتاب اسم "سارة"، كان يتلمس فيها شيئـاً ما، خشي أن يكون حُبـاً. كانت هواجسه تصور له بأنه سيترل عليه عقاب من السماء لحظة اقترابه من أي فتاة. ورغم أن "سارة" صارحته بحبّها له، فإهّكلماته خذلت قلبها حين قال لها إنه لا يحبها.

"حدث الصدام بين دين الإخوان ودين الحُبِّ، فكيف لي أن أرى الحبيبة ذنبـاً يجب التوبة منه، وأن أرى المرأة معصية تسير على الأرض؟"[36]. ويمضي سامح قائلًا: "حاولت أن أحدث بعض إخوتي داخل

---

[34] المرجع نفسه، ص 91.

[35] المرجع نفسه.

[36] المرجع نفسه، ص 96.

دائرة الإخوان في مسألة الحُبِّ وما يختلج صدري من رغبات، لكن تلك المحاولات لم تكن ذات فائدة. فالمسألة دائمـــاً ما تنتهي بالتأكيد على ضرورة الصبر وغض البصر وتجنب التفكير في مثل تلك الأشياء التي لن تكون عاقبتها سوى غضب الرب في الدنيا والآخرة"[37].

والنتيجة؟

"تحول الضغط في دائرتي داخل الإخوان إلى انفجار في دائرتي السرية، وأدركت عوالم أخرى أعطتني إحساســاً باللذة. لم أكن أعرف إن كان شبيهــاً بإحساس الجنس أم لا؟، غير أنه إحساس كان يُشعرني بالمتعة. سمعت بعض الأصدقاء في مدرستي يتحدثون عن هذا الأمر الذي يأتيه المراهق عن طريق مداعبة حيوانه فيثار ليصل إلى ذروة من اللذة لا تقارنها لذة؛ أتيت هذا الأمر مرة وأخرى ومرات، ومع أنني كنت أجلد ذاتي كل مرة أمارس فيها تلك العادة -التي لا أعلم لماذا سموها بـــ"السرية" رغم أن مراهقي البشر جميعــاً يمارسونها- فإنني كنت أعود فآتيها، حتى أضحت من كثرة إتيانها مسألة حياتية عادية! بيد أني لم أنتبه إلى أن تلك العادة كانت في كل مرة آتيها تقتل بقايا هذا الحُبِّ العذري بفعل الإحساس اللانهائي بالذنب، وكانت تحيل المرأة في نظري إلى أداة للجنس فقط، فالمرأة خُلقت كي نمارس -نحن الرجال- الجنس معها؛ هي فقط وعاء للذة"[38].

---

[37] المرجع نفسه.

[38] المرجع نفسه، ص 97.

عاش سامح فترة عصيبة كمراهق؛ خاصة أنه كان من المستحيل أن يجمعه حوار مع أحد الإخوة ليصارحه بمعضلة صراعه مع رغبات جسده. زاد ارتباطه بهذا العالم السري كبديل عن المرأة المحرمة "كنت أثار من أي أنثى تسير أمامي، مهما كنت سنها، ومهما كان جمالها، فلا معيار للجمال والقبح عندي، فالنساء كلهن جميلات طالما يقدرن على ممارسة الجنس. احتل هذا حياتي السرية، واحتلت التوبة من هذا الأمر حياتي العلنية في دائرة الإخوان، فكنت أداعب حيواني ليلًا فأفرغ شهوتي ومن ثم أغتسل وأتوضأ وأصلي ركعتَي التوبة مستغفرًا الإله من تلك الكبيرة التي حتمـًا ستقودني إلى النار"[39].

لم يكن سامح فايز في هذا الصراع وتلك الصدمات سوى مثال آخر في طابور طويل، يشمل أيضـًا خالد البري.

فـي فترة السجن، لمح خالد زميل الزنزانة يمارس العادة السرية تحت الغطاء، فـي حين كان قد علم قبل دخوله السجن أن أول من دعاه إلى الالتزام مع الجماعة الإسلامية شاذٌّ جنسيـًا، فتساءل فـي نفسه إن كان يمارس الشذوذ فـي السجن أيضـًا.

كلمة الشذوذ وردت أيضـًا في كتاب آخر لعضو سابق في الجماعة الإسلامية في مصر. يقول ماهر فرغلي إن السجناء من الإسلاميين كانوا يمدون الحبال -المصنوعة من الملابس الداخلية وأكياس البلاستيك – بين

---

[39] المرجع نفسه، ص 98.

الزنازين لتبادل الرسائل، بالرغم من حملات التفتيش داخل السجن. غير أن السجناء فوجئوا لاحقـًا بأن "أمراء العنابر" كانوا يفتشون الرسائل ويقرأونها، و"قال لنا أكثر من مسؤول وأمير إنهم وجدوا أن أكثر من ترسل إليهم الرسائل والهدايا هم من صغار السن من إخوتنا ووجدوا رسائل غرام، وأنا لا أفسر ذلك بهذا الشكل أبدًا، ولكن تفسيري أن مثل هذه الرسائل تعبر عن حالة من الحرمان"[40].

ويضيف ماهر فرغلي أن رسائل كثيرة من هذا النوع "قد فُسِرَتْ على أنها حالات من الارتباط والتعلق والعشق بين الأقران ولم تُفَسَر على أنها حالة من حالات الاحتماء واللجوء إلى الصداقة في المحنة والارتباط الأخوي"[41].

وهكذا صدرت قرارات من "أمراء السجن" بمراقبة الصادر والوارد من الرسائل المتبادلة داخل السجن، ومنع الهدايا المتبادلة إلا في الأعياد والمناسبات الرسمية للجماعة الإسلامية!

ويشير فرغلي إلى أنه بالرغم من اهتمام الجماعة الإسلامية بأفرادها الذين هم في سن المراهقة باعتبارهم أبطالها وتقديمها لهم في المجال العسكري وتقديسهم ونسج الأساطير حول شجاعتهم في الأعمال

---

[40] ماهر فرغلي، الخروج من بوابات الجحيم.. الجماعة الإسلامية في مصر من العنف إلى المراجعات (مشاهدات من الداخل)، مركز الدين والسياسة للدراسات: الرياض، دار الانتشار العربي: بيروت، 2012، ص 202.

[41] المرجع نفسه، ص 202.

القتالية، فإن الجماعة داخل السجون سيطرت عليهم سيطرة تامة وأحاطتهم بسياج من الحرص الزائد، تحت مزاعم الحفاظ عليهم من أفكار الجهاديين والتكفريين، وتحت مزاعم خطورة الوضع في الأماكن المغلقة.

وهكذا أخذ "الأمراء يراقبون رسائلهم ويسمونها رسائل الغرام"[42].

ويحكي ماهر فرغلي حكاية تستحق الانتباه إليها؛ إذ يقول:

"أذكر أن أحدهم من محافظة سوهاج رأيته يلبس سترتين في عز الحرِّ من قماش الكتان السميك ويلبس بنطلونين، فسألته، فقال لي:

- الأخ المسؤول هو الذي نبَّه علينا بذلك.

قلت:

- ألاّ يخلع أحدكم قميصه أمامنا ويبدو عريانـــاً فهذا شيء طبيعي، وألاّ يبدي جسده فهذا وارد، ولكن أنت بهذه الطريقة شاذ"[43].

ويزيد ماهر فرغلي على لك بالقول إن "أمراء العنابر" أخرجوا بابـــاً من الفقه يُسمى سد الذرائع "وجعلوا لأي شاب صغير السن مكانـــاً محددًا للنوم بجوار أخ أمير أو متزوج، بل فرضوا عليه أن يخيط غطاءه كشوال أو عباءة ليدخل فيها ساعة النوم، وكذلك ألا يقعد ساعة الطعام

---

[42] المرجع نفسه، ص 203.

[43] المرجع نفسه، ص 203.

بجوار من هو في سنه".

ومع تحسن الأحوال في السجون "استطاع الأمراء أن يجعلوا هناك عدة غرف لهؤلاء، سموها غرف الشريحة، يسكن فيها من هم في عمر 16 إلى 25، شرط أن يعرفه المسؤولون الأمراء وأن يكون جذابـــاً وفاتنـــاً، وإلا فليس هناك داعٍ لعزله في غرف الشريحة ومراقبة رسائله وأحلامه!!"[44].

إن حديث ماهر فرغلي وخالد البري عن العلاقات المثلية يُذكّرنا بما ورد فـــي كتاب الراحل محمد جلال كشك الذي أفرد مساحة كبيرة للحديث عن غلمان الجنة بوصفهم وسيلة للاستمتاع الجنسي لمن عف وتطهر فـــي الدنيا[45].

وحديث الشهوة له إغراؤه وبريقه حتى بالنسبة لكبار العلماء والمشايخ، مثلما هي الحال بالنسبة للشيخ يوسف القرضاوي الذي لا يرى بأســـاً فـــي الجنس عبر الفم؛ إذ قال فـــي فتوى له:

"إن المرأة لو قبّلت فرج زوجها ولو قبّل الزوج فرج زوجته هذا لا حرج فيه، وإذا كان القصد منه الإنزال فهذا الذي يمكن أن يكون فيه شيء من الكراهة، ولا أستطيع أن أقول الحرمة لأنه لا يوجد دليل

---

[44] المرجع نفسه، ص 203– 204.

[45] محمد جلال كشك، خواطر مسلم فـــي المسألة الجنسية، ط 3، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1992.

على التحريم القاطع، فهذا ليس موضع قذر مثل الدبر، ولم يجئ فيه نص معين إنما هذا شيء يستقذره الإنسان، إذا كان الإنسان يستمتع عن طريق الفم فهو تصرف غير سوي، إنما لا نستطيع أن نحرمه خصوصـــاً إذا كان برضا المرأة وتلذذ المرأة".

ونسب البعض إلى القرضاوي أمورًا أخرى، منها أنه لا يرى بأســاً فـــي تصوير العلاقة الجنسية بالفيديو مادام الشريط خاصـــاً بالزوجين أيضـــاً، فالمتعة فـــي رأيه من أهم أهداف الزواج. والقرضاوي ليس الوحيد الذي تحدث فـــي مثل هذا الموضوع.

قال ابن عابدين – الحنفي– فـــي "رد المحتار": "سَأل أبو يوسف أبا حنيفة عن الرجل يمس فرج امرأته وهي تمس فرجه ليتحرك عليها هل ترى بذلك بأســاً؟ قال: لا، وأرجو أن يعظم الأجر".

وقال القاضي ابن العربي – المالكي–: "قد اختلف الناس فـــي جواز نظر الرجل إلى فرج زوجته على قولين: أحدهما: يجوز: لأنه إذا جاز له التلذذ فالنظر أولى.. وقال أصبغ من علمائنا: يجوز له أن يلحسه –الفرج– بلسانه".

وقال فـــي "مواهب الجليل شرح مختصر خليل": "قيل: لأصبغ: إن قومـــاً يذكرون كراهته: فقال من كرهه إنما كرهه بالطب لا بالعلم، ولا بأس به وليس بمكروه، وقد روي عن مالك أنه قال: "لا بأس أن ينظر إلى الفرج فـــي حال الجماع"، وزاد فـــي رواية:

"ويلحسه بلسانه".

وقال الفناني – الشافعي-: "يجوز للزوج كل تمتع منها بما سوى حلقة دبرها، ولو بمص بظرها".

وقال المرداوي – الحنبلي- في "الإنصاف": "قال القاضي في "الجامع": يجوز تقبيل فرج المرأة قبل الجماع، ويُكره بعده.. ولها لمسه وتقبيله بشهوة، وجزم به في "الرعاية" وتبعه في "الفروع" وصرح به ابن عقيل".

والحكاية تطول وتمتد من قصص اللواط إلى هتك الأعراض والجماع بالإكراه وأحيانًا قبل انتهاء مدة العدة، كما حدث في حالاتٍ كثيرة وموثقة لنساء كُن من ضحايا بعض "الإخوة".

ومن كواليس مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة في 1978، أن الرئيس السادات طالع تقريرًا عالي التصنيف من ملفات وكالة الأمن القومي الأميركي NSA المصنفة تحت بند "منتهى السرية" كسرت معلوماته جمود تأزم عملية التفاوض بمنتجع كامب ديفيد الرئاسي الشتوي بمحمية كاتوكتن بمقاطعة فريدريك كاونتي شمال وسط ولاية مريلاند بالقرب من مقر قيادة NSA في منطقة "فورت ميادي".

وطبقــًا للوقائع المثيرة طلب الرئيس الأميركي جيمي كارتر من الأدميرال بوب راي إينمان المدير التاسع لوكالة الأمن القومي الأميركي NSA (1977 – 1981) موافاته بمعلومة مصرية ذات طابع كوميدي ساخر؛ لاستخدامها سياسيــًا في تلطيف الجو المتأزم مع الرئيس السادات المعروف عنه عشقه لممارسة السياسة الناعمة الممزوجة بالنكات اللاذعة أحيانــًا والأمثال الشعبية المصرية التقليدية والمعلومات غير التقليدية.

فما كان من الأدميرال إينمان أن أحضر لمقر المفاوضات في منتجع كامب ديفيد ملفــًا حديثــًا صُنِّفَ تحت بند "سري للغاية" عن اكتشاف NSA خلية سلفية متشددة سعت لقلب نظام الحكم بالقاهرة بالقوة المسلحة وخططت وقتها لتنفيذ عمليات إرهابية ضد المنشآت المصرية الحيوية.

وعندما سأله الرئيس كارتر عن محتواه، أبلغه إينمان أن بالملف معلومات غير اعتيادية عن تلك الخلية الدينية بالذات، حيث كان مؤسسها، واسمه الحركي "سالم"، شيخــًا سلفيــًا اعتاد ممارسة اللواط مع بعض الشباب المنضم حديثــًا إلى الخلية، بزعم مسه من سفلية –جنية– عذراء قتلتها قوات الأمن المصرية في جنوب صعيد مصر.

وأن سالم حكي لبعض شباب خليته ممن مارس معهم الشذوذ أن تلك الفتاة واسمها "الشيخة سميحة" قُتِلت عشية عرسها دون إتمام مراسم زواجها، وأنها تظهر له ثم تلبسه وأثناء ذلك تكلفه بالعمليات الجهادية مقابل طلبات خاصة تأمره بتنفيذها، وإلا ستؤذيه شخصياً ثم ستشي بخليته إلى رجال الأمن.

المثير ساعتها أن أحد شباب الخلية الجدد كان عميلًا حمل الجنسية المصرية دفعت به وكالة الأمن القومي الأميركي للانضمام للخلية السلفية النشطة لكشف أعضائها وخططهم قبل أن يُقدموا على تنفيذ عمليات نوعية دون علم الأجهزة المصرية من شأنها تهديد حياة الرئيس السادات.

فوجئ الشاب العميل- الذي كان وسيماً ذا مواصفات جسمانية خاصة – بعدما قبل بالخلية، بالشيخ سالم أمير الجماعة يأمره بجدية في إحدى الليالي الصيفية الحارة بصوت نسائي غريب أن يمارس معه الشذوذ دون أسئلة.

وعندما رفض الشاب العميل الطلب زعم سالم أن "الشيخة سميحة" حضرت ولبسته وأنها على وشك نقل أول تكليف جهادي إليه، وعليه تنفيذ طلبها والانصياع دون أسئلة لأوامرها باللواط بالشيخ سالم، من أجل نيل بركتها مع تكليف العملية الجهادية.

في هذه الأثناء، أعجب الرئيس جيمي كارتر بالموضوع الذي أثاره

لغرابته ووجدها فرصة لدعوة الرئيس السادات، حيث أطلعه على معلومات وكالة الأمن القومي الأميركي NSA عن قصة "الشيخة سميحة" وأمير الجماعة الشيخ سالم السلفي الشاذ جنسيـــاً في مصر.

ومثلما توقع الرئيس الأميركي، فقد انخرط الرئيس السادات – الذي حضر وقتها متجهمـــاً غاضبـــاً– في الضحك، ونجح كارتر ليلتها بامتياز في كسر جمود المفاوضات في كامب ديفيد وإعادة السادات إلى مائدة الحوار وإقناعه بالعدول عن الانسحاب[46].

ولقد اهتزت صورة هؤلاء بعد عرض قناة "الفراعين" تسجيل فيديو منسوبـــاً لرشاد عبدالغفار محمد شيحة، أمين حزب الحرية والعدالة في وادي النطرون، في وضع مخل مع فتاة تونسية[47]، وهو ما نفاه شيحة تمامـــاً، قائلًا "إن الصورة المشوشة وغير الواضحة في الفيديو تشبهني وجهـــاً ولكنها تخالفني صوتـــاً وجسمـــاً".

ثم تعرض ممثلو التيار الديني لضربة قوية، بعد إدانة الشيخ علي ونيس عضو مجلس الشعب السابق عن حزب النور السلفي، إثر ضبطه بصحبة فتاة جامعية تُدعى نسرين رمضان في وضع مخل داخل سيارة خاصة، على الطريق الزراعي السريع في طوخ، والحكم عليه

---

[46] توحيد مجدي، "الشيخة سميحة" التي أنقذت مفاوضات كامب ديفيد، موقع "أخبار حصري" الإكتروني، 23 أكتوبر 2014.

[47] فضيحة رشاد عبدالفتاح أمين حزب الحرية والعدالة في وضع مخل داخل شقة، موقع Dailymotion الإلكتروني.

غيابيـــًا بالحبس سنة مع الشغل –خُففتْ لاحقـــًا إلى 3 أشهر[48]– وكفالة 1000 جنيه لوقف التنفيذ في تهمة الفعل الفاضح، و6 أشهر– خُففتْ لاحقـــًا إلى شهر– وكفالة 500 جنيه لتعديه على أفراد القوة التي ضبطته[49].

كان الشيخ ونيس لحظة ضبطه متلبســـًا قد ادعى أن من كانت ترافقه في سيارته هي ابنة شقيقته، وأنها أصيبت بحالة دوار في أثناء استقلالها السيارة، وأنه كان يساعدها في شراء لوازمها استعدادًا لزفافها بعد أيام، وهو ما أثبتت تحريات المباحث عدم صحته.

وجبة النميمة في السنطة في نوفمبر 2014 كان عنوانها فيديوهات "عنتيل الغربية"، ممدوح حجازي، الذي تبرأ منه حزب "النور" بعد تورطه في تسجيل لحظات ممارسته الجنس مع نساء من أعمار مختلفة داخل شركته التي تعمل في مجال الدعاية والإعلان بمدينة السنطة[50].

وفي مؤتمر صحفي عقده صلاح عبدالمقصود وزير الإعلام الإخواني في مقر الوزارة بماسبيرو، قالت له داليا أشرف مراسلة قناة

---

48 عبدالحكيم الجندي، تخفيف الحكم على "ونيس" إلى الحبس 4 أشهر، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 22 نوفمبر 2012.

49 عبدالحكيم الجندي، الحبس 18 شهرًا لـ"ونيس" و6 للفتاة في واقعة "الفعل الفاضح"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 22 يوليو 2012.

50 رفيق ناصف وأحمد فتحي، عنتيل جديد بالغربية.. سلفي يمارس الرذيلة مع سيدات ويصورهن "عرايا" بشركته، موقع "بوابة الوطن" الإلكتروني، 11 نوفمبر 2014.

"النهار": "أنت تتحدث عن تطوير شكل الشاشة في التليفزيون المصري دون أن نرى أي تطوير حقيقي في نوعية العمل الإعلامي في ماسبيرو"، فرد عليها قائلًا "تعالى وأنا أوريكي فين التطوير".

قبلها بأيام، كانت قد سألته صحفية في مركز حقوقي "أين حرية الصحافة"، فأجابها بالتعبير السوقي المبتذل في الشارع المصري: "تعالي وأنا أقولك فين"[51].

زلة لسان الوزير الإخواني في رده على صحفيتين أحرجتاه، لم تكن تعبيرًا عن اشتهاء، وإن كانت كبتًا جنسيًا، وإحساسًا بالضعف والعجز يعوضه صاحبه في استعراض يهين به من انتصرتا عليه.. إهانة في خيال مريض[52].

وفي عهد حُكم الإخوان المسلمين، رأينا أحد مشايخ الفضائيات، عبدالله بدر يُحكم عليه بالسجن لمدة سنة عقابًا له على واحدة من وصلاته التي اعتدى فيها لفظيًا على الفنانة إلهام شاهين.

خيالاته لا تفرق بين مجال الفن /السينما والواقع... ولم ير في النجمة الشهيرة سوى وضع الاشتهاء وسألها "كم واحد اعتلاكِ؟".

استعراض رجل مهزوم، يحتمي بمنصته ويتصور أنه يضغط على

---

[51] محمد طه، للمرة الثانية: تصريحات وزير الإعلام تثير أزمة، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 25 إبريل 2013.

[52] وائل عبدالفتاح، الوزير والجنس، موقع "التحرير" الإلكتروني"، 17 إبريل 2013.

نقطة ضعف ستتدارى هي خجلًا من فضحها[53].

على هذا النسق، رأينا عددًا من نجوم التطرف مهووسين بالكلام عن الجنس والانشغال الحاد بجسد المرأة، حتى يكاد يتصور المشاهد العادي أن النساء يسرن في الشوارع بالبكيني، وأنه لا بدَّ من حرب أخلاقية.. أو أن أصل الفساد والاستبداد خروج المرأة من البيت والحل حبسهن جميعــًا في مستعمرات عقاب.

إنه الجنس، محرك الأفكار والعقول في المجتمعات المحافظة، ومجازاته هي الأكثر انتشارًا في السياسة من ركوب السلطة إلى وصف فعل سياسي فاسد بالعهر.. إلى آخر تشبيهات الاستبداد بالفعل الجنسي.

اتسق السلفيون مع أنفسهم، عندما احتشدوا من أجل وقف برنامج "الراقصة" على قناة "القاهرة والناس"، عندما لم يجدوا شيئــًا في جبال الهموم التي تحيط بمصر من كل جانب سوى برنامج يتكلم عن الرقص الشرقي. لم يجد من تصفهم جماعات إسلامية أخرى بأنهم "جماعة فقه الحيض والنفاسِ"[54] شيئــًا من قضايا السياسة والتنمية وحل الأزمات المجتمعية والاقتصادية المختلفة يستأهل احتشادهم، واهتمامهم، وتركيزهم، لكنهم وجدوا البرنامج المقصود أحق، بالطبع،

---

[53] وائل عبدالفتاح، حكايات من القاهرة: استعراضات الرجولة، جريدة "السفير"، بيروت، 20 إبريل 2013.

[54] ماهر فرغلي، سراديب السلفيين: محاولة لفهم الحالة السلفية، مرجع سابق، ص 9.

بالاهتمام والاحتشاد والتركيز!

هذا ما فعله كبيرهم في مناسباتٍ عدة.

تمامـــًا مثل عربة طائشة، صدم قياديٌّ سلفي المجتمع المصري في 2014.

لم يكن أحد يتخيل أن يأتي طبيب الأطفال ياسر محمود برهامي حشيش، ابن مدينة كفر الدوار محافظة البحيرة، ليقدم لنا -بصفته نائب رئيس الدعوة السلفية- فتوى بدتْ لكثيرين مخالفة للأعراف، فضلًا عن كونها متعارضة مع ما هو معلومٌ من صحيح الدين الإسلامي.

فقد أفتى ياسر برهامي، نائب رئيس الدعوة السلفية، بأحقية الزوج في عدم وجوب الدفاع عن العرض إذا ظن الزوج أنه سيُقتَل على يد المعتدين الذين يريدون الاعتداء على زوجته حفاظـــًا على حياته.

وقال برهامي ردًا على سؤال موجه له عبر موقع "أنا السلفي": "أن النقل الذي اعتمدتُه في الإجابة المذكورة هو كلام الإمام العز بن عبدالسلام -رحمه الله- في كتابه "قواعد الأحكام في مصالح الأنام"، وهو إنما ذكر وجوب تقديم المال لحفظ النفس، ولم يتعرض لمسألة العرض، ولكن مقتضى كلامه ذلك أيضـــًا؛ ولكن انتبه أن هذا الأمر إنما هو في حالة واحدة، وهي العلم بقتله وأن تغتصب، وأما

مع احتمال الدفع؛ فقد وجب الدفع بلا خلاف".

وتابع: "هو في هذه الحالة مُكره، وسقط عنه الوجوب على مقتضى كلام العز بن عبدالسلام -رحمه الله- وغيره، ولكن نعيد التنبيه أنه مع احتمال الدفع يجب الدفع، مع أن صورتك في السؤال صورة ذهنية مجردة؛ إذ كيف يكون غرضهم اغتصابها ثم إذا قتلوه لم يغتصبوها؟"[55].

"تخلّي المرء عن الدفاع عن عِرض وشرف فتاة يعد خسة ونذالة، فهو مطالب بالدفاع عنها، حتى لو كان لا يعرفها، حتى الموت". هكذا هاجم محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، فتوى ياسر برهامي، دون ذكر اسمه. وقال وزير الأوقاف، في خطبة الجمعة، بمسجد الرحمة برأس البر بدمياط: "إن الإسلام يحث على أن يدافع المرء عن ماله، فما بالنا بعِرضه؟!"[56].

بعد يومٍ واحد من فتواه بجواز أن يترك الرجل زوجته تغتصب، حفاظـًا على حياته، أصدر طبيب الأطفال ياسر برهامي، نائب رئيس الدعوة السلفية، فتوى جديدة قال فيها إن قتل الزوج زوجته

---

[55] غادة محمد الشريف، برهامي: يجوز ترك الرجل زوجته تُغتصب حفاظـًا على حياته، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 24 إبريل 2014.

[56] سحر المليجي وكريمة حسن وناصر الكاشف وعماد الشاذلي، وزير الأوقاف يرد على فتوى "اغتصاب الزوجة" أثناء خطبة الجمعة: تركها خسة ونذالة، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 10 مايو 2014.

وعشيقها حال التلبس بفعل الزنى، بشرط رؤية "الفرْج في الفَرْج"، لا يُقبَل شرعـــًا في الدنيا ادعاؤه إلا بالشهود أو اعتراف أولياء القتيلين. وأجاب، ردًا على سؤال على موقع "أنا السلفي" الذي يشرف عليه حول حُكم الشرع في زوج رأى زوجته تزني مع رجل، ولم يتمكن من قتلها وعشيقها، لكنه قتلهما بعد ذلك، بقوله إنه لا يجوز له القتل لمجرد رؤيتهما عاريين، ما لم يرَ الفَرْج في الفَرْج[57].

وتستوقفنا هنا مواقف رموز التيار السلفي مع قضايا تتعلق بحقوق المرأة والجنس، بدأت إرهاصاتها أثناء انعقاد البرلمان الأول بعد ثورة 25 يناير، عندما طالب بعض أعضائه بإلغاء بعض قوانين الأحوال الشخصية مثل الخلع، ثم الحديث الذي أثير عن مقترح في دستور ما بعد الثورة للسماح بزواج القاصرات، وقول أحد رموز هذا التيار – وهو الطبيب ياسر برهامي مرة أخرى– إن زواج الأطفال يعد حلًا لمشكلة الزواج العرفي، طالما تستطيع الفتاة تحمل عبء الممارسة الزوجية، مرورًا برفض تعيين امرأة في منصب نائب الرئيس، وهو الأمر الذي أجبر الرئيس – حينذاك– محمد مرسي على الإذعان ومخالفة وعوده للقوى المدنية قبيل انتخابه.

---

[57] محمد طلعت داوود وكمال مراد ومينا غالي وسعيد علي، فتوى جديدة لبرهامي: لا يجوز قتل الزوجة وعشيقها لمجرد وجودهما عاريين معـــًا، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 25 إبريل 2014.

وقبل عِدة سنوات خرج علينا إسلامي آخر، هو الشيخ عبدالمُحسن عبيكان، بفتوى جواز "إرضاع الكبير" من ثدي زميلة في العمل، غير متزوج منها، درءًا لغواية الزِنى. انتصر البعض للفتوى، وعارضها كثيرون، حتى توارت المسألة في طي النسيان.

غير أن هذا التأويل لنصوص أو أحكام دينية، يدخل في باب التفسير الذكوري المُريح لما يعتقده هؤلاء الإخوة بأنه "شرع الله". وبتعبير آخر، فهو تفسير "حسب الطلب"، أي طِبقــًا لما يُريدونه هم، وبما يمكن أن يُلبي أغراضهم الدنيوية. فإذا أمسك آخرون بتلابيبهم، فربما يستدعون المبدأ الشرعي الذي فحواه "أن الضرورات تُبيح المحظورات". من ذلك أنه إذا اشتدت ضرورة الرغبة الجنسية بين زميل وزميلة في العمل، فليتساميا ويستعيضا عن النكاح بالإرضاع[58]!

وحسب الألماني رايموت رايش في كتابه "النشاط الجنسي وصراع الطبقات"، يُقاس الجنس بمعيار القيم التبادلية، فيكون المعيار كم امرأة تحوز، وكم عدد طلبات الزواج التي رفضتها المرأة، بل ويقاس النشاط الجنسي بكم الأولاد الناتجة عنه، "وسط هذه القيم ينعم المشايخ الكبار ويروجون للتعدد وزواج القاصرات، ويتحولون أيضــًا إلى مثل أعلى للمحرومين الفقراء"[59].

---

[58] د.سعد الدين إبراهيم، مشكلة الإسلاميين مع ثدي المرأة، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 23 فبراير 2013.

[59] محمد فتحي يونس، الجنس عند السلفيين المصريين.. رؤية طبقية، جريدة "الوطن"، القاهرة، 11 أكتوبر 2012.

الأمر لا يقتصر على ما أورده خالد البري، الذي قرر الابتعاد عن "الجماعة" واكتفى بأداء الفرائض في المترل، واستأنف مشاهدة التليفزيون بعد مقاطعة دامت خمس سنوات، وعاد مشجعاً أهلاوياً يهتف لنجوم فريقه الكروي المفضل في مدرجات تشجيع الشياطين الحمر.

إن سيرة خالد البري نموذج للتزمتِ في التربية والتثقيف الذي يقود إلى العنف الفردي فالجماعي، تماماً مثلما كان يفعل بعض "الإخوة" ممن كانوا ينقّضون على الناس بالجنازير والأسلحة البيضاء وهم يرددون "الله أكبر"!

دعونا نشير إلى أن د.بكر زكي عوض، أستاذ ورئيس قسم الدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين، الذي كتب التقرير الخاص بمنع كتاب خالد البري، أوصى بضرورة حذف خاتمة الكتاب من ص 123 إلى ص 139، والتي يقول فيها إنه أدرك الدنيا من جديد بعد مشاهدته للأفلام الجنسية ومن كلامه مع صديقه اليساري حسن الذي تعلم منه متعة الشك.. وتكلم عن أثر فيلم "وليمة بابيت" وأثره على تغيير ثقافته، في هذه الفترة لأول مرة شاهد فيلماً جنسياً صريحاً أصابه بالقرف والاشمئزاز، وقوله في ص 128 "إنني صدمت حين مارست الجنس للمرة الأولى، لقد أزال ذلك الفيلم الإباحي الضباب عن عينَي شاب تربى على الأوهام".

ومن نقطة النهاية إلى خيط البداية، يظهر هؤلاء: "بشر عاديون"؛ كلهم خطاؤون، يرتكبون الأخطاء ويقترفون الآثام التي ينهون عنها، وينسون قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ" [سورة الصف: 2-3].

ما أصعب أن نجري على منحدر، حالمين بطوق النجاة، ولكن بدلًا من التعلق بالأشجار، فإننا نخلعها ونحملها معنا في سقطتنا.. التي لا نهاية لها.

تدريس الجنس على الشاشة

الجنس على شاشة السينما هو حديقة الحواس التي يتذوقها آخرون نيابة عنا.

انحناءات الجسد، حميمية اللحظة، وإيماءات الصورة تتحالف في مجملها مع حوارات ذات مغزى وسيناريوهات توقظ الرغبة، فتكون النتيجة مشاهد مثيرة تحتفظ بها ذاكرة السينما.. والمتفرجين.

يأتي فيلم "النعامة والطاووس" ضمن قائمة طويلة من الأفلام العربية والأجنبية التي عزفت على أوتار اللذة ولمست العصب المشدود مثل أسلاك عارية في أذهان الجمهور: طبق الجنس الذي لا يقاوم.

بعد ثلاثين عامـــاً من الرفض، عرف حلم المخرج الراحل صلاح أبو سيف يعرف طريقه إلى النور، من خلال ابنه محمد أبو سيف الذي أخرج فيلم "النعامة والطاووس".

يتناول الفيلم المشكلات الزوجية الناتجة عن عدم التوافق الجنسي بين الزوجين.

وفي الوقت الذي تؤكد فيه دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في نهاية تسعينيات القرن العشرين أن 90٪ من حالات الطلاق في مصر تحدث بسبب عدم التوافق الجنسي، واجه مشروع هذا الفيلم مشكلات وعقبات عدة، منذ أن قدمه صلاح أبو سيف إلى الرقابة على المصنفات الفنية في عام 1971.. يومها تصور أبو سيف أن الرقابة ستوافق على سيناريو الفيلم الذي كتب له القصة وشاركه في كتابة السيناريو والحوار لينين الرملي، خاصة أن تلك الفترة شهدت ثورة الشباب الجنسية في العالم كله، وارتفعت شعارات تنادي بالحرية الجنسية في أوروبا والولايات المتحدة حتى وصلت أصداؤها إلينا.

غير أن الرقابة وقتها كانت تعيش في عالم آخر، حيث أذهلهم الموضوع وأصابهم بصدمة، فكان الرد بالرفض، وفشلت محاولات صلاح أبو سيف لتمرير الفيلم مرة تلو الأخرى، حتى بعد إجراء بعض التعديلات الطفيفة على السيناريو وتغيير العنوان إلى "تزوج

وعش سعيدًا". وفي كل مرة كان أبو سيف متشبثــًا بالحلم ويرشح له الأبطال، بدءًا من محمود ياسين ونجلاء فتحي، مرورًا بأحمد زكي ويسرا، ثم يحيى الفخراني وليلى علوي، وهما آخر المرشحين لبطولة الفيلم حتى قبل وفاة المخرج الكبير بعامين أي عام 1994.

"النعامة والطاووس" عنوان الفيلم الذي حقق به محمد أبو سيف حلم والده، وأهداه إلى روح المخرج الراحل، مؤكدًا أن التعديلات على السيناريو لا تمس سياق الأحداث وموضحــًا أن الموافقة على السيناريو نجمت عن تطور عقلية الرقباء والناس حتى أصبح الرأي العام مؤهلًا لتقبل موضوعات جريئة مطروحة كعمل سينمائي.

يرى محمد أبو سيف أن فيلمه الذي أنتج عام 2002 ليس إباحيًا ولا يحوي أي مشاهد عري، فهو يعالج طبيعة العلاقة بين الزوجين "حمدي" (مصطفى شعبان) موظف الحسابات بإحدى الشركات، و"سميرة" (بسمة) الموظفة في أحد المشاغل، فالمشكلات الجنسية تعصف بحياتهما معــًا، فالزوجة تعاني البرود الجنسي نتيجة للتربية الجنسية الخاطئة وانعدام الثقافة الخاصة بها، في حين يعاني الزوج جراء رغباته المتأججة والتي تطفئها الزوجة ببرودها وخوفها.. مما يدفعه إلى الارتماء في أحضان فتيات الليل.

ومنذ المشهد الأول نواجه المشكلة بوضوح تام قبل بدء رحلة البحث عن حل لها.

مشهد (1) حجرة نوم سميرة وحمدي- ليل

حمدي: مفيش فايدة إنتي ما بتحسيش.. باردة.. يوم الولد بيعيط يوم الجرس بيضرب.. أنا طهقت.

سميرة: عايزني أعملك إيه؟

حمدي: لو ما كنتش أمك فهمتك، اسألي الستات بيعملوا إيه مع أجوازهم.

بعدها تحاول الزوجة أن تجد حلًا لهذه المصيبة قبل أن يقع الطلاق بينهما، فتذهب إلى الطبيبة النفسية "د.فاطمة" التي تلعب دورها الفنانة لبلبة، والتي تعقد معها جلسات عدة سعيـــاً لإيجاد حل لمشكلاتها الجنسية، وتحاول بطريقة شبه مدرسية تعليمها- وتعليمنا أيضـــاً- الجنس بطريقة صحيحة!

في مشهد (30)- عيادة الطبيبة يبدور الحوار التالي بين الزوجة سميرة وطبيبتها النفسية.

الطبيبة: مفيش حاجة اسمها إن الست تبقى باردة.. دي حالة مؤقتة بيبقى لها مظهر البرود ودي لها أسباب.

سميرة: زي إيه؟

الطبيبة: زي التربية الغلط والتجارب السيئة والقلق والخوف.. وغالبـــاً الراجل بيكون مسؤول مع مراته عن فشل علاقتهم.

بهدوء شديد، يقول محمد أبو سيف: لنكن صرحاء، فلا نلف وندور حول الموضوع، إن ما نعانيه من مشكلات جنسية سببه ما نبذله من مشقة وعناء لإخفاء الموضوع أو جعله غامضـــاً حتى لا نصاب بالخجل من الكلام فيه وعنه، فعندما نحاول نحن كسر حالة الخجل هذه فلا بدَّ أن نتبع الأسلوب المقابل وهو المباشرة والصراحة.. فإذا لم نتناول الموضوع بصراحة سيبتعد الناس عن عملنا السينمائي.

في أحد المشاهد، تسأل الطبيبة الزوج عن حياته الجنسية وعما إذا كان يبحث عن تفريغ لرغباته بعيدًا عن فراش الزوجية، مع نفسه مثلًا. وفي المشهد (22) يدور الحوار التالي في عيادة الطبيبة النفسية ويتخلله "فلاش باك" عن تجارب سميرة الزوجية وهي في سن الطفولة.

الطبيبة: وأنت صغيرة كان إمتى أول مرة حسيتي فيها بموضوع الجنس؟

سميرة: وهما الأطفال كمان بيحسوا بالجنس؟!

الطبيبة: طبعـــاً، دي غريزة طبيعية.. الطفل اللي عنده (4) سنين يبدأ يحس بلذة لما يكتشف جسمه بإيده.

ولكن ألا يبدو مستغربـــًا أن الرقباء الذين رفضوا فيلم "مدرسة الجنس" لصلاح أبو سيف هم الذين أجازوا فيلم "حمام الملاطيلي" للمخرج نفسه؟!

يرد محمد أبو سيف قائلًا: كان هذا أحد التناقضات التي نعاني منها وليس لدى تفسير غيره، فنحن نعاني تناقضات تراكمت معنا وفينا على مر الزمن ولا نجد لها تفسيرًا.

وضع "النعامة والطاووس" يده على أكثر من مشكلة جنسية، ومنها ختان الإناث، ففي مشهد (18) يدور الحوار التالي بين الطبيبة وسميرة.

الطبيبة: استئصال جزء حساس من جسم البنت بيسبب لها بطء في التجاوب مع جوزها.

سميرة: أمال إيه فايدة العملية؟

الطبيبة: مالهاش أي فايدة.. دي عادة مضرة والمفروض نبطلها.

سميرة: بس الدين أمر بيها!

الطبيبة: أغلب الناس فاهمين كده، ود مش صحيح.

حلم صلاح أبو سيف الذي عمل على تحقيقه محمد أبو سيف الابن بعد 30 عامـــًا بالتمام والكمال، يدفعنا إلى الإشارة إلى أن صلاح أبو سيف، الذي يعد رائد الواقعية في السينما المصرية

وصاحب ما لا يقل عن تسعة أفلام في قائمة أهم 100 فيلم في تاريخ السينما المصرية، اهتم بقضية وهاجس الجنس في كثير من أعماله: "حمام الملاطيلي"، "الزوجة الثانية"، ثم مشروع فيلم "مدرسة الجنس" أو تزوج وعش سعيدًا" الذي كان مصرًا على إنجازه، لكن الرقابة والقدر لم يسعفاه.

لقد قدم أبو سيف مشاهد "الزوجة الثانية" سعاد حسني التي تلاوع زوجها "العمدة" صلاح منصور في الفراش، في حين تواصل "الزوجة الأولى" سناء جميل طرق الباب بشدة بعد أن احترق قلبها بسبب ضحكات وتأوهات العروس أو "الزوجة الثانية" في الداخل.

هذا المخرج أثار جمهوره بمشهد الممثلة المعتزلة شمس البارودي وهي تخلع ملابسها من وراء ملاءة شفافة، في حين يراقب الممثل المعتزل أيضـــًا محمد العربي هذا الجسد الطازج ولعبة الضوء والظل المثيرة.

وإذا كان الجنس يتمدد فوق فراش الحوار في "النعامة والطاووس"، فإن السينما المصرية والعربية قدمت بدورها مشاهد جنسية أكثر جرأة من الكلمات.. مثل مشاهد الفراش بين سهير رمزي و"الطبيب" يوسف شعبان ثم "النصاب" عادل أدهم في فيلم سعيد مرزوق "المذنبون". بعد أحد هذه المشاهد التي ارتفعت فيها حرارة اللون الأحمر على الشاشة، "اقترض" عادل أدهم مبلغـــًا من

المال من سهير رمزي، بحجة أنه يريد سيولة مالية؛ لأن البنوك مغلقة بعد منتصف الليل!

الثواني القليلة التي شاهدناها بين هالة صدقي وأحمد زكي في الفراش ووسط إضاءة خافتة تمامـًا في "الهروب" كانت مثيرة وتنافسها إغماضة عينَي يسرا وانفعالاتها مع البطل نفسه في "الراعي والنساء".

وقبل هؤلاء أدت ميرفت أمين مع أحمد رمزي مشهدًا لا يُنسى على الأرض في "ثرثرة فوق النيل"، وشاركت رشدي أباظة مشهدًا آخر أكثر سخونة وعريًا في "أقوى طفل في العالم" قبل أن تتدخل صورة هند رستم وتفسد عليهما اللحظة!

أما معالي زايد فقد تفوقت بدرجة امتياز في مشهد لها مع يحيى الفخراني في فيلم "للحب قصة أخيرة"، لكن إجادتها وتلقائية ملامح وجهها في لحظة الوصول كان لهما ثمن باهظ، فقد استدعيت مع الفخراني ومخرج الفيلم رأفت الميهي من جانب بوليس الآداب للتحقيق مع ثلاثتهم بشأن ملابسات هذا المشهد.

معالي تعرضت لموقف مماثل بسبب مشاهد جمعتها مع ممدوح وافي في فيلم "أبو الدهب"، وكانت الرقابة أحد أطراف تلك الأزمة.

يتحايل المخرجون على الرقابة من خلال تقديم وجبة إثارة ضمنية كما فعل رضوان الكاشف في فيلمه "ليه يا بنفسج" عندما

استعرض ملابس لوسي الداخلية المنشورة بالألوان الطبيعية على حبل غسيل.

وكذلك فعل المخرج التونسي فريد بو غدير عندما استعرض الملابس الداخلية لإحدى بطلات فيلمه "عصفور السطح: حلفاويين" في هذا الفيلم رفضت تلك البطلة ارتداء حمالة صدر معينة؛ لأنها ترتبط بإحدى ذكرياتها مع زوجها السابق!

بعض المخرجين ركز على لعبة الإغواء، وينطبع في الذاكرة مشهد إغواء هند رستم لرشدي أباظة في "صراع في النيل"، وإغواء شادية لرشدي أباظة "الموعود" في فيلم "الطريق" ولعبة القط والفأر بين "زوجة المعلم" نعمت مختار و"الموظف" محمد العربي في "حمام الملاطيلي" وهي اللعبة التي انتهت بعدة صفعات على وجهه؛ لأنه تخاذل في اللحظة الحاسمة!

وظهرت المازوخية الجنسية بشكل عابر في الأفلام المصرية، مثل فيلمي "شفيقة ومتولي" (1978) و"درب الهوى" (1983).

وللاغتصاب على الشاشة الكبيرة أشكال وطرق، فمازلنا نسترجع شريط اغتصاب المدعو "فرج" للنجمة سعاد حسني وتمزيقه ملابسها الداخلية السوداء بناء على طلب المسؤول الأمني الكبير، كمال الشناوي، في فيلم "الكرنك"، ونتعاطف مع فاتن حمامة عندما تعرضت للاغتصاب في الحقل أثناء بحثها عن "جذر بطاطا" في "الحرام"

أو حين كادت تتعرض للحادث نفسه مثل شقيقتها زهرة العلا "هنادي" على يد (المهندس) أحمد مظهر في "دعاء الكروان" لولا أن الله سلم!

وقدم سعيد مرزوق مشهدًا تفصيليـــًا لهذه الجريمة ضد ليلى علوي في فيلم "المغتصبون" المأخوذ عن الحادثة الشهيرة لفتاة المعادي التي هزت مصر في منتصف ثمانينيات القرن العشرين.

وحتى العادة السرية قُدمت على شاشة السينما، وكان المخرج أنور الشناوي - الذي لم يُخرج طوال مشواره السينمائي سوى ثلاثة أفلام- من الجرأة بحيث يقدم لنا بطله في فيلم "السراب" يعاني عقدة نفسية جعلته منطويـــًا على ذاته يمارس العادة السرية ويعجز عن إقامة علاقة نسائية، مما يدفع زوجته إلى خيانته مع الطبيب الذي يشرف على علاجها، ولعب الأدوار الثلاثة في الفيلم نور الشريف ورشدي أباظة، وماجدة.

وإذا كان "السراب" قدم هذا المشهد بأسلوب بدائي يثير الابتسام والشفقة، فإن سعيد مرزوق في فيلمه الأول كمخرج "زوجتي والكلب" قدم المشهد نفسه بشكل أكثر دقة وأعمق تأثيرًا، من خلال الصور العارية على الجدران.. ووجه البطل وحركاته المضطربة.

وربما كانت سهير المرشدي في فيلم يوسف شاهين "عودة الابن الضال" نموذجـــًا نادرًا للمقابل الأنثوي في لعبة العادة السرية، حيث

تتحسس جسدها في رغبة ممزوجة بالحرمان الذي طال.

ربما رأينا أيضـــاً حول مثلية الذكور أدوارًا سينمائية من عينة بطل فيلم "أسرار عائلية" (إخراج هاني فوزي، 2013)، وخالد الصاوي في دور "حاتم"، رئيس التحرير، في فيلم "عمارة يعقوبيان" (إخراج مروان حامد، 2006). وفي فيلمَي إيناس الدغيدي "ما تيجي نرقص" (2006) و"ديسكو ديسكو" (1993) نرى على الهامش تلميحات عن المثلية بين الرجال. بدا حاتم ذو الفقار، في شخصية "توتو" في فيلم "مسجل خطر" (إخراج سمير سيف، 1991) نموذجـــاً للشخص الذي يتصرف بطريقة أقرب إلى الأنثى، حتى إنه يغيظ امرأة رفضها صلاح قابيل في دور "مصطفى"؛ ويقول لها متشفيـــاً إن "مصطفى" لا يريدها.

نرجع إلى الوراء أكثر لنرى يوسف شعبان في شخصية "رؤوف" في فيلم "حمّام الملاطيلي" (إخراج صلاح أبو سيف، 1973)، ذلك الرسام المثلي، الذي يرتاد الحمام الشعبي بحثـــاً عن المتعة مع رجال. هنا نجد عامل الحمّام، الذي قام بدروه إبراهيم قدري، يردد عادةً جملة "توب علينا يا رب"، في الإشارة إلى ما يقترفه الرسام من ذنب.

في فيلم "قطة على نار" (إخراج سمير سيف، 1977) المأخوذ عن "عربة اسمها الرغبة"، نتابع قصة رجلين (نور الشريف والممثل اللبناني شوقي متى) على علاقة حُبٍّ مثلية، وبعد أن كشف أحدهما عن علاقة

الآخر بشخص ثالث، انتحر الصديق، فأصبح الأول عازفاً عن الاقتراب من زوجته التي يحملها مسؤولية دفع صديقه إلى الانتحار بعد افتضاح علاقاته المثلية.

في "إسكندرية ليه؟" (إخراج يوسف شاهين، 1979) يقدم لنا البطل، أو المخرج صاحب السيرة الذاتية، خاله الذي يعيش حالة هيام مع جندي محتل، دون أن نلاحظ أي تنميطات أو إشارات سلبية لهذه العلاقة. نتقدم إلى الأمام، فنجد في "سرقات صيفية" (إخراج يسري نصر الله، 1989) صداقة وطيدة بين رجلين منذ سنوات الطفولة. صداقة حميمة وسط تلميحات بالمثلية، بين ابن من عائلة إقطاعية وابن من عائلة ريفية. وفي "مرسيدس" (إخراج يسري نصر الله، 1993) نتابع حالة مثلية أخرى بين باسم سمرة "أشرف" ومجدي كامل "جمال".

في فيلم "بحر الأوهام" (إخراج نادية حمزة، 1984) تناقش المخرجة قضية المثلية التي تطرقت إليها في أفلام أخرى، لكنها في مجملها لم تكن على المستوى الفني المطلوب، أو على مستوى تناول القضية. وقد يستوقفنا مشهد صغير في نهاية فيلم "عفاريت الأسفلت" (إخراج أسامة فوزي، 1996)، بين ماسح الأحذية المحروم من النساء لطفي لبيب، والمعتوه ماجد الكدواني، في لقطة غير مباشرة وغير واضحة. في "شحاذون ونبلاء" (إخراج أسماء البكري، 1991) تنشأ علاقة

حُبٌ بين ضابط شرطة، يلعب دوره عبدالعزيز مخيون، وشاب آخر.

هناك أيضـــاً شخصية متولي، التي قدمها عبدالله محمود في فيلم "ديسكو ديسكو" (إخراج إيناس الدغيدي، 1993)، الشاب الذي يمارس المثلية مقابل المال.

مع بداية الألفية الثانية، شهدنا جرأة أكبر في تناول القضية، وخاصة في فيلم "رشة جريئة" (إخراج سعيد حامد، 2001) الذي تطل فيه شخصية المخرج المثلي علي حسنين، الذي لا يوافق على إسناد أي دور لرجل، إلا بعد ممارسة الجنس معه[60].

وفي "ديل السمكة" (إخراج سمير سيف، 2003) نرى رؤوف مصطفى كشخص مثلي يعرض على أحمد (عمرو واكد) الطعام ثم الجنس، وحين يسأله أحمد ماذا سيحدث إن رفض فيجيبه الآخر: لا شيء.. نحن بشر، ويجوز لنا رفض ما نأبى[61].

في فيلم "حين ميسرة" (إخراج خالد يوسف، 2006)، برزت المثلية والاستغلال الجنسي والدعارة، ورأينا مشاهد المثلية بشكل خاص بين الممثلتين غادة عبدالرازق وسمية الخشاب، كما شهدنا

---

[60] شريف حسين، المثلية في السينما المصرية: كثير من السواد قليل من قوس قزح، موقع "رصيف 22" الإلكتروني، 26 سبتمبر 2015.

[61] آية سامي، المثلية الجنسية في السينما المصرية، موقع "مجلة أصوات" الإلكتروني، العدد 21، مارس 2014، ص 20–21.

شخصية المثلي في فيلم "رسائل البحر" (إخراج داود عبدالسيد، 2010)، من دون الدخول في أي تفاصيل أخرى.

في المقابل، نجد المثلية بين الإناث بدرجة أقل في السينما المصرية، مثل الدور الثانوي الذي لعبته ملك الجمل في فيلم "الطريق المسدود" (إخراج صلاح أبو سيف، 1957)، في الفيلم المأخوذ عن قصة للكاتب إحسان عبدالقدوس، وسيناريو نجيب محفوظ، وبطولة فاتن حمامة وأحمد مظهر وشكري سرحان. قدم أبو سيف المثلية في شخصية فرعية، هي معلّمة في مدرسة القرية، قامت بالدور الممثلة ملك الجمل. تحرك أبو سيف في إطار المسموح، التلميح ببعض العبارات والنظرات، من دون التطرق للدوافع أو الأسباب.

من أشهر القضايا الشائكة في السينما المصرية هي المثلية الجنسية، وقد تناولتها السينما بكثير من الاستحياء أو المغالطة وكذا فيلم "المتعة والعذاب" (إخراج نيازي مصطفى، 1971)، الذي يتعامل بشكل طفولي مع المثلية، عبر الفتاة التي تكره الرجال بسبب والدها، فتلجأ لجنسها نفسه. في هذا الإطار والتوجه، قدمت سناء يونس دور الفتاة المثلية في فيلم "جنون الشباب" (إخراج خليل شوقي، 1975). في الفيلم، الذي مُنِع من العرض لفترة طويلة، تثار قضايا الشباب وصراعاتهم مع المجتمع والعادات والتقاليد والأهل. قامت فيه سناء يونس بدور مثلية، تشعر بكراهية تجاه الرجال، وفي مقدمتهم والدها.

المثلية هنا توضح علاقة حُبّ من طرف واحد؛ إذ تقع البطلة في حب صديقتها، التي لعبت دورها الراقصة عزة الشريف. وحين تتركها وترحل لتتزوج من أحد أقاربها، تنتحر سناء.

أما فيلم "رحلة داخل امرأة" (إخراج أشرف فهمي، 1978)، فقدم قصة الفتاة التي تجد حياتها مع النساء بعد أن خانها زوجها، وتختار عشيقة لها. وفي العام نفسه، صدر الفيلم الأشهر عن المثلية، وربطها بالجريمة المتفق عليها من قبل المجتمع، الجاسوسية، فيلم "الصعود إلى الهاوية" (إخراج كمال الشيخ، 1978)، واستخدام الجنس ليسيطر الموساد على الجاسوسة مديحة كامل، عبر المرأة الفرنسية التي لعبت دورها إيمان.

في فيلم "بدون رقابة" (إخراج هاني جرجس فوزي، 2009) نتابع حكاية مجموعة من الطلاب الذين يدرسون في كلية الحقوق، لكن إنهاء الدراسة لا يشغلهم بعكس المتعة الجنسية؛ حيث يخصص أحدهم "أحمد فهمي" منزلًا يملكه للالتقاء بأصدقائه وتعاطي المخدرات وممارسة الجنس، في حين تُخصص إحداهن "علا غانم" منزلها لإقامة علاقات مثلية مع فتيات فقيرات تنفق عليهن.

لاحقـــًا، ظهرت أفلام أخرى تتناول مثلية النساء، ومنها الدور الذي قدمته حورية فرغلي في فيلم "هز وسط البلد" (إخراج محمد أبو سيف، 2014).

هذه المشاهد الجريئة شيء، وأن نقدم فيلمـًا تعليميـًا عن المشكلات الجنسية شيء آخر تمامـًا.. وربما خاب ظن البعض ممن انتظروا من "النعامة والطاووس" وعودًا براقة بالإثارة حين اكتشفوا أن الفيلم يتطرق إلى الجنس ويتحدث عنه دون أن يقدم "مناظر" ساخنة تشبع العيون النهمة والرغبات التي تظمأ ونبحث عمن يطفئها.

عز وزينة.. ومعركة التوأم

حين أسدل الستار على قضية أبوة الممثل أحمد عز لتوأمي الممثلة زينة، بدا أن مصر تشهد فصلًا جديدًا من قضايا إثبات النسب.

كانت زينة، قد حررت محضرًا ضد أحمد عز، قالت فيه إنهما تزوجا عرفيـــاً، لإثبات نسب توأميها (عزالدين وزين الدين)، لكن عز رفض هذه الادعاءات، ودخل الممثلان أروقة المحاكم، الأمر الذي فتح بوابات الجحيم على أحمد عز، وكشف عن زواج سري سابق له من المطربة أنغام.

وفي 13 يناير 2016، رفضت محكمة مستأنف الأسرة، الاستئناف المقدم من أحمد عز على الحُكم الصادر من محكمة أول درجة، بإثبات نسب توأم زينة له، وقضت بتأييد حكم أول درجة، فيما غابت زينة

عن الجلسة. كانت محكمة أسرة مدينة نصر أصدرت، في ٢٦ يونيو 2015، حكمـــًا بإثبات نسب التوأمين إلى عز، وألزمته بالمصروفات وأتعاب المحاماة.

ودفع محامي عز ببطلان الحكم الصادر من محكمة الأسرة بمدينة نصر، لانعدام صفة رئيس المحكمة، بعد انتدابه بوزارة العدل، وقدم ٥ حوافظ ومذكرة خاصة بالدفوع، وقال إن زينة قالت في تحقيقات النيابة، والمحكمة، إنها لا تستطيع ذكر أسماء الشهود على زواجها من عز.

غير أن المحكمة قالت في حيثيات الحُكم إن المدعية (زينة) غير محرمة شرعـــًا على عز، وتبين ذلك في حضور الشهود، كما أنه عاشرها معاشرة الأزواج، وسافرا معـــًا لقضاء عطلة الزفاف.

وقالت المحكمة في الحيثيات إن المدعية (وسام رضا إسماعيل) الشهيرة بزينة، سكنت بمسكن عز خلال فترة الزواج، والزيجة لاتزال قائمة وحملت منه ووضعت حملها، ورزقت منه بالصغيرين عز الدين وزين الدين، الأمر الذي يكون وفقـــًا للقانون، والمذهب الحنفي، دليلًا لقيام الزوجية ولثبوت نسب الصغيرين بالفراش[62].

وإذا كانت زينة قالت عقب الحُكم: "كنت متأكدة إن الحق هو اللي هينتصر في النهاية. والحمد لله ربنا رجّع لي حق أولادي"، فإن

---

[62] إبراهيم قراعة، قرار نهائي من المحكمة: "توأم زينة" ابنا "أحمد عز"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 14 يناير 2016.

أحمد عز ظل على موقفه بعدم الاعتراف بنسبة التوأم إليه، رغم خسارته المعركة القضائية.

ذيول المعركة تمثلت في الاستئناف المقدم من معتز الدكر محامي زينة، على حكم محكمة أسرة مدينة نصر القاضي بإلزام أحمد عز بدفع 20 ألف جنيه كنفقة شهرية بنوعيها إلى طفليه "عز الدين وزين الدين"، مع المطالبة بزيادة مبلغ النفقة إلى القدر الذي يتناسب ويسار حال عز .

طلب الاستئناف تحدث في بدايته عن أن زينة زوجة أحمد عز بصحيح العقد الشرعي، وأنه دخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج ولا تزال على عصمته، وأنجب منها على فراش الزوجية التوأم "عز الدين وزين الدين" هما في حضانتها، وقد صدر الحكم بثبوت نسب الصغيرين له، وتم تأييد الحكم بالاستئنافين، وقد امتنع دون حق ولا وجه شرعي عن الإنفاق عليهما رغم أنه ممثل شهير وله كثير من الأعمال السينمائية والتليفزيونية، وله أملاكه التي تدر عليه ما يزيد عن مليوني جنيه شهريـــاً. ثم تطرق الطعن إلى أنه لا يجوز أن يُحرم الصغار من ثراء وغنى والدهما الفاحش، ويقدر بمئات الملايين، بالإضافة إلى ممتلكاته المتسعة في مصر وخارجها.

وأكد الطعن أن زيادة يسار حال عز الكبير جعله يحاول إخفاءه إضرارًا بالصغيرين بالتواطؤ مع شركات الإنتاج، إلا أنه لم يستطع

إخفاء كل أعماله السينمائية والتلفزيونية والإذاعية على شاشات التليفزيون ودور السينما مهما حاول، هو أو من وراءه من شركات الإنتاج، الأمر الذي يجعل الحُكم قد صدر مخالفـًا للواقع وللمستندات[63].

وتثير قضايا "إثبات النسب"، ضجة كبيرة في مجتمعاتنا العربية، لما يتبعها من أزمات، يواجه معها أصحابها وخصوصـًا المشاهير، موجة من الانتقادات تارة والتعاطف تارة أخرى، وتنتهي القضايا في نهاية المطاف، إما بإثبات النسب، أو بقاء الأطفال بدون هوية.

فقد عانت الممثلة شيريهان لسنوات، ساعية خلف اعتراف أسرتها بها، كي تثبت نسبها إلى عائلة "الشلقاني"، الذي تزوجت منه والدتها سرًا، وبعد 16 عامـًا قضتها شيريهان في أروقة المحاكم، قضت المحكمة بنسبها إلى الشلقاني.

أما أحمد الفيشاوي، فقد أنهى قصته مع قضية النسب، بإعلان زواجه عرفيـًا من مهندسة الديكور هند الحناوي، واعترف بأبوته للطفلة "لينا"، بعد عامين قضاهما في المحاكم، رفض خلالهما إجراء تحليل إثبات نسب، وأجرى عشرات الحوارت في الفضائيات، أنكر فيها زواجه من هند الحناوي مهندسة الديكور عرفيـًا، وأبوته لابنته.

---

[63] أسماء شلبي، تعرف على أسباب طعن الفنانة زينة لطلب زيادة نفقة توأمها من أحمد عز، موقع "اليوم السابع" الإلكتروني، 10 سبتمبر 2016.

كما أقامت اللبنانية قمر، دعوى إثبات نسب ضد رجل الأعمال جمال مروان، نجل أشرف مروان، المستشار الأمني للراحل أنور السادات، لإثبات نسب ابنها "جيمي" لمروان، صاحب مجموعة شركات "ميلودي"، التي تبنت قمر فنيــًا في بداياتها، وبعد الذهاب إلى المحاكم، لم تتمكن قمر من إثبات نسب الطفل، وتم شطب الدعوى، بعد أن فشلت قمر في تقديم وثيقة أو شهود لإثبات زواجها ونسب ابنها[64].

في لبنان، أنكر الموسيقار زياد الرحباني، نجل المطربة فيروز، نسب ابنه عاصي، بعد تخطيه عامه الــ24، بعد أن قدم زياد أدلة على عدم نسبه عاصي له، بينها تحليل "الحمض النووي"، الذي حسم القضية لصالح زياد، وأثبت أن عاصي ليس ابنه.

قبل زواجه من مصمّمة المجوهرات جيهان العلي وقبل أن يولد ابناه خالد ولؤي، تناقلت الصحافة خبر أبوة "السوبر ستار" راغب علامة للطفلة سارة لونا. وهي – حسبما أشيع– مولودته الأولى من زوجته الأولى سيّدة المجتمع رندا زكا التي رفض الاعتراف بأبوته لها. وكان راغب علامة أوهِم فعلًا بأنه الوالد بعد انفصاله عن سيّدة المجتمع التي كانت قد قررت العودة إلى بيروت من باريس لترأس مجلس إدارة مصرف.

64 يوستينا بباوي، بين "الإثبات" و"الإنكار".. أشهر قضايا النسب لــ"مشاهير الفن"، موقع "بوابة الوطن" الإلكتروني، 4 مارس 2015.

غير أن راغب علامة أعلن أن سارة لونا ليست ابنته، بعد أن أجرى فحصًا للحمض النووي، تبين على إثره أن الطفلة ليست ابنته، ما دفعه إلى شطبها من قيد العائلة.

هند العشابي سيدة الأعمال المغربية الشهيرة، أصبحت في صيف 2016 عنوانـــــًا في وسائل الإعلام المغربية للخيانة الزوجية بعد أن كشف زوجها الدبلوماسي الكويتي أن إحدى ابنتيه منها ليست من صُلبه بل من رجل الأعمال المغربي الشهير محسن كريم بناني فرفع عليها دعاوى نصب وفساد وخيانة.

وما بين ارتباط الدبلوماسي الكويتي بهند العشابي بزواج شرعي واكتشاف خيانتها الزوجية له قصة بدأت في العام 2007 حين توّجت العلاقة بينه وبين صاحبة مجموعة «داليا ديفلومبنت» هند العشابي بعد قصة حب، ليبدآ حياتهما الزوجية.

استمرت الحياة بين الزوجين حتى يونيو 2016 حين ساورت الزوج الشكوك حول سلوكيات زوجته المغربية، وشكه كان من شخص بعينه هو المليونير رجل الأعمال المستثمر في قطاع الطيران محسن كريم بناني، بعد أن توطدت علاقته بزوجته، وحين مواجهتها بشكوكه انهارت باكية، كونه طعنها في شرفها بعد أن كانت له الزوجة المخلصة طيلة أعوام وكانت ثمرتها طفلتين.

أراد الزوج أن يقطع شكه بيقينه فطلب إجراء فحص DNA لابنته الثانية من هند، لتنكشف حقيقة أن البنت ممكن أن تكون ابنة أي رجل آخر غير «المخدوع» الكويتي الذي زاد يقينه حين تأكد أن نتائج الفحص تثبت أنها ابنة المليونير المغربي بناني. بعد ما تكشف من حقائق لم تستطع هند إنكارًا فاعترفت أن الفتاة ابنة بناني.

وعلى الرغم من وضع الزوج الاجتماعي، ورغم كل ما ستتعرض له عائلته من تشهير إن انتشر الخبر، فإن قرار رفع دعوى قضائية أمام المحاكم المغربية كان هو الحل ولا حل غيره، فرفع أمره إلى السلطات الأمنية.

استشعرت هند الخطر فحزمت حقائبها وقررت مغادرة المغرب عبر مطار «الرباط سلا»، لكن قرارًا صدر بإيقافها فألقي القبض عليها وباتت هي وعشيقها محسن رهن التحقيق ووجهت لهما اتهامات بالنصب والفساد والخيانة الزوجية، هنا انكشف أن هند تحمل في أحشائها جنينًا ثالثًا حاولت التخلص منه إجهاضًا، لكن كونه في الشهر السابع حال دون نجاحها في ذلك وفق شهادة الطبيبة التي وقعت الكشف الطبي عليها.

بالتحقيق مع محسن بناني زعم أنه متزوج من هند بعد طلاقها من زوجها الكويتي، حين توجها إلى مالي حتى لا تعرف زوجته الأولى بأمر زواجه من هند، وأظهر عقد زواج يوثق كلامه، لكن عندما تحرى

المحققون تبين كذبه حيث لم يزر مالي كما أن هند لم تزرها.

تم وضع هند تحت الحراسة في السجن المدني بعد أن وُجهت لها تهمة إقامة علاقة غير شرعية مع محسن كريم بناني، في وقت بات الأخير رهن الاعتقال كونه العشيق، قبل أن يحالا إلى سجن سلا المغربي.

حُبٌّ كأنه الفضيحة!

من أية نقطة يبدأ الحُبُّ بين الربيع والخريف؟

كيف تلتقي وردة الشقاوة والدلال مع حارس الغيوم ذي الشعر الأبيض؟

ما اسم هذا اللون من العشق الذي يولد في عينَي عاشق لفتاة في عمر ابنته؟

جيش من الأسئلة يتدفق باحثـاً عن إجابة، لكن تبقى حقيقة ساطعة مفادها أن هذا الحُبّ الذي يراه البعض صعبـاً لا يبدو على أرض الواقع مستحيلًا، فهو يحدث يوميـاً ويتكرر سرًا وعلنـاً.

ظاهرة "لوليتا" خبرٌ يومي وحكاية مفضلة وشائعة دسمة تتداولها الألسنة في أربعة أركان الدنيا.. إنه نوع من الحُبّ يتمنى الآخرون ألا

يقع أو حتى يكون موجودًا، لكنه في النهاية ينبت مثل زهرة طرية تتحدى صلابة أرض مليئة بالشقوق.

وحين يولد الحُبُّ بين رجل في منتصف العمر –أو حتى أكثر من ذلك– وفتاة في سن التفتح مثل شوق إلى حضن دافئ، فإن علامات الدهشة والتعجب – وفي أحيان أخرى الرفض والاستنكار– تتراقص مثل الأشباح المخيفة حول طرفي هذا الحب، في محاولة للترهيب.

حُبٌّ كأنه فضيحة!

ولكن، متى لم يكن الحُبُّ فضيحة، أو مشروع حكاية مثيرة، خاصة في مجتمع يتحدث بلهفة عن قنبلة الموسم حسب إعلان تليفزيوني قديم: "بيبو فرقع جيجي"؟!

ربما تزداد صعوبة الموقف حين يكون هذا الحُبُّ سرًا أو يسعى طرفا هذه الحالة إلى إخفاء تفاصيل هذه المشاعر عن الأعين الفضولية النهمة إلى متابعة أخبار هذا الحب– الفضيحة وكأنهم يتفرجون على شريط سينمائي مثير ينتظرون لحظة النهاية فيه على أحر من الجمر.

والحُبُّ في ظل فارق السن الكبير بين الرجل والمرأة يجمع بين الكثير من المتناقضات، ولكن حين يجتمع الربيع والخريف يهطل المطر!

وفي المسلسل الرمضاني "عائلة الحاج متولي" (2001) تذهب فوزية، أرملة طلعت، لشراء مستلزماتها من محل الحاج متولي "نور

الشريف"، فيقابلها الأخير وهو لا يعلم أنها زميلة ابنه سعيد في الكلية وأن بينهما قصة حب، ويحاول التقرب منها بشتى الوسائل. أما محمود مرسي في مسلسل "بنات أفكاري" (2001) فإنه يقع في غرام إلهام شاهين، ليتجاهل الاثنان هذا الفارق الكبير في العمر بينهما.

إنه حُبٌّ يتمرد على قيود المجتمع ويرفض أن تكون المشاعر بالمقاس ويتحدى المواصفات الموحدة ويقترح بدلًا من ذلك كله فكرة الحب بالمقادير!

فالحُبُّ في هذه الحالة رشة مشاعر ورشة تفاهم. لا شيء أكثر من ذلك؛ لأن الحُبَّ في ظل فارق السن بين رجل ناضج ومراهقة أو فتاة تقف على بوابة الأحلام، يعني ببساطة التحرر من أي قيود أو ضوابط. إنه الحب وفق العبارة المشهورة "هو ألا تقول إنك آسف". وربما يراه البعض مقعدَين في الصف الخلفي الأخير من دار للعرض السينمائي أو عشاء على ضوء الشموع أو خلافـًا بين حبيبين حتى يتصالحا!

وإذا كان البعض ينكر على "الحاج متولي" أو "الحاج" محمود مرسي مثل هذه المشاعر التي تسيطر عليه تجاه فتاة أصغر سنـًا، فإن الواقع يقول إن هذا الحُبَّ هادرٌ كموجة صاخبة وقادر على التغلب على مصدات الأمواج.

وفي مايو 1997 صدرت في بريطانيا رواية لفتاة في الثامنة عشرة تحكي عن حُبٍّ مراهقة للرجال الأكثر منها سنـــًا. المؤلفة بيديشا بندوبدياي طالبة هندية في جامعة أكسفورد، لكنها كتبت المسودة الأولى عندما كانت في السادسة عشرة والمسودة الثالثة والأخيرة في الثامنة عشرة. تحكي Seahorses "أفراس البحر" عن ثلاثة رجال متعَبين من العالم يكبرونها سنـــًا، ينجذبون إليها مثل فراشة تنشد النور لتنتحر في جاذبية الضوء وتحت مقصلة الرغبة،

إنها قصة قديمة وأخاذة، وربما يتذكر الكثيرون قصص الأديبة جين أوستن عن الرجال الأثرياء الذين يُفجِّرون ينابيع الحُبِّ والشوق لدي فتيات محظوظات بالفوز بقلوب وثروات هؤلاء الرجال الناضجين سنـــًا.

والرجل الأربعيني أو الخمسيني يجذب فتيات أصغر سنـــًا في هذا العمر الخطر والجذاب؛ إذ يغتال النفس جيدًا بصمته وانفعالاته الثابتة. هذا الرجل خطير لأنه يحتاج إلى حنان خاص وحُبٍّ فريد وجنس مختلف.

إنه حُبٌّ يشبه الصفقة السرية، إحساس يربط بين المتحابين واحتياج متبادل بين الطرفين.. هو يحتاج - وربما يفتقد - الأنوثة الفائرة التي تشبه البركان، والمشاعر الدافئة التي تقدم له "المساج" العاطفي مثل فتاة غيشا في بلاد الشمس المشرقة: اليابان. وهي تبحث

عن الخبرة والنضج والأمان، من الحضن الدافئ إلى الجيب الممتلئ – حسب الأولوية لدى كل فتاة– وترى فيه الحبيب المخلص أو الأب الحنون، وتتمنى أن تقضي معه أجمل الأوقات والحكايات إلى أن تنتهي الحدوتة.. و"توتة توتة"!

غير أن هذه الصفقة قد تكون خادعة، أو تشبه لعبة المرايا التي تجدها في دور الملاهي، حيث تحاصرك المرايا التي تعكس صورتك في أشكال مشوهة.. قد تضحك، لكنها تظل صورًا وهمية!

فالرجل قد ينتظر من وراء هذه الصفقة تأشيرة دخول إلى مدينة اللذة والاستمتاع بعطر الأنوثة من فتاة آخر شقاوة ودلع على طريقة "قليل من الهوى يصلح ما أفسد الدهر"!

أما الفتاة الأصغر سنـــًا فهي لوليتا التي تبيع شغب الجسد وفوضى الرغبة، لتشتري الأحلام التي تتمناها وتتطلع إليها. إنها تستقيل من "ميري" الحب لتبحث عن مشاعر قطاع خاص، تدفع أكثر على طريقة لا تعط جوهرة إلا لمن يستطيع دفع ثمنها !

غير أن المشكلة تكمن في أن هناك ثغرة ما في مثل هذه العلاقة.. قد تحدث أو لا تحدث.. ثغرة عدم الاطمئنان إلى دوام الحال أو المشاعر، والخوف من المستقبل، وأن تزوغ عينا أو جسد الطرف الثاني نحو طرف ثالث، ليتم فض الشراكة أو فسخ "العقد".. فلا يصبح في مثل هذه الحالة شريعة المتعاقدين.

إلهام شاهين تزوجت وانفصلت مرتين عن رجلين يكبرانها في السن، هما المنتج والخبير السياحي د.عادل حسني واللبناني عزت قدورة.. الأول ظلت على علاقة طيبة معه، والثاني استعان ببلطجي كي يحاول تشويه وجهها بماء النار.. الغريب أنها حرصت على إخفاء تفاصيل الزيجتين عن الناس، حتى انكشف المستور في لحظة ما.

تستدعي الذاكرة قصة ذات حضور خاص تحمل توقيع الأديب محمد المنسي قنديل اسم القصة – التي تحمل المجموعة عنوانها– "احتضار قط عجوز"، وهي تدور حول رجل عجوز يذهب مرغمـــاً لدعوة قريب له لا يحبه لحضور حفل زواج ابنته، في مكتب هذا القريب الذي يعمل ناظر مدرسة، تومض اللحظة حين تقف أمام الناظر فتاة متمردة فائرة الجسد تنتظر العقوبة تأديبـــاً لها على مخالفتها قواعد الدراسة، فيجد العجوز نفسه مدفوعـــاً بقوة خفية إلى التوسط لدى الناظر للعفو عن هذه الفتاة التي لا يعرفها، فيقبل هذا الناظر على امتعاض.

منذ هذه اللحظة تحول العجوز إلى أسير لجرأة وتمرد وشقاوة هذه التلميذة المراهقة، فينتظرها بسيارته على باب المدرسة، ليصبح مثل دب عجوز يطارد نقطة عسل فيسقط في بئر بلا قرار. إن الفتاة تدرك بحاستها أو غريزتها أن الرجل قد وقع في غرامها، فتبدأ رحلة المشاكسة بالتمنع، ثم توافق على عرضه المرتبك بأن تأتي إليه في منزلة.

تأمل كيف يصور المنسي قنديل حالة الرجل الذي يعاني رحيل الزوجة وغياب الابنة بعد زفافها لعريسها، وهو يشاهد الفتاة العابثة تفتح الغرف المغلقة أو المناطق المحرمة داخل المترل الواسع وتنهي إضراب أشعة الشمس عن دخول تلك الغرفة الموحسة والباردة مثل جثمان مسجى، وهي تفعل ذلك كله بعد أن تتجرد من ثيابها، فتحبس أنفاس ورغبات العجوز الذي يرفع بسرعة راية الاستسلام أمام سيمفونية إلحاح الجسد الشاب.. هذا الاستسلام لفتاة أصغر سنـــاً وأكثر إباحية، ينتهي بأسلوب مأساوي حيث يلقى العجوز مصرعه بطعنة من الشاب البلطجي الذي يعشق هذه الفتاة عند باب المدرسة!

حين قرأت تلك القصة الثرية في منتصف ثمانينيات القرن العشرين شعرت بأنني أمام شخصيات من لحم ودم، بكل ما يعنيه ذلك من صخب واحتياج ونزق، وتصورت – آنذاك– أن البطل لابدَّ أن يكون على هيئة محمود مرسي، أما الفتاة فلم يكن في ذهني سوى فنانة واحدة تستطيع أن تجمع بين حداثة السن وفوران الجسد وتمرد الشخصية: شيريهان.

إن "لوليتا" فلاديمير نابوكوف تطل علينا باستمرار، وحين شاهد الجمهور فيلم "لوليتا" في الستينيات للمخرج العبقري ستانلي كوبريك، لم يشعر كثيرون بصداع؛ لأن حُبَّ الكبار للمراهقات لم يكن مشكلة شائعة مثلما هي الحال اليوم، ولأن التعبير عن تلك

المشاعر في الفيلم بدا محتشمـــًا ومتحفظـــًا، وهو أمر لم تعد السينما الشديدة الواقعية تستسيغه في عالمنا اليوم.

قبلة الكاتب همبرت همبرت على خد "لوليتا" أو طلاؤه أظفار رجليها كانا إشارتين كافيتين منذ نحو ثلث قرن، غير أن مشاهدي الأفلام اليوم لا يكتفون بالإيحاءات وينتظرون من المخرجين مشاهد أكثر صراحة لكي يتأكدوا مما يحدث، نابوكوف يبدأ روايته بالتمييز بين الخير والشر والعجز عن مقاومة الأخير: "لوليتا، نور حياتي ونار خاصرتي خطيئتي.. روحي".

غير أن قراءة الرواية تبقى أقل تأثيرًا من قصص واقعية نشاهدها ونعرفها، أو نسمع عنها، تشير إلى علاقة بين رجل ناضج، وهذا تعبير مهذب عمن بدأ رحلة العقد الخامس أو تجاوزه ومراهقة أو فتاة تبحث عن شامبليون يفك ألغاز حروف الجسد. إنها تشبه قراءة حكاية ومغامرات المستكشف كريستوفر كولومبوس ليلمس الأرض الجديدة فإذا به يكتشف قارة بأكملها!

يبدو أن ثمة ما يسحر الرجال الناضجين أو الكبار، أو ما يثير الإعجاب في اجتماع طفولة الشكل ونضج الطبيعة.. في فيلم "لوليتا" طبعة التسعينيات، توحد كثيرون مع النجم البريطاني جيريمي أيرونز الذي يؤدي دور الكاتب وهو يتبادل القبلات مع "لوليتا" أو الممثلة الشابة دومينيك سوين، والقبلات هنا بدت أكثر تأثيرًا من مشاهد

أكثر صراحة في أفلام أخرى بين رجال ونساء ليس بينهم مثل هذا الفارق في العمر.

رواية نابوكوف أخلاقية، تنتهي بموت لوليتا وسجن همبرت، لكنها تؤرق كثيرين؛ لأنها تشبه رحلة البحث عن السعادة على الرغم من المسافة الكبيرة التي تفصل بين عالم الأنوثة المتفتحة والرجولة التي بدأت في حزم حقائبها استعدادًا للرحيل!

إن الرواية تجعلك تفهم وتتفهم نفسية رجل خمسيني يقع في غرام مراهقة، فيكتشف مساحة مجهولة من مشاعره وأحاسيسه، فيلم "لوليتا" التسعينيات الذي أخرجه البريطاني أدريان لين وأنتجه اللبناني ماريو قصار – صاحب شركة إنتاج مقرها هوليوود– كشف لحظة ضعف الرجل، الذي يشعر بشوق وغرام ملتهب تجاه فتاة تصغره في السن بمراحل. إنه ضعف لأنه يُفقد الرجل اتزانه، في حين يتحول هذا العنف إلى قوة حين يلعب الكهل دور الخبير الذي يتفحص قطع الألماس في جسد ومشاعر الصغيرة العاشقة.. أو العابثة!

وقبل أن يرحل عام 1999 بيعت في مزاد سوثبي في نيويورك أربع عشرة رسالة من رجل في الخمسين من عمره إلى حبيبة في الثامنة عشرة بأكثر من ضعفي الثمن المتوقع. الكاتب المنعزل ج. د. سالينجر أخرج طالبة لامعة من جامعة عريقة ليدخلها عالمه الصغير، ثم طردها بعد تسعة أشهر؛ لأنها لم تلائم جنته التي رأتها جويس ماينارد

فيما بعد جحيمـــاً. الرجل الذي اشترى الرسائل اعتقد أنه سيعيد الرسائل إلى الكاتب لتعاطفه مع رغبة الأخير في العزلة. في عام 1998 استعادت ماينارد علاقتهما في كتاب رأى كثيرون، مثل سالينجر، أن هدفه الوحيد كسب المال على حسابه، لتواجه اتهامات بخيانة رجل زهد في العالم منذ 40 عامـــاً واعتزل ليعيش في هدوء، قبل أن يموت لاحقـــاً في قوقعة عزلته.

في عام 1972 كتبت جويس ماينارد في جامعة ييل عن انحطاط الأخلاق في أميركا على صفحات مجلة "نيويورك تايمز "، وشكت من الضغط على الشابات في عمرها لكي يتخلصن من حرج الفضيلة. رافقت المقال صورة بريئة لها بملابس الجينز وتتدلى من معصمها ساعة رجالية كبيرة. تقول ماينارد: إنها كانت تبدو مثل فتاة في الثالثة عشرة، وقد آمنت فيما بعد بأن شكلها وليس فكرها، وهو ما جذب في الواقع الكاتب الأخلاقي الشهير الذي علّق على مقالها في رسالة حملت الإعجاب والدعوة إلى هجر الدراسة والتركيز على الكتابة. بدت ماينارد في تلك اللحظة مثل "لوليتا" تدرك سحرها الطاغي، لكنها توحي الآن بأن الكاتب المهووس بالنقاء كان عاشقـــاً للمراهقات فقط لا غير كان يدعوها بالطفلة ويجلسها في حضنه، ويشبهها يومـــاً بشخصية فتاة في الثالثة عشرة في قصة كتبها للأطفال.

الصورة هنا تبدو على هيئة شابة بريئة باحثة عن معنى الحياة، تقع في شرك مثقفٍ محنك ومتقدم في العمر، يملك خبرة واسعة وسلطة على الآخرين يستخدمها ضد المراهقات اللاتي يعانين هشاشة في الشخصية وارتباكــًا في الإحساس.

إن امرأة هذا الكاتب تذكرنا على الفور بنساء الرسام الإسباني الكبير بابلو بيكاسو.. نساء بيكاسو كُنَّ دائمــًا صغيرات بريئات يجهلن الكثير لكنهن يقعن في غرام شهرته وسطوته، ويدفعن الثمن من حريتهن وبراءتهن. شيء مماثل من ذلك كان يقع لنساء الزعيم الصيني ماو تسي تونغ، الذي كان يهوى فكرة العشيقة الصغيرة الأمية التي تجهل الحياة ولا تفقه في دروب السياسة.

غير أن هناك نماذج أخرى للقاء الربيع والخريف، فقط رأينا النجم السينمائي مايكل دوغلاس يرزق بطفلة وهو في السادسة والخمسين من زواجه من الممثلة البريطانية كاثرين زيتا جونز، التي تصغره بخمسة وعشرين عامــًا.. دوغلاس اعترف ذات يوم بأن "فارق السن بيننا كان مشكلتنا في البداية، أما اليوم فلا نتكلم بشأنه إذا أثاره أحد".

وعندما وقف أندرياس باباندريو عام 1988 أمام عدسات المصورين مجاهرًا بحبه الكبير لعشيقته ديميترا لياني، ثارت ثائرة الشعب اليوناني وسارعت الصحف والمجلات المحلية إلى شن هجوم عنيف ضد من اعتبرتها امرأة لعوبــًا أغوت رئيس الوزراء اليوناني بهدف

الوصول إلى السلطة والوقوف تحت أضواء الشهرة.

وذهبت إحدى المجلات إلى أبعد من ذلك، فنشرت صورًا تبدو فيها ديميترا عارية الصدر وأرفقتها بالتعليق الساخر: "هذان سر سعادة رئيس حكومتنا". وتضمنت حملة التشهير جملة من النكات البذيئة حول ماضي حبيبة رئيس الوزراء اليوناني عندما كانت مضيفة في شركة الخطوط الجوية اليونانية.

ولعل أكثر تلك النكات طرافة وتهكمـــًا: إن سجل ديميترا الجوي حافل بالمغامرات، فهي لم تترك طيارًا في الشركة باستثناء الطيارين الآليين!

رئيس الوزراء العاشق لم يأبه -آنذاك- لأقاويل الناس وفضائح وسائل الإعلام، وعزم على تتويج حبه لديميترا بالزواج على الرغم من فارق السن الكبير بينهما.. فقد كان في التاسعة والستين وهي في الثالثة والثلاثين.

في العام التالي لخروج قصة حبهما إلى العلن، خسر باباندريو انتخابات عام 1989، وعزا بعضهم هزيمته السياسية إلى علاقته مع "ميمي" كما لقبتها الصحافة على سبيل التهكم، خاصة أنه كان متزوجـــًا من قبل وله من زوجته أربعة أولاد.. والأخيرة أبت منح زوجها الطلاق بسهولة مثلما اعتادت غض الطرف عن مغامراته النسائية العابرة، ولم تحسب أن مغامرته الجديدة ستكون مختلفة عن

سابقاتها، لكن ديميترا فاجأت خصومها وأحكمت السيطرة على الموقف وسعت جاهدة لتثبت للجميع أن مشاعرها صادقة وليس وراء حبها أهداف سياسية أو سلطوية، وأن قصارى ما تتمناه أن تصبح زوجة أندرياس باباندريو فقط لا غير.

أمنية ديميترا تحققت وأصبحت زوجة باباندريو الذي أعيد انتخابه رئيســاً للوزراء عام 1993 ليعين ديميترا مديرة لمكتبه السياسي الخاص، وأخذ نفوذها يزداد ويقوى حتى شككت وسائل الإعلام في عام 1995 بأنها تخطط للوصول إلى منصب رئيس الوزراء، إلا أن وفاة باباندريو العجوز وهو على فراش المرض أنهت أحلام مضيفة الطيران التي سيطرت على رئيس الحكومة.

إن امرأة من نوع ديميترا تشبه أنيتا إكبرغ في فيلم "لا دولتشي فيتا" أو "الحياة حلوة" للمخرج الشهير فيدريكو فيلليني.. تفيض حيوية وغبطة بالقرب من رجل عجوز يراقبها برقة وحنان غير نادم على سمعته التي دفعها ثمنــاً لسعادته.

لوليتا الطامحة في السلطة، لم تكن ديميترا وحدها فقد كان هناك أيضــاً إيفا بيرون التي قدمتها نجمة البوب مادونا على الشاشة في فيلم "إيفيتا" لتحكي قصة امرأة حكمت الزعيم السياسي خوان بيرون والأرجنتين معــاً. وربما تكررت القصة ولكن مع تفاصيل مختلفة بين الرئيس الأرجنتيني الأسبق كارلوس منعم ـــ وكان للمفارقة

رئيس حزب العدالة البيروني- صاحب المغامرات النسائية التي لا تحصى، وملكة جمال الكون السابقة سيسيليا بولوكو التي ذابت في عشق هذا السبعيني ذي الأصول الشرقية -فهو ينحدر من بلدة يبرود السورية- منذ أن تعرفت عليه في عام 1999، حتى تزوجته في عام 2001!

وحين التقت سيسيليا مع منعم في إطار برنامج تليفزيوني تعده لمحطة "القناة 13" التشيلية عن المشاهير، تمكن السياسي المخضرم من لفت نظر العارضة التشيلية الحسناء التي حملت في العام 1987 لقب ملكة جمال الكون.

هذا المسلسل العاطفي الذي ألهب الرأي العام في الأرجنتين وتشيلي، حمل بعدًا دراميـــًا استمده من هذا الخليط الغريب لرجل في السبعينيات من عمره وملكة جمال سابقة في سن ابنته، ومن شخصية منعم المولع بالنساء الجميلات، خاصة الشابات منهن، ابنة منعم - واسمها سُليمى على اسم أمها ومطلقته- قالت إن والدها يتصرف بأسلوب لا يليق بسنه، كما اعترض والد سيسيليا على فارق السن بينها وبين منعم، لكن الرئيس الأرجنتيني الأسبق لم يبال كثيرًا بهذا الجدل، وضم الجميلة سيسيليا إلى قائمة نسائه بعد أن تزوج منها.

وإذا كان المخرج والممثل الأميركي وودي ألن قد فعلها من قبل، وترك صديقته لفترة طويلة النجمة ميا فارو من أجل عيني ابنتها

بالتبني، مما أثار دعاوى قضائية وضجة كبرى، فإن الكاتبة الفرنسية مارغريت دوراس كتبت فيما يشبه السيرة الذاتية رواية "العاشق" الذي يحكي عن قصة مراهقة في مقتبل العمر تقع في غرام رجل يبلغ عمره أكثر من ضعفي عمرها، في أثناء إقامتها في الشرق الآسيوي الغامض. قصة حب مثيرة تجمع بين الإغواء والرغبة البراءة والخبرة والتضحية والفراق.

إن هذه الرواية التي تحولت إلى فيلم أخرجه جان جاك أنوي في عام 1991 ولعبت بطولته جين مارش وتوني كا فاي ليونغ، يوجد لها أكثر من مثال في السينما المصرية عن الفتاة الصغيرة التي تغوي أو تقع في غرام رجل في عمر والدها.. وهو شيء مشابه لمجمل قصة غرام بطل "الجمال الأميركي" كيفين سبيسي لصديقة ابنته.

بل إن الأديب الكبير إحسان عبدالقدوس في "العذراء والشعر الأبيض" يجعل بطل القصة محمد عبدالله وهو في الثالثة والأربعين يقع في غرام ابنته بالتبني بثينة ذات السبعة عشر ربيعــاً، بعد أن حرّكت الصغيرة مشاعر رجولته، حتى كان بينهما ما كان. وجاء الفيلم الذي يحمل العنوان نفسه ليقدم التفاصيل مخففة بكثير عما ورد في القصة الأصلية، في حين أجاد محمود عبدالعزيز تجسيد دور الرجل الذي يقاوم بصعوبة بالغة إغواء الشيطانة الصغيرة ولعبت دورها شيريهان.

ولكن كيف يستطيع رجل تجاوز سن الشباب العثور على السعادة أو يملك القدرة على إرضاء أحاسيس فتاة ساحرة فاتنة لا يتجاوز عمرها نصف عمره، ويتمنى التقرب إليها شباب ورجال يقلون عنه عمرًا بعقود طويلة؟

تساؤل مشروع، ولكن الإجابة صعبة، ولا يمكن تبسيطها بالحديث عن حبة "الفياغرا" الزرقاء وشقيقاتها، فهناك نوعٌ من الرجال يعيش حياة جادة منضبطة مثل دقات الساعة، يسعى إلى تكوين نفسه وصنع اسمه وشهرته، فينجح ويتفوق ويجمع المال ويحصد الشهرة، لكنه يكتشف متأخرًا أنه لم يعش حياته كما ينبغي.

لم يتذوق طعم الحُبِّ والنساء، ولم ينعم بدفء أنثى كما يريد والنتيجة أنه قد يكون فريسة سهلة لفتاة أو امرأة تصغره بكثير، تنجح في اللعب على الوتر المطلوب، فتتحكم في قلبه وتقوده ببساطة لا تتناسب مع مركزه الاجتماعي أو اسمه، أو حتى ذكائه المفترض فيه كشخص ناجح وعقلية بارزة.

بعض الرجال يفوتهم قطار الزواج، وحين يملكون القدرة المالية والاستقرار الاجتماعي اللازمين للحصول على ما يريدون، يكون الشيب قد غزا رؤوسهم أو فقدوا هذا الشعر أصلًا، وترهلت أجسادهم.. لكنهم قد يصدقون امرأة صغيرة السن تقنعهم بأنهم في عز الشباب!

يذكر البعض القضية التي تداولتها المحاكم عن ميراث المليونير التسعيني هوارد مارشال، الذي ورثت أغلبه آن نيكول سميث التي عرضت مفاتنها في مجلة "بلاي بوي" وعليه طبعـاً حين كان عمرها 26 سنة. كانت تقول إنها أحبته، إلا أن عائلته أصرت على أنها أحبت أمواله السائلة وميراثه الضخم.

ربما لم يسمع بالقصة إمبراطور الصحافة الأسترالي روبرت مردوخ وهو في السبعينيات من العمر الذي تزوج ويندي دينغ وهي في مطلع الثلاثينيات، قبل أن تنتهي علاقتهما بعد 14 عامـاً من الارتباط (1999– 2013).

أما المغنية ماريا كاري فقد تزوجت السؤول التنفيذي لشركة "سوني"، تومي موتولا، في عام 1993 وطُلّقت منه عام 1997، والأرجح أنها لم تكتشف إلا متأخرًا أنه أكبر منها بأكثر من عشرين عامـاً، وأنها اكتشفت أن ثروتها أصبحت تزيد على 200 مليون دولار. ولا تحتاج إلى الزواج من ثري؛ لأنها ثرية.

شيء من هذا القبيل حدث مع إيفانا ترامب –التشيكية الأصل– التي حصدت ثروة مليونية عقب طلاقها من رجل المال دونالد ترامب. أما عارضة الأزياء العشرينية بادما لاكشمي فقد انجذبت إلى شهرة سلمان رشدي مؤلف "آيات شيطانية" فأغمضت عينيها عن سنه الخمسيني مقابل الاستمتاع بنجوميته وثروته، واستمر زواجهما

ثلاث سنوات (2004– 2007).

الممثل الشهير أنطوني كوين، ارتبط بسكرتيرته الشابة كاثرين بنفن، التي تقل عن ثلث عمره وأنجب منها ابنة في عام 1993 و ولدًا في عام 1996.

وإذا كان النساء اللاتي يتزوجن رجالًا أصغر منهن سنـــًا قليلات، فإن هناك العديد من النساء اللاتي لا يمانعن في دخول علاقة مع رجال أكبر منهن سنـــًا بكثير، وهن يُراهن على نجاح مثل تلك العلاقة أو الزيجة. وربما كُنَّ على حق، فهناك زيجات كثيرة ناجحة على الرغم من فارق السن، تتسم بقدر كبير من الاستقرار ويظلها الحُبُّ والأولاد.

في مصر، على سبيل المثال، يصعب إنكار دور زبيدة الحكيم، الزوجة الأولى للموسيقار محمد عبدالوهاب، وهي ثريَّة أرستقراطية كانت تكبره بعشرين عامـــًا، أكملت رسالة الشاعر أحمد شوقي في تعليم عبدالوهاب فن الإتيكيت، ولقاء العظماء في صالونه الخاص، واختيار ملابسه حين سفراته المتعددة معها إلى أوروبا.

وكان القطب الوفدي الكبير ياسين سراج الدين وزوجته عواطف سراج الدين، نموذجـــًا لفكرة أن الحُبَّ لا يعرف عمرًا، وإنما قد يزداد نضجـــًا ورسوخـــًا إذا ما عرف الطرفان كيف يرعيان هذه النبتة لتصبح شجرة وارفة الظلال.

وفي الخليج – على سبيل المثال– لم يعد الحديث عن ظاهرة زواج كبار السن من صغيرات السن من الأجنبيات مجرد حكايات مجالس للتندر، بل وصلت إلى أروقة المحاكم. وحسب إحصائية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة فإن 79,1% من كبار السن تزوجوا مراهقات وزوجات لا يقل فارق السن بينهم عن 30 سنة. ولقد قدم تليفزيون دبي في عام 1997 مسلسلًا يحمل عنوان "البيوت أسرار" للمخرج جابر ناصر آل رحمة يتحدث عن مثل هذه الحكايات والزيجات.

إن بعض أصحاب الشعر الأبيض يحاولون اقتناء فتاة صغيرة في السن، ويتجاهلون فارق العمر الكبير ويحلمون بأن تصبح مثل طابع بريد في ألبومهم الشخصي، ويرون أن العصافير الملونة التي يضعونها في قفص حياتهم سوف تفرد لهم وحدهم إلى أن يملوا منها.. إلى أن تقع مفاجآت ليست في الحسبان، وتقف الحقيقة عارية أمام الجميع.

في منتصف أغسطس 2015 فاجأ الفنان سعيد طرابيك كثيرين بإقامة حفل زفافه على الممثلة الشابة سارة طارق، بنادي الإعلاميين بمنطقة المنيل، وسط حضور عدد من أصدقائه من داخل الوسط الفني.

ورغم فارق السن بينهما الذي يتجاوز 35 عامـــًا، فإن سارة طارق نشرت– على صفحتها بموقع "فيسبوك"– صورة تجمعها بزوجها سعيد طرابيك داخل شقة الزوجية، معلقة عليها "النهاردة

أجمل يوم في حياتي.. ربنا يخليك ليا يا عمري"، في إشارة إلى سعادتها الغامرة بهذا الزواج.

غير أن هذا الزواج انتهى على صخرة القدر، حين غيَّب الموت سعيد طرابيك في 15 نوفمبر 2015، أي بعد نحو ثلاثة شهور فقط من زواجه، وذلك إثر تعرضه لأزمة صحية استدعت نقله لمستشفى خاص لعلاج القلب، قبل أن يفارق الحياة.

قبل ذلك تزوج سعيد صالح، صديق طرابيك، وهو في سن السبعين، من الشابة شيماء فرغلي رغم فارق السن بينهما الذي يتجاوز 40 عامـًا، الأمر الذي تسبب في مشاجرات ومعارك عائلية كانت بطلتاها هند، الابنة الوحيدة للفنان الراحل، وزوجته شيماء، لم تنته حتى بعد رحيله في الأول من أغسطس 2014.

لعل أشهر قصة مأساوية للزواج بفتاة صغيرة السن تلك الزيجة التي تمت بين الفنان الراحل عبدالفتاح القصري (1 إبريل 1905 – 8 مارس 1964) وفتاة تصغره بالسن، اشترطت عليه أن يكتب باسمها كل ممتلكاته. ولمن لا يعرف، فقد كان والده من كبار صائغي المجوهرات في مصر وقد تخرج في مدرسة فرنسية ليترك مهنة والده للتمثيل، وكانت زيجته الأخيرة لفتاة صغيرة هي بداية النهاية لرحيله المأساوي؛ حيث كُف بصره لتتركه زوجته صغيرة السن للزواج من شاب صغير كان يعطف عليه، ليضطر القصري إلى الانتقال للعيش

مع شقيقته وقد نال منه المرض، حتى لقي ربه مصدومـــاً ويشيع في جنازة سار فيها أربعة أشخاص.

الفنان عمر الحريري تزوج بدوره من المغربية رشيدة رحموني، التي كانت تصغره بما لا يقل عن 37 عامـــاً، وعاش معها حياة هادئة حتى وفاته في أكتوبر 2011.

ولعل الاستثناء الأبرز من النهايات السيئة هو ما حدث للفنان عادل أدهم (8 مارس 1928- 9 فبراير 1996) وقد كانت زيجته الثانية والأخيرة من فتاة في السابعة عشرة من عمرها قضت معه آخر خمسة عشر عامـــاً من عمره هي لمياء السحرواي. وكانت التجربة أليمة على الزوجين، فقد رزقا بطفل مات في عمر ستة أشهر، وبعدها حدث الحمل للمرة الثانية لتسقط الزوجة من سلم المترل لُتجهض وتضطر لإجراء جراحة تُحرم بعدها من الإنجاب. أصيب الزوجان بانهيار عصبي، لكنهما ظلا معـــاً حتى النهاية وقد عاشا قصة حب مثيرة. الأكثر إثارة أن لمياء السحراوي لم تتزوج بعد رحيل الفنان عادل أدهم، وإن لاحقتها بعض الشائعات بسبب جمالها.

الشاعر الفيلسوف صلاح جاهين تزوج منى قطان التي تقول عنه: "على الرغم من فارق السن بيننا واختلاف الديانة، وكذلك اختلاف الثقافة والتربية، فإن صلاح جاهين احتواني كامرأة واستطاع أن يخترق كل الحواجز التي كانت بيننا". وتعترف منى قطان أن زواجهما

تعرض لهزات كادت تودي به، لكنها تقول إنهما تجاوزاها "وازددنا اقترابـــاً وحفظنا على أجمل ما جمع بيننا وهو الحُبُّ.. إنني تزوجت إنسانـــاً تزدحم روحه بمواهب متعددة، وعلى الرغم من كل المشكلات احتفظ زواجنا بما أسميه وسامة الروح".

وسامة الروح.. تعبير صافٍ، قد يفسر -على الأقل بالنسبة للبعض- لماذا ينجح الحب بين رجل وامرأة تفصل بين عمريهما سنواتٌ كثيرة.. وهو أيضـــاً تعبير يصلح لشرح حالات كثيرة سقط فيها مثل هذا اللون من الحب في الاختبار بدرجة ضعيف جدًا.. حتى وإن تعاطف بعضنا مع غراميات "الحاج متولي".

تحرش قطاع عام!

اِنْهِيَارٌ - [هـ و ر]. (مص. اِنْهَارَ). 1. "اِنْهِيَارُ جُدْرَانِ البَيْتِ": اِنْهِدامُها، سُقوطُها. 2."الانْهِيَارُ العَصَبِيُّ": حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ مَرَضِيَّةٌ تُصِيبُ الإنْسَانَ وَتَجْعَلُهُ فَاقِدَ الإرَادَةِ أوْ فِي حَالَةِ غَلَيَانٍ عَصَبِيٍّ أوْ حُزْنٍ وَاكْتِئَابٍ.

هذا انهيارٌ من نوع آخر أكثر إيلامــاً ومدعاة للحزن. إنه انهيار المجتمع على يد فريق من أبنائه.

تسجيلٌ مصور ومتداول على الإنترنت، يُظهر حشودًا من السوقة والدهماء، وسيدة عارية بعد تعرضها لتحرش يتجاوز هتك العرض ويلامس الاغتصاب في ميدان التحرير في أثناء الاحتفال بتنصيب عبدالفتاح السيسي رئيســاً لمصر. في الفيديو أيضــاً، يظهر نقيب

الشرطة مصطفى ثابت وهو يحيط بالسيدة المصابة، التي تمت تعريتها من قبل عدد من المتحرشين وسط حالة من الفوضى، لم تُمكن الأمن من إنقاذها إلا بعد جهدٍ جهيد، وإطلاق الرصاص في الهواء.

هكذا شاهدنا استعراضــاً مزدوجــاً في ليلة تنصيب السيسي في يونيو 2014؛ الدولة استعرضت هيبتها في قصر القبة وخيبتها في ميدان التحرير. المسافة بينهما /الهيبة والخيبة/ هي أحد الأعمدة المؤسسة لفشل الدولة.

تضاربت الصور في يوم واحد بين إثبات القدرة الميدانية على تأمين التنصيب الرئاسي ومنع وقوع أية عمليات إرهابية، وبين العجز الفادح في حماية فتيات شاركن في احتفالات الميادين العامة من وقائع تجاوزت التحرش الجنسي إلى حالات اغتصاب وفق تقارير حقوقية.

المعنى أن الأمن السياسي نجح والأمن الجنائي فشل، وهذه قضية تستدعي تدخلًا حاسمـــــاً وإجراءات لا تردد فيها لإنفاذ القانون وإعادة الانضباط إلى الشارع. الظاهرة تعكس خللًا مروعــاً في القيم الاجتماعية العامة، غير أن الردع الأمني والقانوني ضروري لوقف تمددها.

الأمن لا يعرف طوال سنوات الاستبداد إلا "أمن الحاكم"، أما الفرد العادي فله رب يحميه وعسكري يراقبه ويروضه بالضرب والقمع.

هذا المفهوم في الأمن هو ما رأينا بشاعته في أول أيام حُكم السيسي. استطاع الأمن حماية "استعراض الهيبة"، بإخلاء منطقة الاحتفال من الحشود. أما في التحرير، فقد تجلت "خيبة" الأمن في الاهتمام بالشكل (بوابات إلكترونية ودبابات جيش وقوات حماية)، لكنها لا تملك وسائل ولا مهارات حماية التجمعات الكبيرة.

من هنا كان العار الكبير الذي سجلت فيه الكاميرات اغتصابــاً جماعيــاً من مجموعات "الجوع الجنسي"، وهي مجموعات من إنتاج عصر الانحطاط وتربية الدولة القمعية.

ثورات قطيع الجوع الجنسي أو العشوائيين ليست ضد السلطة، ولكنها ضد المجتمع. النخبة القديمة والعجوز قد لا تهتم بحرية امرأة في السير بحريتها في الشارع من دون تحرشات[65].

كانت زيارة الرئيس عبدالفتاح السيسي للمجني عليها في مستشفى الحلمية العسكري واعتذاره لها علنــاً عما جرى لها، والبيان الذي صدر لأول مرة عن رئيس الجمهورية في هذا الصدد، من تلك الأجراس التي دعت إلى ضرورة التحرك الجاد للتعامل مع قضية التحرش.

[65] وائل عبدالفتاح، الهيبة والخيبة، جريدة "التحرير"، القاهرة، 9 يونيو 2014.

التحرش وصفٌ مخفف وفضفاض؛ لأن الذي حدث في ميدان التحرير مساء الأحد 8 يونيو 2014 أسوأ بكثير؛ إذ تجاوز الكلمة والإشارة إلى الفعل والاعتداء المادي الذي كان أقرب إلى هتك العرض واستباحة أجساد مجموعة نساء، فيما يعد مترلة وسط بين التحرش اللفظي والاغتصاب.

وقعُ الجريمة هذه المرة كان أكبر من حوادث سابقة؛ إذ حدثت في أثناء الاحتفال بتنصيب رئيس الجمهورية الجديد، وفي ميدان التحرير حيث قلب العاصمة، ثم المدى الذي ذهب إليه المعتدون في هتك عرض المرأة. وأهم من ذلك أن مواطنـــاً قام بتصوير ما جرى وبثه على موقع يوتيوب، وهو ما صدم الرأي العام وأثار عاصفة الأصداء الغاضبة. إلى جانب أن ضابط شرطة غامَر وتدخل لإنقاذ المرأة من الجمع الهائج. هذه الملابسات كلها دفعت بالحدث إلى الواجهة، خاصة أننا فهمنا من بيان للداخلية أن تلك لم تكن حادثة فردية يومذاك، بل إن الميدان شهد ما لا يقل عن سبع حالات أخرى، غير أن واحدة فقط جرى تصويرها وتعميمها.

مشهد 8 يونيو 2014، ينتمي إلى شجرة عائلة فاسدة، تنتمي إلى فيلم نهاية العالم؛ شجرة تضم بين أوراقها مشاهد "الثلاثاء الأسود"، حين اجتاحت مجموعات بشرية منطقة وسط القاهرة للاحتفال بعيد الفطر أواخر عام 2006 على طريقتها الخاصة: التحرش الجنسي

الجماعي.

حفلة موسمية لخروج الانحطاط من مكمنه،الجغرافي في المستعمرات البشرية المحيطة بالعاصمة، والنفسي، حيث إن الهامشيين ينطلقون إلى قلب المدينة في رحلة انتقام صارخ، وبدائي. مجموعات من المراهقين والعمال الحرفيين والمتعطلين عن العمل والعشوائيين هبط على المدينة في عصابات شبه منظّمة، لتمارس الاحتفال بالعيد على طريقتهم.

هستيريا جماعية خارج السيطرة. جمهور من المراهقين والشباب يتحرك مثل القطيع وراء قطعة لحم يريدون تعريتها أو لمسها بالقوة. هل هي ثورة على السلطة أم تمرد على المجتمع، أم الاثنان معـــاً؟

الصورة الصادمة لما حدث أعطت انطباعـــاً بغوغائية قد يستدعي إلى الأذهان قصة يأجوج ومأجوج، علمـــاً بأن الصورة الأخيرة في ألبوم حادث 2006 تشير إلى إفلات الجناة بالكامل من العقاب.

قبل صيف 2014، كانت عقوبة جرائم التحرش لا تزيد على ثلاث سنوات، وهو ما حدث في واقعة التحرش بمخرجة الأفلام الوثائقية نهى رشدي في شهر يونيو ٢٠٠٨، حين تحرش بها جنسيـــاً شريف جبريل، سائق سيارة نصف نقل، أثناء سيرها وصديقة لها في أحد شوارع منطقة مصر الجديدة، ليصدر على المتحرش حكمٌ بالسجن المشدد لمدة ثلاث سنوات والغرامة بمبلغ ٥ آلاف جنيه، في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨.

أما س. ع. الموظفة بأحد مستشفيات كفر الشيخ، فقد تعرضت أثناء عودتها من العمل لتحرش محمد السيد علي أباظة، وأحمد محمد محمد بهنسي، وعمر حمدي عبدالوهاب، بعد أن اختطفوها، ليصدر عليهم حُكمٌ بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ، في العام 2009.

أما جيهان، ١٦سنة، المقيمة بقرية أتليدم بأبو قرقاص، فقد تحرش بها محمد عماد رجب، ٢٢ سنة، بإيحاءات وعبارات جنسية، وطالب المجني عليها بممارسة الرذيلة أثناء وجودها على رصيف محطة المنيا، ليصدر ضد الجاني حُكمٌ بالحبس ٦ أشهر وغرامة ٥ آلاف جنيه، مع إلزامه بدفع مصاريف المحاماة، في 30 يونيو 2014.

كما أدين شابان بالتحرش بفتاة بألفاظ تخدش الحياء داخل أحد مراكز التسوق التجاري الشهيرة بمدينة نصر، ليصدر ضدهما في 9 يوليو 2014 حُكمٌ بالحبس ٦ أشهر، لاتهامهما بالتحرش في القضية رقم ٢٥٨٨٥ لسنة ٢٠١٤، بعد استئناف الحُكم الذي كان يقضي بحبس المتهمين سنة وغرامة ٥ آلاف جنيه لكل منهما[66].

أما في واقعة ميدان التحرير 2014، فقد شهدنا أحكامــاً رادعة في 4 قضايا تحرش واعتداءات جنسية وقعت ضد سيدات في الميدان.

---

[66] هبة عبدالحميد، أحكام التحرش في 6 سنوات، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 18 يوليو 2014.

وعاقبت محكمة جنايات جنوب القاهرة ٩ متهمين بالسجن لمدد تراوحت بين ٢٠ و٧٥ عامـــاً، بعد تورط بعضهم في أكثر من قضية، كما غرّمت كل متهم مبالغ مالية تراوحت بين ١٠ آلاف و٤٠ ألف جنيه، ووضعتهم تحت المراقبة لمدة ٥ سنوات[67]. وفي القضية الخامسة والأخيرة، والمعروفة إعلاميـــاً باسم "تحرش التحرير"، قضت محكمة جنايات جنوب القاهرة، بمعاقبة ٣ متهمين بالسجن المؤبد لمتهمين اثنين، والسجن لمدة ٢٠ سنة لمتهم، لإدانتهم في اتهامات منها استعراض القوة على المجني عليهما، وتعريض حياتهما للخطر والمساس بحريتهما الشخصية وشرفهما[68].

على مدى أعوام طويلة، شهدنا طفْحـــاً جلديـــاً في جسد الشعب المصري، يتمثل في التحرش الجماعي وهتك العرض وأحيانـــاً الاغتصاب في الأعياد والمناسبات العامة والمظاهرات والاحتفالات عند ازدحام الشوارع بالنساء، في ظل غياب الدولة والقانون. ولأن هذا النوع من الجرائم تم التغاضي عنه، فمن الطبيعي أن تتكرر مثل هذه الحوادث كل يوم.

***

[67] عمر خالد وكمال مراد وسعيد نافع، القضاء يقطع أيدي المتحرشين، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 17 يوليو 2014.

[68] مصطفى مخلوف، المؤبد لمتهمين و٢٠ عامـــاً لثالث في آخر قضايا "تحرش التحرير"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 8 أغسطس 2014.

الهَمَج: مصـ ـ : ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير. ـ : الجوع؛ قد هلكت المواشي من الهمج. ـ : الغنم المهزولة. ـ : الحمقى. ـ : الرَّعاع من الناس؛ لم يكن سهلًا ضبط الهمج في الثَّورات الدامية المشهورة في العالم. ـ : سوء التدبير في المعاش / قوم همج، أي لا خير فيهم ج أَهْمَاج على أن "الهمج" و"الدهماء" ليسوا وحدهم المسؤولين عما جرى.

قبل أيام من مغادرته منصبه الرئاسي، أصدر الرئيس المؤقت عدلي منصور قرارًا بقانون لتعديل بعض أحكام قانون العقوبات الصادر بالقانون رقم 58 لسنة 1937.

نص القرار في مادته الأولى على: "يُستبدل بنص المادة 306 مكررًا (أ) من قانون العقوبات الصادر بقانون رقم 58 لسنة 1937 النص الآتي:

المادة 306 مكررًا (أ):

يُعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف جنيه ولا تزيد عن خمسة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من تعرض للغير في مكان عام أو خاص بإتيان أمور أو إيحاءات أو تلميحات جنسية أو إباحية سواء بالإشارة أو بالقول أو بالفعل بأي وسيلة بما في ذلك وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية.

تكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين إذا تكرر الفعل من الجاني من خلال الملاحقة والتتبع للمجني عليه.

وفي حال التكرار تُضاعف عقوبتا الحبس والغرامة في حديهما الأدنى والأقصى".

كما نص القرار في مادته الثانية على:

"يُضاف إلى قانون العقوبات المُشار إليه مادة جديدة برقم 306 مكررًا (ب) نصها الآتي:

يُعد تحرشـــًا جنسيـــًا إذا ارتُكِبت الجريمة المنصوص عليها في المادة 306 مكررًا (أ) من هذا القانون بقصد حصول الجاني من المجني عليه على منفعة ذات طبيعة جنسية، ويُعاقب الجاني بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرين ألف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين.

فإذا كان الجاني ممن نص عليهم في الفقرة الثانية من المادة (267) من هذا القانون أو كانت له سلطة وظيفية أو أسرية أو دراسية على المجني عليه أو مارس عليه أي ضغط تسمح له الظروف بممارسته عليه أو ارتكبت الجريمة من شخصين فأكثر أو كان أحدهم على الأقل يحمل سلاحـــًا، تكون العقوبة

الحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تجاوز خمس سنين والغرامة التي لا تقل عن عشرين ألف جنيه ولا تزيد على خمسين ألف جنيه"[69].

وفي مايو 2013، وافق مجلس الوزراء المصري على مشروع بتعديل قانون العقوبات وإدراج جريمة التحرش بشكل صريح فيه. ورغم وجود بعض النواقص في المشروع المقترح (كحصر تعريف التحرش على الملاحقة والتتبع، مع أن الكثير من التحرش اللفظي والجسدي لا يتطلب ذلك) فإن النص الجديد بدا انتصارًا ليس ببسيط. إلا أن المشكلة أنه حتى إذا تم تجريم التحرش بشكل واضح وصريح، فهي تبقى جريمة يشجع عليها المجتمع والدولة والقانون.

إن القانون والمحاكم يشجعان على التحرش، عن طريق تأسيس صورة معينة للمرأة هي ذاتها تلك الصورة التي يستخدمها جزء كبير من المجتمع لتبرير العنف الجنسي أو لوم ضحاياه، فللقانون فكرة واضحة عن المرأة، عن دورها، عن ملبسها، وقيمة جسدها، بل إن للقانون تقييمـــًا محددًا لأجزاء جسدها المختلفة، يترتب عليه خلق صورة معينة للمرأة تجعلها أكثر عرضة للتحرش[70].

---

[69] محمد الجالي، الرئيس عدلي منصور يصدر قانونًا لمواجهة "التحرش، موقع "اليوم السابع" الإلكتروني، 5 يونيو 2014.

[70] لماء عز العرب، المرأة القانونية: العنف الجنسي بقيادة دولة القانون، موقع "مدى مصر" الإلكتروني، 13 مايو 2014.

مثال آخر على ظلم القانون للمرأة هو المادة المجرمة للاغتصاب (المادة 267 من قانون العقوبات) والتي يبدو وكأنها تكرس فكرة محددة للأسباب التي يجب من أجلها حماية المرأة من الاغتصاب. فالمادة لا تعتبر إجبار الرجل للمرأة على ممارسة الجنس اغتصابـــاً إلا إذا كان هناك اتصال جنسي" كامل" بين الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى، أي أن القيام بما اصطلح على تسميته بكشف العذرية، أو الاغتصاب باستخدام أي شيء آخر غير العضو التناسلي، أو الاغتصاب في أي مكان آخر غير العضو التناسلي للمرأة لا يُعد اغتصابـــاً بمفهوم القانون. والملاحظ أن الشغل الشاغل لمادة الاغتصاب ليس (على الأقل بشكل حصري) ملكية المرأة لجسدها بالكامل، فالمادة تثمّن جسد المرأة فتعطي أجزاء معينة منه قيمة أكبر من أجزاء أخرى وتوفر لتلك الأجزاء حماية أكبر.

بل وربما يكون الأصح أن نقول إن تركيز مادة الاغتصاب ليس على جسد المرأة من الأصل، وهو ما يجعلها غير معنية على سبيل المثال بكشف العذرية فلا تعتبره اغتصابـــاً، فتلك المادة تبدو أحيانـــاً غير معنية بالعنف الجنسي، لكن بنتائج معينة تترتب على المواقعة الجنسية مثل اختلاط الأنساب وغيره.

يحدث هذا في حين يصر رئيس قطاع التشريع في وزارة العدل، المستشار عمر الشريف، على "أن الغطاء التشريعي لهذه النوعية من

الجرائم متكامل، سواء جرائم الاغتصاب أو هتك العرض أو التحرش الجنسي، ولا نية لإجراء تعديلات تشريعية جديدة، لتغليظ العقوبات ضد مرتكبي هذه الجرائم"[71].

في ظل الوضعية المتدهورة لحقوق وحريات النساء وارتفاع معدلات العنف المادي والجنسي الذي يتعرضن له في مصر (وليس فقط التحرش الجنسي والعنف المنزلي) كما تقر بذلك البيانات الحكومية وغير الحكومية الراهنة، وإزاء معاناة النساء ومعهن الأطفال والعجائز والقطاعات الفقيرة والمهمشة ومحدودة الدخل من التداعيات السلبية للعنف ولانتهاكات الحقوق والحريات وللإجرام الإرهابي أكثر من القطاعات المجتمعية الأخرى، وإزاء تراكم المعرفة الموضوعية لدى بعض دوائر السلطة التنفيذية ولدى بعض منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق وحريات النساء بشأن المطلوب تعديله في التشريعات والقوانين المعمول بها والضروري تطبيقه من إصلاحات وسياسات عامة لتحسين مستويات إنفاذ القانون لصون كرامة النساء وحمايتهن والتخلص من الممارسات التمييزية التي يتعرضن لها؛ تبدو مسؤولية مؤسسات وأجهزة الدولة واضحة في التحرك بجدية أكبر ومخاطبة نساء مصر "بتقرير حالة" موضوعي يتداول معلومات وحقائق موثقة عن العنف ضد الإناث والفتيات

---

[71] مصطفى عيد، رئيس التشريع بـ"العدل": عقوبة التحرش في مصر أشد من السعودية.. و"الغمزة وهاتي بوسة" جريمة تصل للسجن 5 سنوات، موقع "بوابة الشروق" الإلكتروني، 30 يوليو 2014.

ويطرح خطوات تشريعية وقانونية واضحة لمواجهته وإصلاحات حكومية وسياسات عامة محددة للتغلب عليه وعلى التمييز.

يدرك الرأي العام جيدًا أن تصاعد جريمة التحرش بالنساء في المساحة العامة (الميدان، الشارع، وسائل الانتقال، الجامعة، مواقع العمل، أمام دور العرض السينمائي، وغيرها) وكذلك جرائم العنف والاعتداءات الجنسية ضد النساء في المساحة العامة والخاصة (العنف المنزلي) يرتبط سببيـــاً بغياب منظومة عقوبات قانونية رادعة وتراخي مؤسسات إنفاذ القانون (الشرطة والنيابة العامة والمحاكم) عن تعقب ومحاسبة مرتكبي هذه الجرائم.

إلا أن وعي وتعاطف الرأي العام، يشوهان بفعل الثقافة الذكورية التي مازالت تسيطر على الكثير من الكُتاب والصحفيين والعاملين في مجال الإعلام الذين يدفعون وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة إلى وضع النساء المتحرش بهن أو الواقع عليهن جرائم العنف والاعتداءات الجنسية في خانات الاتهام.

تُنتهك كرامة النساء وحرمة أجسادهن ويُعبث بتماسكهن الشخصي والنفسي، ويتوحش بعض الذكور ويفرض عليهن دونية العنف في المساحة العامة والخاصة، ويتحول كل الذكور إلى مصدر تهديد مستمر لحقهن في الوجود الآمن في المساحة العامة والخاصة وإلى مجرمين ومرتكبي عنف محتملين، ويفقد المجتمع تدريجيـــاً إنسانيته وتمدنه وتحضره ويعتاد قبح جرائم التحرش والعنف والاعتداءات

الجنسية وكارثية تكررها[72].

العنف ضد المرأة دائمـــًا موجود، لكن الوعي به و التصدي له بفاعلية وحماية وعلاج المجني عليهن هي التي تختلف.

إننا نعيش في مجتمع ذكوري صارخ الذكورة يهمِّش المرأة، يحتقرُها ويتظاهر بمساواتها بالرجل، وهو الذي يضيق بها في مجالات العمل والمواصلات والحياة، ويتحرش بها لفظيـــًا ونفسيـــًا وجسديـــًا، ويستضعفُها. مجتمع متناقض يحمل بين ثناياه كُرهـــًا للمرأة، وتصورًا محددًا لظلمِها وحرمانِها من أبسط حقوقها[73].

من خلال ذلك، يتجاوز الاغتصاب في بلدٍ مثل مصر حدود كونه فعلًا جنسيـــًا به إكراه وعنف؛ إذ تحول إلى استعراض قوة تصل إلى حد استخدام التكنولوجيا وتسخيرها لتوثيق الجريمة وإذلال الضحية إن لم يكن ابتزازها (الهاتف المحمول، التصوير، الذاكرة، الفلاش ميموري، التوزيع، الإنترنت).

نتورط في كل هذا، ثم تدفع الثقافة الذكورية كُتّابـــًا وصحفيين ومقدمي برامج تليفزيونية – بل ودعاة– إلى الخروج على الرأي العام لاتهام النساء بتحمل مسؤولية الجرائم الواقعة عليهن، إما بإشارة متهافتة إلى مظهر "المتحرش بها" أو بإشارة أكثر تهافتـــًا إلى سلوكها

---

[72] د.عمرو حمزاوي، التوحش والتحرش، جريدة "الشروق"، القاهرة، 19 مارس 2014.

[73] د.خليل فاضل، أسباب الاغتصاب في مصر، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 4 أغسطس 2014.

أو بعنف لفظي يبرر العنف الجسدي ضد النساء بادعاء عدم "حماية المرأة لنفسها" وغير ذلك من غث القول.

يقول د.نصر حامد أبو زيد: "هل نحن إزاء خطاب ديني؟ مغالطة أن نقول ذلك. بل نحن إزاء تخلف قد يتوسل لغة الدين أو لغة السياسة أو لغة الاجتماع والاقتصاد. لكنه في الحقيقة خطاب تخلف يكرس أزمة بقدر ما يعكسها، وهو ليس خطاب تخلف فقط، ولكنه خطاب إرهابي معتدٍ يمارس ضد المرأة كل صنوف الاعتداء التي وجدناها في حادث فتاة العتبة والمعادي"[74].

ولا بأس من التذكير أيضـــاً بما جرى لنساء التحرير ومجلس الوزراء.

الأزمة في المجتمع أنه يلوم البنت دائمـــاً، ويتهمها بأنها سبب التحرش، ولعل أبرز مثال على ذلك واقعة تعدى فيها الأب بالضرب على ابنته في منطقة الهرم، بعد التحرش بها أمامه، كما اتهمها بأنها السبب في تحرش الشباب بها؛ لأنها ترتدي ملابس يرى أنها ضيقة.

في ظل غياب القانون أو أي مظاهر حقيقية لسلطة الدولة تتعقد الظاهرة: تحرش بلا محاسبة أو عقاب، بل يتنطع بعضنا ليبرره.

تزامن ذلك مع حركة اجتماعية عنيفة ضد وجود المرأة في الفضاء العام، وتهميشـــاً للنساء لإقصائهن عن المشاركة في الدور العام.

---

[74] د.نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.

التواطؤ مع الجناة ليس في الشارع فقط.

في الإعلام مثلًا، وجدنا المذيعة مها بهنسي، تعلق على تصريحات مراسلة القناة من ميدان التحرير، والتي أفادت فيها حدوث حالات تحرش "فردية "بالميدان خلال الاحتفال بتنصيب السيسي رئيسـًا، قائلة: "مبسوطين بقى"، قبل أن تتابع خلال برنامجها "الرئيس السابع" على فضائية "التحرير"، قائلة: "الشعب بيهيص".

كانت هذه صدمة إضافية في إعلام نخر فيه السوس، وظهر فيه محدودو الموهبة، فضلًا عن أن التعليق على الهواء مباشرة من امرأةٍ على استباحة أجساد نساء في أماكن عامة، لم يَخلُ من وقاحةٍ وصفاقة تستحق المحاسبة مع كثير من الشدة والحزم.

هكذا يمارس البعض الاستعلاء المزدوج باتجاه النساء بتحميلهن "مسؤولية" ما يعانين منه وبالتغييب الكامل لمسؤولية فريق من الذكور، بل وبرفض شجاعة بعض النساء اللاتي يجعلن من جرائم التحرش والعنف والاعتداءات الجنسية قضايا رأي عام ويواجهن الثقافة الذكورية التي تجعل منها أمرًا مسكوتـًا عنه. نتورط في كل هذا، ثم تدفع الثقافة الذكورية بعض المتعاملين على مواقع التواصل الاجتماعي إلى تداول مَرضي لمواد فيلمية تسجل جرائم التحرش الجماعي بالنساء وإلى تعليقات أكثر مَرضية.

المجتمعات المغلقة والمتدينة شكلًا ترتفع فيها نسب التحرش والشذوذ؛ انظروا إلى وضع باكستان وأفغانستان على خارطة الظاهرتين.

تبدو مثل تلك الحوادث ذات جذور عميقة وأسباب متشابكة في مجتمع أصيب باختلالٍ في القيم، وأدمن عدم المبالاة، وسط وهنٍ سياسي وأزمات اقتصادية خانقة وبطالة أعجزت البعض عن الشعور بآدميته وممارسة حياته الطبيعية، فضلًا عن وضعف الوازع الديني والأخلاقي في مواجهة مغريات تزيد الكبت احتقانـــًا. وإذا أردتم البحث عن أسباب التحرش الجنسي في الشارع، فابحثوا عن موقع المرأة في المجتمع.

يصعب تحميل السلطة وحدها كامل المسؤولية عن تفاقم الظاهرة أو التصدي لعلاجها، لكن من المتعذر إعفاؤها من المسؤولية أيضـــًا سواء عن عدم الاكتراث بها والتركيز على ما هو سياسي فقط، أو لتقاعسها في إصدار التشريعات التي تردع كل من يحاول استباحة جسد المرأة (التعديل القانوني الصادر في نهاية عهد الرئيس المؤقت عدلي منصور يركز على التحرش فقط ولم يشر إلى الاعتداء الجنسي على النساء).

البعض يحاول تأكيد فكرة أن التحرش أو هتك العرض أو الاغتصاب يحدث نتيجة للبيئة الخارجية، مثل السير في شوارع مظلمة ودوريات الشرطة العقيمة ووسائل النقل العام، ووجهة النظر هذه

تلقي بخطأ الجريمة على البيئة على أساس أنها صرحت أو سهلت وقوع الاعتداء، في حين تدلنا الدراسات على أن نسبة قليلة من جرائم الاغتصاب -مثلًا- تحدث في الخلاء. وترجح المعلومات أن تغير البيئة الخارجية ربما لا يؤثر على نسبة جرائم الاغتصاب[75].

وفي دراسة أكاديمية محلية[76]، شملت 30 جريمة اغتصاب وقعت في الفترة من يناير إلى ديسمبر 1998، نجد أن 9 من تلك الجرائم وقعت داخل شقق بنسبة 27%، و5 جرائم وقعت في مناطق زراعية، و5 جرائم حدثت في مناطق نائية غير مأهولة بالسكان، و3 جرائم بنسبة 10% حصلت في مناطق صحراوية، مقابل 3 جرائم بنسبة 10% في مكان مهجور، و3 جرائم لم يتحدد مكانها، وأن جريمة اغتصاب واحدة بنسبة 4% وقعت في منطقة الزلزال بالمقطم، مقابل جريمة أخرى حدثت في سيارة، وجريمة أخرى حدثت أسفل الكوبري بحي شبرا.

نشير هنا إلى أنه، وحسب التقارير السنوية لإحصاءات الأمن العام، فإن حوادث الاغتصاب المسجلة رسميًا في مصر تتراوح

---

75 Shirley Feldman-Summers, Conceptual and empirical issues associated with rape; In: Victims and Society, E. Viano (Ed.) Washington, D.C.: Visage Press, 1976, pp. 97-98.

76 د.عفاف علي عبدالمعتمد عمران، جرائم العنف ضد المرأة في المجتمع المصري: تحليل مضمون وإحصائي لجريمة الاغتصاب، مجلة كلية الدراسات الإنسانية (جامعة الأزهر – فرع البنات)، القاهرة، العدد 20، 2002، ص 160.

أرقامها ما بين 180 حادثة في عام 1990، و164 في 1991، و175 في 1992، و162 في 1993، و203 في 1994، و179 في 1995 [77].

إن مثل تلك الجرائم تقع جهـــارًا نهارًا، في ظل غياب أمنٍ يرى أن مهمته الوحيدة حماية الرجل الكبير وبطانته هو وأنجاله.. وليذهب الآخرون إلى الجحيم.

***

تَحَرُّشٌ - [ح ر ش]. (مص. تَحَرَّشَ). 1."أَرَادَ التَّحَرُّشَ بِهِ": اسْتِفْزَازَهُ وَإِثَارَةَ حَفِيظَتِهِ. 2."التَّحَرُّشُ الْجِنْسِيُّ": إِثَارَةُ الْمَرْأَةِ وَإِغْرَاؤُها لِلإِيقَاعِ بِهَا جِنْسِياً

الأسباب كثيرة.. تشابكت وتضافرت لتنجب ابنـــاً غير شرعي اسمه الهمجية والتحرش الجنسي الجماعي.

وفي تقديرنا أن تفشي التحرش الجنسي وجرائم هتك العرض في الطريق العام يعود في المقام الأول إلى انهيار الأخلاق في المجتمع. إنه انحطاط أخلاقي عابر للطبقات، يشمل الأغنياء والفقراء، والمتعلمين والجهلاء، ويغذيه غياب الدولة وتراخي الأمن عن القيام بدوره وتحمل مسؤوليته في حماية المواطنين.

قطعان الذكورة الجريحة تتجول في المدينة، لتعيد في شوارعها تمثيل الذكورة التي تتعرض للسحق والانتهاك في أقسام البوليس والسجون

---

[77] المصدر نفسه، ص 174-177.

والأحياء التي يحكمها البلطجية، وقصور الحُكم. إنهم ضحايا/ مجرمون في نفس الوقت...يستعرضون قوتهم الرخيصة التي ندفع ثمنها غاليـــــاً[78].

إنها هستيريا ذكورة، من النوع البدائي المعتمد على الغريزة والإخضاع. ذكورة اصطياد الفريسة، والشعور بالنشوة من التهامها.

التحرش في مصر خرج من نقطة الغريزة والشهوة، ودخل منطقة العقاب الجسدي. لم يعد التحرش متعة جنسية، وإنما "حفلة لكسر الإرادة".

صار محيط مدارس الفتيات ساحة لمختلف أنواع التحرش وامتهان الجسد، ومرتعـــاً لصراعات ذكورية وأعمال البلطجة. وعلى الرغم من حدوث حالات تحرش جماعي في قلب العاصمة، فإن الدولة بأجهزتها الأمنية كانت أكثر اهتمامـــاً بسحق أجساد الناشطات في مظاهرات "كفاية"، بل والتحرش بهن على سبيل الإذلال والتنكيل.

يضيف المسؤولون من ناحية والقائمون على الإعلام من ناحية أخرى كلمة الظاهرة كلما وصفوا التحرش للتخفيف من وطأة المشكلة أو لإظهارها دخيلة على المجتمع المصري، وهم يعلمون جيدًا أن الثقافة المجتمعية تغيرت منذ عقود، يمكن أن تستدل عليها بمجرد

---

[78] وائل عبدالفتاح، في شوارعنا "ذكر" مهزوم، جريدة "التحرير"، القاهرة، 11 يونيو 2014.

نظرة عابرة على التجمعات، التجمعات في المترو، أمام السينما، في الميكروباص، وحتى التجمعات التي بدأت جيدة وحضارية واختفت مع الوقت مثل مهرجان الكوربة.

في دراسة مطولة لها، تقول منظمة هيومان رايتس مونيتور، إن التحرش الجنسي في مصر لا ينتهي، مؤكدة أن العنف الجنسي ضد النساء والأطفال في السنوات القليلة الماضية بات يمثل رعبــاً للغالبية العظمي من الفتيات. وأكدت في الدراسة التي أعدقا تحت عنوان "المرأة المصرية في مرمى المواجهة.. حين تتحول أجساد الفتيات إلى خرائط للصراع"[79] أن التحرش الجنسي في الشوارع من قبل شباب بل وأطفال أيضــاً وصل إلى درجة "مفزعة وغير مسبوقة" في تاريخ مصر.

وأضافت: "تتعرض المرأة المصرية للتحرش الجنسي في الشوارع والمواصلات العامة وفي أي تجمع توجد فيه الفتيات كالمظاهرات، والمهرجانات أو الاحتفالات، بل وتصل تلك الحالات إلى الاغتصاب الجماعي في ظل غياب تام عن العدالة وتواطؤ قوات الشرطة مع القضاء في محاكمة مرتكبي هذه الجرائم".

---

[79] المرأة المصرية في مرمى المواجهة.. حين تتحول أجساد الفتيات إلى خرائط للصراع، موقع "هيومن رايتس مونيتور" الإلكتروني، 25 نوفمبر 2015.

http://humanrights-monitor.org/Posts/ViewLocale/20321#.VsNcYbR95dg

وحذرت من أن الظاهرة تؤثر في عقلية وقيم المجتمع الذي تعيش فيه الفتاة المصرية، لافتة إلى أنها باتت محل هجوم من المجتمع إذا ما اشتكت من تعرضها للتحرش أو حاولت تقديم بلاغ، وتكون عرضة للتنكيل بها وفضحها إعلاميـــاً فلا هي تلقى دعمـــاً من الشرطة أو المجتمع مما يهدد بازدياد حالات العنف الجنسي بشكل كبير.

الدولة التي تحتل مركزًا دوليـــاً متقدمـــاً في التحرش، لدرجة وجودها في عدد من الأفلام الأجنبية القليلة الضئيلة التي تم تصويرها في مصر مثل Cairo Time تظهر فيها تلك الأفعال بوضوح في عدة مشاهد، الملاحقة والتحديق الذي يخيف الغريب ويجعل السائح كارهـــاً لحياته، أو في أفلام مصرية تناولت المشكلة وتم عرضها دوليـــاً مثل "٦٧٨"، والتي تتحول فيها حياة السيدات المصريات إلى جحيم يومي، يمكنك أن تراه في الشهادات المختلفة التي تحاول بعض الفتيات توثيقها عبر مواقع التواصل الاجتماعي كنوع من الانتقام المجتمعي والتنفيس في ظل دولة لا تحرك ساكنـــاً مع ما تسميه "ظاهرة".

طوال الأعوام السابقة ظهرت قضية التحرش الجنسي كإحدى أولويات النقاش حول وضع النساء في المجال العام في مصر. فمن قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير يتم تداول الخطاب حول إلى أي حد أصبحت شوارع مصر غير آمنة للنساء للسير فيها وتزايد حوادث

التحرش الجنسي. ومن عام 2012 ظهر جليـاً حالات اعتداءات جنسية واغتصابات جماعية في ميادين مصر التي ضمت مظاهرات متعددة مع استمرار وتزايد حوادث التحرش الجنسي والاعتداء الجنسي خارج نطاق المظاهرات.

قضية التحرش الجنسي التي كانت تتحدث عنها النساء باستحياء منذ عام 2005 أصبحت قضية تشغل الكثيرات من النساء في الوقت الراهن، ويتحدثن عنها وعما يتعرضن له بشكل أكثر علنية. وتقترح كثيرات منهن عدة أدوات لإيقاف الظاهرة أو محاسبة المعتدين. وعلى أثر ذلك اقترحت مجموعات متعددة ضمت فتيات ورجالًا أفكارًا وإجراءات لإنهاء الظاهرة، سواء بحملات توعية أو تقديم دعم طبي ونفسي وقانوني أو بمواجهة التحرش والاعتداء الجنسي بأنفسهن سواء عن طريق مجموعات تتدخل أثناء الحادث أو تعليم الدفاع عن النفس للفتيات، وعلى اختلاف تلك المجموعات وطريقة عملها ووجودها في القاهرة أو المحافظات الأخرى، وأيضـاً الاختلاف حول ما يستخدمونه من أدوات، يظل الأمر مهمـاً للمنشغلات بقضايا الحركة النسوية الجماهيرية والتي تعتمد على صاحبات القضية أنفسهن وتحاول الخروج من مأزق طالما وصمت به النسويات والمشتغلات بالعمل النسوي أنهن لا يعبرن عن واقع مجتمعهن[80].

[80] مزن حسن، التحرك الجنسي بين الحركة والحراك، جريدة "الشروق"، القاهرة،"، 8 نوفمبر 2014.

أنشأت مجموعات شبابية حركات وتنظيمات لمكافحة التحرش، بعد تفشي ظواهر التعدي على المرأة والتحرش بها بمعدلات متزايدة. وبدلًا من تنسيق الدولة مع تلك المجموعات كانت تمارس معها مضايقات أمنية، حتى وصل الأمر إلى حد اعتقال بعض أفراد تلك الحركات مثلما حدث بالإسكندرية في أكتوبر 2013 بجوار سان ستيفانو.

في مايو 2013 أنشئت إدارة لمتابعة جرائم العنف ضد المرأة. وهي استجابة محمودة من قبل الدولة لمواجهة العنف المكثف ضد المرأة على مستويات متعددة، على أمل توفير قدر أكبر من الأمن للمرأة والأسر بشكل عام في تحركاتها في المساحات العامة. فالمؤسسات صارت مجبرة على تلبية الاحتياجات الأمنية للمواطنين وليس فقط احتياجاتها هي. المبشر هو اتساع أفق ورؤية كل من العقيدتين منال العاطف ومنار مختار المسؤولتين عن الإدارة؛ إذ أكدتا أن المشكلة لا يمكن أن يتم اختزالها في مشكلة أمنية فقط[81]. إلا أن الأمر لا يخلو من مخاطر حقيقية في سبل وكيفيات تنفيذه، وبالأخص حول من يقومون به.

خطورة قوات مكافحة التحرش هي أنها لن تقتصر فقط على محاربة التحرش ولكن إمكانية تدخلها بشكل قيمي وأخلاقي في

[81] أميرة طلعت، إدارة جرائم العنف ضد المرأة: لو اعتمدنا الحل الأمني فقط سنحتاج "عسكري" لكل سيدة، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 28 فبراير 2014.

صياغة العلاقة بين الجنسين، وهو ما يعني العمل على مزيد من الفشل والتحاشي كحل للأزمة وكصياغة متسقة مع رؤية الدولة المحافظة لطبيعة ونمط العلاقة بين الجنسين، وبالطبع سيلاقي هذا ترحابـاً شديدًا من بنية المجتمع القديم التي تميل لحجب المرأة وبالأخص في المجال العام. وهو ما يتسق مع موروثات قديمة ترى أن الحرة هي من لا تحتاج للخروج من المترل وأن المرأة في السوق والشارع هي الأمة المستباحة. وهو الأمر الذي لايزال يوجد حالة من الشيزوفرينيا عند الرجال. ويرى الباحث محمد نعيم أن هذا التناقض ينحر في صدر الكثير من الذكور، فمن ناحية لم يعد الذكور في مصر يستطيعون تحمل كلفة جلوس المرأة في المترل اقتصاديـاً وفي نفس الوقت ما زالوا غير مرتاحين لقرار وجودها وتفاعلها في المساحات والمجال العام[82].

إن أي حل قائم على العزل والفصل شديد الخطورة على مستقبل أكثر تحررًا وأقل استبطانـاً لنماذج وتصورات عنيفة ومكبوتة عن المرأة. وهو ما يعمق من حالة الشيزوفرينيا الذكورية حول المرأة وجسدها ودورها في المجتمع وما تمثله للرجل، بالأخص إذا ما تم تطبيق مزيد من الإجراءات الأمنية في المدينة بشكل أقرب لاحتلال للحركة وحصارها. فكلما زاد غموض الآخر (الجنس المختلف،

---

[82] علي الرجال، قوات فصل الجنسين، جريدة "الشروق"، القاهرة، 9 أكتوبر 2014.

الغريب، المخالف، المهاجر، إلخ) زاد مقدار التشنج والقابلية للعنف ضده.

يرى د.علي ليلة أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس، أن ظاهرة التحرش تعود إلى عاملين أساسيين، أولهما ضعف البنية الأخلاقية لدى الأجيال الجديدة، وهي التي نشأت في بيئة ثقافية لم تكترث بالتربية وتهذيب الضمير الفردي الذي يمكن الإنسان من التحكم في غرائزه، الأمر الذي أسهم في تفكيك المنظومة الأخلاقية، ليس لدى الأبناء والبنات فحسب، وإنما لدى الآباء والأمهات أيضـــاً.

العامل الثاني – والكلام مازال للدكتور علي ليلة– تمثل في الدور السلبي الذي أصبح يقوم به التليفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي التي باتت متاحة لكثيرين. ذلك أن ما يبثه التليفزيون وما تتناقله شبكة الإنترنت من مواد فاضحة أسهم في تضخيم بنية الغريزة التي تكفلت بإضعافها مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة (البيت والمدرسة خصوصًا). هذان العاملان يقفان بقوة وراء ظاهرة التحرش، التي تحتاج إلى دراسة بأكثر مما تحتاج إلى إجراءات أو قرارات إدارية لعلاجها[83].

[83] فهمي هويدي، يسألونك عن التحرش، جريدة "الشروق"، القاهرة، 3 نوفمبر 2012.

وإذا كان القانون يستدعي صورة معينة عن المرأة تجعلها أكثر سيطرة على جسدها، فإن أدوات الضغط التي يتم عادة تغيير القانون بها، وهي تحديدًا المجتمع والدولة، ليست بأفضل حالًا. فإذا كان مفهومنا عن الجريمة هو أنها السلوك الذي يرفضه غالبية المجتمع ويطالب بمعاقبة من ينتهجه، فإن التحرش لا يستوفي هذه الشروط.

التحرش ليس من الأفعال التي يتربى الذكور في مصر على الإحساس بفداحتها، مثل السرقة أو القتل. والتحرش أيضـــًا ليس مجرد فعل مقبول أو مسكوت عليه باعتباره نتاج ظروف معينة (مثل رشوة الموظف العام أو إلقاء القمامة في الشارع) ولكنه من الأفعال التي يتم التشجيع عليها بأشكال مختلفة. فالتحرش بالنسبة للكثير من المراهقين هو من بوابات العبور إلى عالم الرجولة والحصول على صك "الخبرة" من أصدقاء السوء، وبالنسبة لآخرين هو استعراض للقوة أو عقاب للمرأة التي لا تلتزم بالشروط التي حددها لها المجتمع للحضور في أي مكان عام، وربما تكون المقاطع التي يتم تداولها على الإنترنت والتي تظهر أطفالًا يبررون تحرشهم، كاشفة عن عبثية محاولة البحث عن سبب للتحرش.

إذًا، فنحن كمجتمع (أو على الأقل رجال هذا المجتمع) نشجع على فعل ما، في نفس الوقت الذي نعتبره فيه جريمة. تؤكد لنا الإحصائيات أن غالبية النساء في مصر (99.3% طبقـــًا لدراسة

أجرتها هيئة الأمم المتحدة للمرأة ومنظمات أخرى، و80% حسب دراسة أجراها مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأميركية بالقاهرة[84]) يتعرضن لنوع من أنواع التحرش، وهو ما يوضح أن التحرش أصبح هو القاعدة. وإذا اتفقنا على أن المسؤول عن التحرش بمعظم نساء مصر ليس حفنة من المتحرشين النشطين، ولكنهم في الأغلب معظم رجال مصر، يصبح تجريم هذا الفعل محيرًا.

لا تعتبر النظرة التقليدية للسياسة أن حرية السير في الشارع هي حق سياسي. وأن الهستيريا الجماعية التي تتحرك مثل القطيع وراء قطعة لحم يريدون تعريتها أو لمسها بالقوة، قوة القطيع وفوضى الرغبات المكبوتة، هذه الهستيريا هي تعبير سياسي وليست مجرد سقطة أخلاقية جماعية أو حتى أخطاء أمنية في حماية المواطنين، لكنها جزء من فكرة أكبر، وهي أن المجتمع في مصر فاقدٌ لقانون يرسم العلاقة بين الفرد والجماعة، وبين الفرد والسلطة.

المصيبة أن الكل يلوم الكل، وأن هناك حالة من التطهر الاجتماعي ووهم النقاء –عبر وضع مسافة "بيننا" وبين "هؤلاء"– تنتشر بعد كل كارثة أو قضية رأي عام، كأن هناك كائنات فضائية هبطت علينا من المريخ لترتكب بين الحين والآخر أفعالًا منكرة.

ليس كافيـــًا في هذه الحالة أن يرفع العشرات من فريق "هنتحرش

---

[84] محمد ماهر، ٨٠% من نساء مصر تعرضن للتحرش، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 26 نوفمبر 2014.

بالمتحرشين" شعار "اعرف المُتحرّش وعلّم عليه"[85]، لمكافحة التحرش في أول أيام عيد الفطر، للعام 2014، ولا أن تتعالى أصوات تنادي بأفكار أكثر تطرفـًا وتدعو إلى التصفية وتقترح الإخصاء وتطالب بمزيد من التهميش لكل من شارك في الواقعة، بدلًا من المناقشة الموضوعية بحثـًا عن علاج سليم لما يجري.

إن المكافحة الموسمية للتحرش بمبادرات فردية، بالرغم من كونها توجه رسائل إيجابية تتصدى للمتحرشين، فإنها تظل عاجزة عن تقصي أسباب الظاهرة وتحديد سبل علاجها من جذورها.

صخبٌ إعلامي، ثم تنتهي دوائر الجدل إلى لا شيء؛ لتتكرر الصورة وتتضخم يومـًا بعد آخر وعامـًا بعد آخر.

وكل عامٍ ونحن طيبون!

***

القَمْعُ: مصدر قَمَعَ الرجلَ يَقْمَعُه قَمْعًا وأَقْمَعَه فانْقَمَعَ قَهَرَه وذَلَّلَه فذَلَّ. والقَمْعُ : الذُّلُّ. والقَمْعُ: الدخُولُ فِرارًا وهَرَبًا. وقمَعَ في بيته وانْقَمَعَ دخله مُسْتَخْفِيًا. وفي حديث عائشة والجواري اللآتي كُنَّ يَلْعَبْنَ معها: فإذا رأين رسولَ الله انْقَمَعْنَ أي تَغَيَّبْنَ ودَخَلْنَ في بيت أَو مِنْ وراءِ سِتْرٍ؛ قال ابن الأثير: وأَصله من القِمَعِ الذي على رأْس الثمرة أَي يدخلن فيه كما تدخل الثمرة في قمعها.

[85] آلاء سعد، بالصور.. "هنتحرش بالمتحرشين" ترفع شعار "اعرف المتحرش وعلّم عليه" بالقاهرة، موقع "بوابة الشروق" الإلكتروني، 28 يوليو 2014.

لعل أكثر ما يثير العجب أن أجهزة الأمن في مصر تحشد الآلاف من قواتها وعملائها وعرباتها المصفحة لقمع المظاهرات والمسيرات السلمية وحماية الموكب الرئاسي، في حين نجدها تعجز عن تبرير غيابها الواضح وتقصيرها الفاضح في ضبط الأمن في الشارع. بل إنها تغيب عن سُرة القاهرة: وسط البلد.

ترى التحفز والتربص الأمني في محيط السفارة الأميركية التي جعلت من السير على الرصيف المحاذي لها مغامرةً غير مضمونة العواقب، في حين تستباح شوارع مجاورة على يد جماعات بشرية تشعر بالكبت والجوع استجابةً لإلحاح الجسد. وفي بعض الأحوال وثق المتحرشون أفعالهم بكاميرات الموبايل، على سبيل التباهي والتبجح بالجريمة.

في جريمة ميدان التحرير، كان يجب على وزارة الداخلية نشر أعداد كبيرة من المخبرين السريين، ففي هذه التجمعات تكون مهمة المخبرين متركزة على حل المشكلة فور وقوعها، وقبل أن تتفاقم، ولا بدَّ من الانتشار الأمني المكثف في هذه التجمعات؛ لأنه من الوارد وقوع مشكلات عدة، ما بين خلافات في وجهات النظر يصاحبها اشتباكات لفظية تصل إلى التطاول بالأيدي، وأحيانـًا تصل إلى التحرشات الجنسية وملامسة أجساد الفتيات، مثلما حدث في الميدان. ودور المخبرين السريين في تلك الحالات هو الفض وليس

القبض على العناصر المتورطة، كما أن شعور المواطنين بانتشار المخبرين السريين يمنحهم قدرًا من الطمأنينة.

نستذكر هنا صاحب كتاب "طبائع الاستبداد" عبدالرحمن الكواكبي، الذي ربط بين الاستبداد بفساد الأخلاق وزيادة معدلات الجنوح في مختلف المجالات.

***

الفَوْضَى: ـ من الناس: من لا رئيسَ لهم يَضْبُط أمورهم: النَّاسُ فوضى أي متفرِّقونَ مختلطون / مالُهم فَوْضى بينهم أي مختلطٌ فيهم يتصرَّفُ كلُّ منهم في جميعه بلا نكير. ـ : اختلالٌ في أداءِ الوظائف العضويةِ أو الاجتماعية وافتقارها إلى النظام: سادتِ الفوضى أعمالَ مؤسّسةِ الخطوطِ الجويَّة / في ذلك البلد فوضى سياسيّة / أخذ النَّاقمون يبثُّون الفوضى في المدينة.

إن الفوضى حين تستقر تصنع لها جذورًا في المكان ونفوس البشر، تصبح "نظامـــًا" متكامل الأركان.

وعندما يتحول الحادث العشوائي إلى ظاهرةٍ متكررة تطل التخوفات من شرفة القلق؛ إذ إن تلك المجموعات –بغض النظر عن كل ما قيل بشأن عددها، ومع الإقرار التام بصعوبة تحديدها وتصنيفها استنادًا إلى الفئة العمرية والمهنة والوضع الاجتماعي– التي تحرشت جنسيـــًا وبأسلوب هستيري بالفتيات في قلب

لقاهرة، عادت لتكرر فعلتها في اليوم التالي، وشكّلت هذه المرة - حسب شهود عيان- قطارات بشرية تقترب من الضحية لتفرض عليها حصارًا قبل أن تبدأ في لمسها وتحسس جسدها.

إن التحرش هنا ليس تحرشـــاً بالفتيات فقط، بل هو في المقام الأول تحرش بالقانون واستخفافٌ علني به وبمظاهره؛ إذ إنه لا مواجهة حقيقية لجرائم التحرش والعنف والاعتداءات الجنسية إلا بالمزج بين تعديل القوانين لتقر عقوبات رادعة، وبين الضغط على مؤسسات إنفاذ القانون للمحاسبة الناجزة لمرتكبي هذه الجرائم، وبين تفنيد الثقافة الذكورية المسيطرة على الإعلام والتي يستمر توحشها وتنتج تشويهـــاً مستمرًا لوعي الرأي العام.

تلمس قضية التحرش الجنسي وبشكل أصيل أبسط حقوق نساء هذا الوطن في حرية الحركة والوجود في مجال عام آمن يضمن سلامتهن ووجودهن. عبَّرت النساء عن قناعتهن الأصيلة بهذا الحق عندما رفضن ما يتعرضن له من تحرش جنسي أو اعتداءات جنسية واغتصابات جماعية كادت أن تودي بحياة كثيرات منهن، ومنهن من فقدت حياتها أو فقد أحد الشباب حياته عندما حاول درء إحدى محاولات التحرش بفتاة.

وفي هذا الأمر يظهر الحراك حول قضية أصيلة وأساسية وتبلور إمكانية وجود حركة مجتمعية تدافع في نهاية الأمر عن أحقية هذه

النساء في الوجود في مجال عام آمن تتضح من خلال المجموعات المختلفة التي نشأت والعديد منها مستمر لمواجهة تلك الظاهرة، أخذت بعضها الطابع السياسي من الوجود داخل المظاهرات وأماكن الاحتجاج وأخرى مجتمعية وثالثة ذات طابع طويل المدى لمواجهة أصل المشكلة من حيث التربية المجتمعية أو تعديل القوانين أو وجود إرادة سياسية من الدولة لمواجهة تلك الظاهرة.

في ظل غياب القانون والأمن، يحاول الناس ارتجال شكل جديد لحماية الأعراض من الانتهاك اعتمادًا على ما تيسر من القاموس الشعبي: "الجدعنة" والشهامة.

وهكذا وجدنا في واقعة التحرش الجماعي في منطقة وسط البلد أواخر عام 2006 عددًا محدودًا من أصحاب المحال التجارية وسائقي سيارات الأجرة وحراس العمارات وأفراد شركات الأمن الخاصة يتدخل قدر الاستطاعة لمنع تلك الجرائم عبر توفير الحماية والملاذ الآمن للضحايا.. سواءً أكانت تلك الأماكن هي المحال التجارية أو سيارات الأجرة أو العمارات القديمة النائمة على جانبي الطريق. أما سلاح "المقاومة" فقد تنوع ما بين رش المياه أو استخدام العصي والأحزمة.. وأحيانــًا التلويح بالمسدسات.

تبقى حقيقةٌ مؤلمة مفادها أن قطاعــًا واسعــًا من المجتمع المصري يعيش حالة من عدم المبالاة.. فالمشاهدة غلبت على النجدة، بمعنى أن

من تتعرض للتحرش الجنسي قد لا تجد من ينجدها، وهو ما قد يؤدي إلى فقد الثقة في المجتمع ككل، ويشيع جوًا من البلادة والارتماء في حضن الهاوية مهما كانت سحيقة.

وكما قال الشاعر حافظ إبراهيم:

وكم ذا بمصرَ من المضحكات كما قال فيها أبو الطيّبِ
أمــورٌ تمــرُّ، وعيشٌ يمــرُّ، ونحن من اللــهو في ملــعبِ
وشعبٌ يفــرُّ من الصالحات فــرار السليم من الأجــربِ
وصحْفٌ تَطِــنُّ طنــين الذبابِ، وأُخرى تُشَنُّ على الأقربِ

***

هِيَاجٌ - [هـ ي ج]. (مص. هَاجَ، هَايَجَ). "كَانَ هِيَاجُهُ تَعْبِيرًا عَنْ غَضَبِهِ": ثَوْرَتُهُ، فَوْرَتُهُ

في واقعة التحرش الجماعي في نهاية عام 2006، دعونا لا ننسى الراقصة دينا، التي قدمت وصلة أو عينة من الرقص الحسيّ أمام دار للعرض السينمائي وسط القاهرة ترويجــًا لفيلم الموسم "عليَ الطرب بالتلاتة"، دفعت الجمهور إلى الفرجة على المزيد من هذه "الوصلات" عبر شراء تذكرة سينما.

الهياج الجنسي الذي أصاب تلك الجموع الجائعة على اختلاف فئاتها العمرية أصاب أفرادها بالعمى وأفقدها القدرة على التمييز،

فلم تعد ترى شيئـــاً سوى الرغبة ـأو محاكاة الشعور بالرغبةـ ولم تعد تعي أمرًا سوى هذا البركان المنفجر من الشهوة التي تعتمل في النفوس. هنا لم يعد مهمـــاً إن كانت الضحية ترتدي فستانـــاً قصيرًا أو عباءة فضفاضة؛ محجبة أو ترتدي بنطالًا ضيقـــاً.. مراهقة أو سيدة في منتصف العمر؛ المهم هو أنها مشروع فريسة.

يردد البعض أن من أهم أسباب التحرش لبس المرأة الخليع، وكلمة الخليع كلمة نسبية، فالذين يطلقون عليه (خليع) كانت تلبسه أمهاتنا وجداتنا في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات وحتى منتصف السبعينات من القرن العشرين، هذا فضلًا عن أن التحرش طال المحجبات والمنقبات، فترى ما هو الملبس الذي يمكن أن ترتديه المرأة حتى تضمن ألا يتحرش بها أحد؟

وربما كانت هتافات وصيحات جماعات الدهماء في واقعة 2006 دليلًا آخر على هذا العمى الذي أصاب أفرادها. فقد تنوعت تلك الهتافات ما بين الإيحاءات الجنسية البذيئة.. وعدم التمييز "واحدة تانية.. واحدة تانية".. والقُطرية ذات الطابع العنصري في مواجهة من يشتبهون في أن ملابسها تشي بجنسيتها "بيب بيب بيب.. سعودية.. بيب بيب بيب.. سعودية".

يحدث هذا في بلد تقول أكثر الإحصائيات رأفةً إن نحو 10% من رجاله يعانون العجز الجنسي، وتؤكد دراسة لقسم أمراض الذكورة

بطب القصر العيني أن 30% من الذين يعانون الضعف الجنسي في مصر إنما يعانونه لأسباب نفسية.

الموضوع، كما هو في كل شيء حولنا، لا يرتبط بالجنس بقدر ما هو وثيق الصلة بالسيطرة، والتنكيل، والتحكم المرضي لدى كثيرين في شوارع تطاردك بنظرات وإشارات قاطنيها. هكذا ينتهك حتى الصبي الأنثى المستباحة في رأيه، ليثبت لنفسه أنه يمتلك صفات الذكورة، حتى وإن كانت ذكورة مهزومة تعاني الانسحاق أمام الأمن والبلطجية والمدير في العمل.

إن من أقدموا على تلك الفعلة استأسدوا على النساء عندما اطمأنوا إلى هذا الفراغ الأمني. ومَن أمِنَ العقاب أساء الأدب.

المتهمون كُثر في مثل هذه الحوادث المشينة.

البعض يلوم الأمن الغائب، والبعض الآخر يتحدث عن حالة عدم المبالاة التي أصابت قطاعـاً واسعـاً من المجتمع المصري، حتى أصبح لزامـاً على كل فرد أن يحمي نفسه بنفسه وأن يدس سلاحـاً ما في جيبه أو حقيبة يده.. فريق ثالث ركز على غياب ثقافة الأخلاق وتراجع الوازع الديني الذي يحض على التعفف وغض البصر.. وانصرف معسكر آخر إلى موضوع تأخر سن الزواج.

والشاهد أن مثلث الفساد والبطالة والفقر المدقع سحق منظومة القيم الأخلاقية التي تعد شبكة الأمان في أي مجتمع.. وتحالف القمع مع العشوائية ليفقد أبناء المجتمع آدميتهم وسط شعور باليأس من أي بارقة أمل في الإصلاح.

وفي ظل تلك الصورة القاتمة، يُحرّك الحصان العربة، وتقود الرغبة العقل، وتسود ثقافة القطيع التي تختار الأهداف الخطأ للتنفيس عن الشعور بالتهميش أو اختلاس لحظات إثارة عابرة: العنف هو الحل واضطهاد "الآخر" هو السبيل.

وفي مصر، ترى وتعاين بنفسك أكثر صور "الإزاحة" و"الإسقاط" تعبيرًا، حسب وصف سيغموند فرويد: إزاحة العنف عن النفس بإسقاطها على الآخر بتنوعاته.

والنتيجة: سقوط العقد الاجتماعي الذي يُفترض وجوده بين الحاكم والمحكومين، بعد أن تبين أن الدولة لا تؤدي واجبها المنصوص عليه بموجب هذا العقد بدءًا من منح المواطنين الحريات الأساسية وصولًا إلى الحقوق المتعارف عليها في أي مجتمع أو بيئة حضارية.

التوقيت له أهميته ودلالته أيضـــًا، فما حدث تزامن مع الاحتفال بعيد الفطر الذي يلي شهر رمضان، أي أنه يفترض أن نسبة لا يستهان بها ممن أقدموا على تلك الجريمة الأخلاقية قد خرجوا للتو من شهر التعبد والروحانيات.. وهو مؤشرٌ على أحد أمرين: إما أن الدين

ـد تراجع في نفوس هؤلاء وتحولت العبادة –في حال إقامة شعائرها– إلى عادة.. أو أن الجهل وعدم الوعي السائد كان المحرك لهذه الجموع التي اتفقت في لحظةٍ ما على النيل من النساء وأجسادهن وكرامتهن في ظل انتشار ثقافة النظرة الدونية للمرأة.

***

قُصُورٌ - [ق ص ر]. (مص. قَصَرَ). 1."لاَحَظَ قُصُورًا فِي عَمَلِهِ": تَهَاوُنًا، تَرَاخِيًا، تَقْصِيرًا. 2."قُصُورٌ عَقْلِيٌّ" : ضَعْفٌ، خَلَلٌ. 3."الْقُصُورُ الذَّاتِيُّ" : ضَعْفُ الْجِسْمِ عَنْ تَغْيِيرِ حَالَتِهِ بِسُرْعَةٍ مُنْتَظِمَةٍ فِي خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ

ما يلفت الانتباه في هذه الجريمة الجماعية هو ذلك التقصير الفاضح والقصور الفادح لوسائل الإعلام في مصر: المطبوعة والمسموعة والمرئية على حد سواء.

ولولا ما عرضته قناة "دريم" الخاصة في برنامج "العاشرة مساء"، وما نشرته جريدة "المصري اليوم" على استحياءٍ بعد مرور بضعة أيام على الجريمة، وما أثير في برنامج "القاهرة اليوم" على قناة "أوربت"، لم يكن الكثيرون ليعرفوا بحقيقة ما جرى في ربوع المحروسة.

وليتها كانت فعلًا محروسة!

إن ما يبعث على الأسى أن نجد الإعلام الذي طنطن صباح مساء وتغنى بإنجازات عهد مبارك، أغلق أذنيه وابتلع لسانه وأخفي وجهه

حتى تمر الكارثة مرور الكرام. غير أن الإعلام البديل أو صحافة المواطن –مثل مالك صاحب مدونة "مالكوم اكس" ووائل عباس الذي انفرد بصور الجريمة على مدونته "الوعي المصري"– تمكنت من كشف المستور، فإذا بنا وجهــًا لوجه أمام عورة نظامٍ يرى أن الأمن لخدمة الحاكم وليس في خدمة الشعب والحرص على سلامة أبنائه وبناته.

أمنٌ اكتفى بعد مماطلة وتمنُّع بالرد على ما جرى بالنفي القاطع، والادعاء بأنه لم يرده أي بلاغ عن وقوع مثل تلك الاعتداءات السافرة.

***

إِنذارٌ - [ن ذ ر]. (مص. أَنْذَرَ). 1."تَوَصَّلَ بِإِنْذارٍ مِنْ إِدارَةِ الْمَدْرَسَةِ": بِإِشْعارٍ بِهِ تَنْبيهٌ على عَمَلٍ خَطيرٍ قامَ بِهِ. 2."جَرَسُ الإِنْذارِ": الإِخْطار، الإِشْعارُ بِوُقوعِ أَمْرٍ مَّا لأَخْذِ الحيطَةِ والحَذَرِ. 3."أَلَمْ تَسْمَعْ صَفَّارَةَ الإِنْذارِ": صَفَّارَةٌ لَها صَوْتٌ ضَخْمٌ تُشْعِرُكَ بِحُدوثِ شَيْءٍ خَطيرٍ، أَوْ حُلولِ مُناسَبَةٍ مَّا. 4."وَجَّهَ لَهُ إِنْذارًا أَخيرًا": إِشْعارًا. "أَخْرَجَهُ دُونَ سابِقِ إِنْذارٍ"

ما جرى لم يكن الأول من نوعه في مصر، بل سبقته أجراس إنذار كثيرة أصمت الدولة أذنيها عنها، ومن ذلك ما جرى في فبراير من عام 2006 في شارع جامعة الدول العربية ومناطق أخرى من القاهرة

خلال الاحتفالات بالفوز بكأس الأمم الإفريقية الخامسة والعشرين؛ إذ وقعت عدة حالاتٍ من التحرش الجنسي والسعار المخيف.. وسكت كثيرون، على اعتبار أن ذلك من مظاهر فوضى.. الاحتفال.

إن استخدام الدولة من خلال مؤسساها الأمنية للعنف الجنسي بشكل مباشر هو أمرٌ كثر الحديث عنه، ولازالت قضية السيدات اللاتي جرى التعدي عليهن جنسيـــاً بإشراف رجال الشرطة ومشاركتهم المباشرة أمام نقابة الصحفيين وضريح سعد زغلول خلال مظاهرات حركة "كفاية" في 25 مايو 2005 حاضرة في الذهن.

يومها استخدمت أجهزة الأمن وقوات الشرطة المصرية التحرش الجنسي أو سهَلت استخدامه لمجموعات من البلطجية في مواجهة المتظاهرين من معارضي الاستفتاء على تعديل المادة 76 من الدستور. وهكذا جرى التحرش بسيدات بينهن عدد من الصحفيات على أيدي عناصر أمنية و"عصابات مأجورة من البلطجية والمجرمين وأصحاب السوابق قاموا بضربهن وتعريتهن وملامسة أجزاء حساسة من أجسادهن، بتوجيهٍ مباشر من أعضاء قياديين في الحزب الوطني الحاكم وفي حماية وحراسة الشرطة"، على حد قول البيان الذي أصدرته – حينذاك– نقابة الصحفيين المصريين.

ظلت الدولة ترفض تمامـــاً القيام بأي خطوات للاستدلال على الفاعلين ومعاقبتهم أو تعويض الصحفيات، بالرغم من صدور حُكم

بذلك من اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب منذ أكثر من سنة.

بالمثل، رسخت في ذاكرة المصريين صورة "ست البنات"، هند نافع، التي تعرضت للضرب والسحل بوحشية وتعرية جسدها في زمن العسكر في ديسمبر 2011، وسط انشغال العسكر وحلفائهم من القوى الإسلامية بتبرير ما جرى، حتى إن هناك من قال إنها هي التي عرَّت جسدها وإن قوات الجيش كان تحاول سترها.

مثال آخر هو واقعة كشوف العذرية في مارس 2011 القصة كما يلي: يُدخلون الفتيات عنوة إلى غرفة أو ممر أو ساحة، يسبونهن بأبشع الألفاظ ثم يجبرونهن على التجرد من ملابسهن – ليسوا كلهم رجالًا، بل تساعدهم على ذلك امرأة. الغرض ليس جنسيـًا فقط، الغرض عقابي وتنكيلي. يكشفون على عذريتهن بغير رضاهم مدعين أنهم يفعلون ذلك لحماية أنفسهم من مزاعم الاغتصاب. يكررون نفس الإجراء (الروتين الممل الرتيب) مع 17 امرأة. ينتهكون أجسادهن حتى لا تخرج إحداهن فتدعّي أنهم انتهكوا جسدها.

"دا إجراء روتيني". بهذه الكلمات وصف اللواء حسن الرويني قائد المنطقة العسكرية المركزية كشوف العذرية أثناء لقاء بعض أعضاء المجلس العسكري مع وفد مجموعة "لا لمحاكمات العسكرية للمدنيين" في يونيو 2011. "إجراء روتيني" في نظر الرويني، لكنه عملٌ

مهين ينتقص من حقوق الإنسان ويتنافى مع الدستور والقانون والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان التي وقعت عليها مصر، في رأي أعضاء الوفد المذكور. لم يكن لدى الدولة إرادة سياسية للاعتراف، علمـــاً بأن محكمة القضاء الإداري في قضية كشوف العذرية تحدثت عن "تقرير منظمة العفو الدولية بتاريخ 27 يونيو 2011 –والذي لم تجحده الجهة الإدارية أو تُقدِم ما يثبت عكسه – أن اللواء عبدالفتاح السيسي ناقش مع أمين عام منظمة العفو الدولية مسألة فحص العذرية القسرية وذكر أن تلك الفحوص أجريت للمعتقلات في شهر مارس من أجل حماية الجيش من مزاعم اغتصاب محتملة، كما تضمن التقرير المشار إليه أن رئيس المخابرات العسكرية وعد منظمة العفو الدولية بأن الجيش سوف يتوقف عن إجراء تلك الفحوص"[86].

هذا هو التبرير الرسمي، أن الرجال الذين كانوا يحملون السلاح وجميع مفاتيح الزنازين كانوا في الحقيقة يحمون أنفسهم. يجب علينا بعد كل ذلك ألا نكتفي بعدم لومهم، بل أن نشعر بالتعاطف معهم. فهم كانوا يحمون أنفسهم من أن تخرج إحدى الفتيات فتدعي أنهم اغتصبوها.

[86] أحمد راغب، كيف كشفنا عذرية العسكر؟، مجلة "تشريع" غير الدورية، العدد الثاني، مركز هشام مبارك للقانون، القاهرة، 2012، ص 9-11.

هذا المنطق العبثي لم يتم تقديمه لجمهورهم الذي لا ينتظر منهم تبريرًا أصلًا، ولكنه تبريرٌ قدموه لمن لا يقف في صفهم. ألم يكن باستطاعتهم التوصل إلى تبرير أكثر وجاهة أم أنهم لا يكترثون؟ أم أنهم قدموا تبريرًا واهيــًا بشكل مقصود للتأكيد على أنهم غير نادمين؟

تستجمع إحداهن –سميرة إبراهيم– الشجاعة فتفضحهم وتذهب إلى النيابة العسكرية، التي هي جزء من المؤسسة العسكرية المشكو في حقها وفي نفس الوقت جهة التحقيق الحصرية في أي جرائم يرتكبها أفراد تلك المؤسسة. ثم يذهب الأمر إلى المحكمة العسكرية فيبرئ القاضي المتهم الوحيد ويبني قناعته جزئيــًا على "تراخي" المجني عليها في الإبلاغ؛ لأنها أبلغت عن الواقعة بعد حدوثها بمائة يوم، "في حين كان في إمكانها إبلاغ جهات التحقيق التي مثلت أمامها حال إجراء محاكمتها"[87]. كان القاضي ينتظر من المجني عليها أن تشتكي السجانين والحراسة وأطباء السجن داخل السجن الحربي نفسه.

يبرئ القاضي الطبيب المتهم في قضية كشف العذرية فينعى البعض العدالة الغائبة. السؤال هنا، ماذا إن حضرت العدالة؟ ماذا إن قام القاضي بإدانة الطبيب المتهم في قضية كشوف العذرية؟

واقعة تم فيها انتهاك أجساد ما لا يقل عن 17 امرأة.

---

[87] حكم المحكمة العسكرية العليا الصادر في 11 مارس 2012 قضية 918 لعام 2011.

واقعة أثارت حفيظة جزء كبير من المواطنين، وكانت فعلًا صادمة بالنسبة للكثيرين الذين اعتادوا سماع قائمة ثابتة من أساليب التعذيب لم يكن كشف العذرية هذا من بينها، كما اعتادوا على نوع معين من الضحايا لم يكن هؤلاء الفتيات من بينهم. ليس معلومـــًا ما إذا كان الذي فجعنا هو الواقعة أم تحديها لأنماط البشاعة التي ألفناها؟ لكن الأكيد أنها واقعة ضخمة تطلبت خروج أعلى مسؤولي الدولة بعد حدوثها ليعلنوا أنها إجراء روتيني، مما يعني أنهم على علم بها، إن لم يكونوا قد أصدروا أمرًا بها.

لو حضرت العدالة الغائبة في تلك القضية، وأنزل القاضي أقصى عقوبة على المتهم، فإنه كان سيحكم "بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو غرامة لا تتجاوز ثلاثمائة جنيه مصري؟" فالطبيب المتهم في قضية كشوف العذرية تم اتهامه بمخالفة المادة 278 من قانون العقوبات والتي تجرّم "كل من فعل علانية فعلًا فاضحـــًا مخلًا بالحياء"، وهي بالمناسبة نفس المادة التي قد تُستَخدَم في معاقبة حبّيبة الكورنيش إذا ما قررت السلطات أنهم خرجوا عن نطاق "الحياء" المقبول للدولة. جريمة انتهك الجاني خلالها جسد امرأة (أو 17) وفعل بجسدها ما لا تريده هي، لا يتعامل معها على أنها جريمة بحق المرأة نفسها، بل جريمة في حق حياء المجتمع.

وحتى إذا تمت إدانة الطبيب بالجريمة التي كان من الواجب أن تتهمه النيابة العسكرية بها، وهي جريمة هتك العرض (المادة 268)، بدلًا من جريمة الفعل الفاضح، فإن القاضي وقتها كان سيكون عنده السلطة أن يخفف العقوبة (التي حددها القانون بـــ"السجن المشدد") باستخدام ما يسمى بمادة الرأفة (المادة 17)، وهي المادة التي تكشف دراسة غير منشورة للمحامي طاهر أبو النصر عن كثرة استخدامها في قضايا هتك العرض بدون إعطاء مبررات[88].

الدولة في الحقيقة لا تريد المرأة التي تتجاسر وترفع صوتها ضد الحكومة في الشارع – فهذا السلوك لا يتناسب مع نموذج المرأة الذي تريده الدولة، وربما يكون التعبير الأكثر فجاجة عن هذا هو ما نقلته الصحفية شهيرة أمين عن اللواء إسماعيل عتمان عضو المجلس العسكري -آنذاك- الذي برر كشوف العذرية قائلاً "يا مدام شهيرة البنات دول ولا بناتك ولا بناتي دول بنات بيباتوا في الخيام في التحرير وعادي نعمل الإجراء ده عشان ميطلعوش يقولوا إن احنا اغتصبنا حد منهم... والفريق سامي عنان أكد على كده"، وهو ما جاء في شهادة شهيرة أمين في جلسة المحكمة العسكرية في قضية كشوف العذرية (26 فبراير 2012).

إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا، فالدولة كان يمكنها أن تحتكر استخدام العنف الجنسي، فتستخدمه لأغراض سياسية وعقابية بدون

---

[88] بهاء عز العرب، مصدر سابق.

ن تسمح لغيرها بذلك، كان يمكنها أن تحمي النساء بشكل عام من التحرش والعنف الجنسي وترفع تلك الحماية عن النساء اللواتي يخرجن عن "الخط المرسوم"، ولكن الدولة لا تبدو مهتمة حتى باحتكار العنف الجنسي[89].

وقد وثقت ثلاثة من المراكز البحثية المتخصصة (النديم – المرأة الجديدة – نظرة) شهادات لنماذج من النساء اللاتي تعرضن لذلك النوع من العنف الجنسي في الفترة بين عامَي 2011 و2013، كما تحدثت مجموعة مكافحة التحرش عن 167 حالة وقعت أثناء خروج الجماهير في 30 يونيو 2013.

الشاهد أننا أمام ظاهرة لها حجمها الذي لا يمكن تجاهله وخطرها الذي يتعذر السكوت عليه. وحجمها ليس معلومــاً على وجه الدقة، إلا أن دراسة أجراها المركز الديموجرافي التابع لمعهد التخطيط القومي بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين تحدثت عن أن 99.3٪ من النساء المصريات تعرضن للتحرش. في التفاصيل، ذكرت الدراسة التي أعلنت في إبريل 2013، ما يلي: إن 88٪ تعرضن للمعاكسات الكلامية – 75٪ تعرضن للنظرات الفاحصة والنهمة لجسد المرأة – 70٪ تلقين معاكسات هاتفية – 63٪ تلقين إشارات محملة بالايحاءات الجنسية – 62٪ عانين من التتبع – 60٪ تعرضن للمس بأجسادهن.

---

[89] المصدر نفسه.

بيّنت الدراسة أيضــًا أن الطالبات هن الأكثر تعرضــًا للتحرش بنسبة 91٪ - يليهن العاملات بنسبة 66٪، ثم ربات البيوت 47٪ وأخيرًا السائحات 30٪. ومن الخلاصات التي انتهت إليها أن 95٪ من النساء لا يشعرن بالأمان في وسائل المواصلات، في حين أن 91٪ لا يشعرن بالأمان في الشارع[90].

ووثقت منظمات نسائية مصرية 500 حالة اعتداء جنسي جماعي واغتصاب جماعي منذ تنحي الرئيس المصري حسني مبارك عن الحكم في 11 فبراير 2011، وحتى يونيو 2014، وقالت في تقرير إن جميع الجناة أفلتوا من العقاب.

وأوضح التقرير أن "جرائم العنف الجنسي شملت اغتصابات جماعية واعتداءات جنسية جماعية بالآلات الحادة والأصابع، وطاولت الآلاف من النساء"، لافتــًا إلى أن "التصدي لهذه الظاهرة يحتاج إلى استراتيجية وطنية متكاملة لمكافحتها وتشريع قانوني شامل".

وأورد التقرير حالات بشعة لضحايا العنف الجنسي، موضحــًا أن "الجريمة تفشت في الثلاث سنوات ونصف السنة الماضية، ونتج عنها تداعيات مأساوية أدت في بعض الأحيان لجرائم قتل وجرائم اغتصاب جماعي وإعتداءات جنسية جماعية في المناطق التي تشهد ازدحامــًا وأجواء احتفالية، مثل ميدان التحرير ومناطق مختلفة".

---

[90] فهمي هويدي، تحرش، جريدة "الشروق"، القاهرة، 12 يونيو 2014.

والفارق بين هتك العرض والاغتصاب – وفق القانون المصري– ن الأخير لا يقع إلا من رجل على امرأة، ويكون من خلال مواقعتها، وتصل عقوبته إلى السجن المؤبد، ويعاقب الجاني بالإعدام إذا كان المجني عليها أقل من 18 عامـاً، أو كان للجاني سلطة على الضحية، سواء كانت أسرية أو وظيفية أو مدرسية، كأن يكون زوج الأم، أو يرأس الضحية في العمل، أما التعريف القانوني لهتك العرض فهو ملامسة أي جزء حساس من جسد المرأة، أو كشف عوراتها، وهذا الفعل يعد جناية عقوبتها السجن من 3 إلى 15 سنة[91].

أما التحرش الجنسي، فمعناه القانوني التعرض للغير في مكان عام أو خاص أو مطروق بإتيان أمور أو إيحاءات أو تلميحات جنسية أو إباحية، سواء بالإشارة أو بالقول أو بالفعل بأية وسيلة، بما في ذلك وسائل الاتصالات السلكية واللا سلكية، وهذه جنحة عقوبتها تبدأ من الحبس 6 أشهر إلى 5 سنوات.

استطاعت المنظمات النسوية "توثيق أكثر من 250 حالة وقعت بين نوفمبر 2012 ويناير 2014. يضاف إليها ما وقع أثناء الاحتفالات بفوز الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في 3 يونيو 2014 وبُث على الهواء مباشرة من قبل بعض قنوات التليفزيون أثناء نقل الاحتفالات. كما شهدت احتفالات 8 يونيو 2014 في ميدان التحرير بمناسبة حفل تنصيب السيسي اعتداءات جنسية جماعية واغتصابات

[91] مصطفى عيد، مصدر سابق.

جماعية وحشية، وتم توثيق تسع حالات مماثلة للاعتداءات والاغتصابات بالآلات الحادة والأصابع، والتي يسفر عنها عادة إصابات جسدية بالغة للناجيات"[92].

وفي زمن حُكم الإخوان، تعرضت عشرات الفتيات لاغتصاب ممنهج خلال تظاهرات معارضة للرئيس محمد مرسي. غير أن لجنة حقوق الإنسان بمجلس الشورى قلبت الآية وبدا كما لو أنها تحاكم الضحايا المجني عليهن، حين حمّل أعضاء في اللجنة الفتيات المشاركات في المظاهرات مسؤولية تعرضهن للتحرش والاغتصاب، ووصفوا ما يحدث داخل خيام المعتصمين في الميادين بـــ"الدعارة"، وطالبوا القوى السياسية غير القادرة على تأمين المظاهرات التي تدعو إليها بالتوقف عنها فورًا.

ورأى اللواء عبدالفتاح عثمان، نائب مدير الأمن العام، خلال الجلسة نفسها أن جزءًا من مسؤولية التحرش تتحمله الفتيات أنفسهن؛ لأن الأمر يرتبط بطريقة الملابس، مشيرًا إلى أن الشرطة لا تتحمل مسؤولية حالات التحرش في التحرير.

وقالت ميرفت عبيد، أمين سر اللجنة: "حالات التحرش والاغتصاب يتحمل مسؤوليتها جميع فئات المجتمع، بمن فيها الفتيات أنفسهن اللائي يجب أن يُعملن عقولهن قبل النزول لأي مكان

---

[92] التحرش الجنسي يكاد يطاول كل نساء مصر!، جريدة "الحياة"، لندن، 17 يونيو 2014.

لمتظاهر؛ لأن أغلب الموجودين بلطجية، والمناخ يكون خصبًا لعمليات التحرش".

وانتقد النائب عز الدين الكومى، وكيل اللجنة، عدم قدرة الداعين للتظاهرة على التأمين، مشيرًا إلى أنه تم رصد 24 حالة اغتصاب ممنهج بالتحرير.

ووجه اللواء عادل عفيفي، عضو اللجنة، النقد للمرأة، قائلًا: "اللي نازلة عارفة إنها وسط بلطجية وشوارعية، يجب أن تحمي نفسها قبل أن تطلب من الشرطة ذلك، وضابط الشرطة مش قادر يحمي نفسه، وفي بعض الأحيان تساهم الفتاة في اغتصابها بنسبة 100%؛ لأنها وضعت نفسها في هذه الظروف"، وهناك "منظمات ممولة من الخارج تفرض الفكر الغربي، واللي بيحصل في الخيام في بعض الميادين دعارة"[93].

هكذا بحسم يجري تحميل الضحية كل المسؤولية وتبرئة الجناة، وهذا منطق اعتدنا عليه منذ كارثة كشوف العذرية، التي اتهم فيها أفراد في الجيش أثناء فترة إدارة المجلس العسكري شؤون البلاد عقب تنحية مبارك عن الحُكم.

مجرد مصادفة تلك التي سمحت بتنظيم وقفة احتجاجية نسائية في

---

[93] محمد غريب، "حقوق الإنسان" بـ"الشورى": الفتيات يتحملن مسؤولية التحرش.. وما يحدث في الخيام "دعارة"، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 12 فبراير 2013.

ميدان طلعت حرب للتنديد بجريمة التحرش الجنسي، بعد يوم واحد فقط من المناقشة المخجلة للقضية نفسها في لجنة حقوق الإنسان بمجلس الشورى، فالوقفة المذكورة كانت قد تداعت لها ثلاث منظمات نسائية هي "بهية يا مصر" و"صوت المرأة المصرية" و"انتفاضة المرأة في العالم العربي" فور الانقضاض الإجرامي الممنهج على المشاركات في إحياء الذكرى الثانية لثورة يناير. ولأنه قد بلغ السيل الزبى ولم يعد في القوس منزع، فقد حشدت الجهات الداعية وكل المنظمات التي ساندتها تأييدًا مع الحركات النسائية في 35 دولة بينها 15 دولة عربية، بهدف فضح ازدواجية الخطاب السياسي للنظام الذي يتغنى بالمساواة واحترام حقوق الإنسان في المحافل الدولية بينما تداس بالأقدام كرامة المرأة المصرية ليس فقط أمام أعين المسؤولين لكن أيضــًا بتحريض مباشر منهم[94].

نساء مصر أثبتنّ امتلاكهن وعيــًا كافيــًا بأن كسر الصمت والحديث بقوة والتشخيص بدقة لهذه الجريمة هي السبيل للقضاء عليها، فهي جريمة ضد الإنسانية يُسأل عنها الحاكم طبقــًا للقانون الدولي، وجريمة هتك عرض باستخدام القوة تصل عقوبتها للسجن خمسة عشر عامــًا، والاغتصاب باستخدام السلاح تصل عقوبتها إلى الإعدام.

---

[94] د.نيفين مسعد، عندما تغضب نفرتيتي، جريدة "الشروق"، القاهرة، 14 فبراير 2013.

وأمام وعي النساء وقوقمن وقدرقمن على كشف الجريمة الهزمت آلة القمع، ولم تعد هذه الوسيلة ممكنة التطبيق؛ لذا عندما خرج الآلاف في مسيرة "الشارع لنا" لم تحدث جريمة اغتصاب أو هتك عرض أخرى أو حتى جريمة تحرش واحدة، وكذلك عندما خرجت مسيرات الكرامة مدويّة في كل محافظات مصر لم نتلق أي بلاغات، وكأن مصر عادت نظيفة مرة أخرى ليس بسبب تنظيم مجموعات حماية كما أعلن بعض قيادات "جبهة الإنقاذ"، بل لأن النساء رفضن أي شكل من أشكال الحماية أو عمل كردونات حولهن في المسيرات، ورفضن بإصرارهن محاولات دفنهن في العار الفكري لدى البعض[95].

خزي وعارٌ تفشى في عهدَي المجلس العسكري ومحمد مرسي، كلما أثيرت قضايا التحرش بالنساء في مصر، يبدأ بالجملة الخالدة "إيه اللي وداها هناك" ولا ينتهي عند "شوفوا كانت لابسة ايه"، وحتى المحجبات من النساء لا شفاعة لهم "كانت لابسة عباية بكباسين". وفكرة أن "الست هي السبب" تكشف عن طريقة غير إنسانية، ولا إسلامية، ولا تحمل حتى أي سمات للشهامة العربية، في التعامل مع ما يمس المرأة[96].

---

[95] نهاد أبو القمصان، كُشفت الجريمة.. وتبقى العدالة، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 15 فبراير 2013.

[96] عمرو خفاجي، فتحٌ تفتّحُ أبوابُ السَّماء لهُ، جريدة "الشروق"، القاهرة، 14 فبراير 2013.

لمثل تلك الجرائم ضد المرأة جذور أقدم.

يمكن أن تلمح طيف ذلك في فقرة أوردها المؤرخ والباحث ستانلي لين بول في كتابه "الحياة الاجتماعية في مصر: وصف للبلد وأهله"؛ حيث قال في سياق كلامه عن الاحتشاد والذهاب إلى مسجد الحسين في العاشر من المحرم: "ويجري التهامس بالفضائح عن بعض الرجال الذين يهبون هناك أساسًا من أجل لذة التدافع السريع وسط التجمعات الكثيفة من النساء"[97].

اقرأ معي أيضًا مذكرات شيخ الصحفيين حافظ محمود، في كتابه "المعارك في السياسة والصحافة"، وهو يحكي كشاهد عيان عن عمله مرشدًا ضد المتحرشين بالنساء المشاركات في ثورة 1919:

"كان إخوتنا الكبار قد لاحظوا أن بعض أشباه الطلبة الكبار يندسون في المظاهرات السلمية أحيانًا بقصد مغازلة الطالبات اللواتي بدأن يشتركن في المظاهرات والحركات العامة، فكوّنوا من بينهم شرطة أهلية لحماية الآداب، وعينونا -نحن الصغار- كفرقة إرشاد من أولئك المندسين.

وكانت شرطة الآداب الأهلية تقبض على المنحرفين أيَّ نوع من أنواع الانحراف، وتحاكمهم وتوقع عليهم الجزاءات".

---

[97] ستانلي لين بول، الحياة الاجتماعية في مصر: وصف للبلد وأهله، ترجمة: ماجد محمد فتحي أبكر، مراجعة: د.توفيق علي منصور، مكتبة الآداب، القاهرة، 2014، ص 62.

في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، انشغل الرأي العام المصري بقضية "فتاة المعادي"، وهي الفتاة غادة، التي اغتصبها عدد من العمال الذين لمحوا أثناء سيرهم ليلًا بعد انتهاء عملهم شابـًا وفتاة في وضع مثير للريبة داخل سيارة تقف على جانب الطريق الهادئ.. وهو الأمر الذي أثارهم جنسيـًا فاندفعوا نحوهما وشلوا حركة الشاب، قبل أن يتناوبوا على التهام جسد فتاة الحي الراقي ابنة السابعة عشرة.

بحثت الشرطة على الفور عن الجناة وتابعت الصحافة باهتمام مذهل وحُكم مسبق حشده له الرأي العام، فصدر الحكم على وجه السرعة ما بين الإعدام والسجن لمددٍ طويلة. وقبل أن ينسى الجمهور الحكاية، ظهر فيلم "المغتصبون" للمخرج سعيد مرزوق وبطولة ليلى علوي (عام 1989) ليحكي الواقعة من وجهة نظر المجني عليها.

بعد بضعة شهورٍ من الحادث المذكور، تكرر سيناريو مماثل في قضية "فتاة إمبابة" التي تناوب سبعة رجال على اغتصابها، بعد أن اعترضوا طريقها مع صديق زوجها وهما عائدان من مكتب أحد المحامين، واقتادوها عنوةً إلى "عشة". وبعد سقوط الجناة صدر الحُكم بالسجن لمدة سبع سنوات على كل منهم. حُكم مخفف في قضية تجرأت فيها صحف على النيل من سمعة المرأة الفقيرة فرددت أن الزوجة عشيقة صديق الزوج، وهو ما أنكره كل من الزوج والزوجة

والصديق.

وفي أوائل عام 1992 استيقظت مصر على قضية فتاة العتبة الشهيرة شاهيناز التي تعرضت لحادث هتك عرض ونزع ملابسها أثناء ركوبها مع والدها حافلة عامة "الأتوبيس رقم 17" المتجه إلى منطقة بولاق الدكرور بموقف أتوبيسات العتبة. واتهِمَ في القضية اثنان، أولهما عامل بسيط والثاني محاسب يُدعى جمال، يعاني شللًا في قدميه ولا يستطيع السير سوى بمساعدة جهاز حديدي يرتديه في قدميه.. وتمت محاكمتهما بتهمة اغتصاب أنثى في الطريق العام.

اهتز المجتمع المصري للحادث الذي وقع في مكان عام –إن صح القول إن ميدان العتبة مجرد مكان عام– وخلال أحد أيام شهر رمضان المبارك. وسرعان ما تحولت قضية الرأي العام إلى محاكمةٍ ضمنية وجارحة للفتاة المجني عليها، حتى إن إحدى الصحف سألتها: هل فقدت بكارتكِ؟.. وأشارت مجلة "روز اليوسف" إلى أن الفتاة لم تكن ترتدي وقت الحادث قطعة ملابس داخلية. ونشر مصطفى حسين وأحمد رجب في الصفحة الأخيرة من جريدة "الأخبار" رسمـًا كاريكاتوريـًا لسيدة عجوز تتصل هاتفيـًا ببوليس النجدة وتقول لهم: "بتقولوا إن فيه حوادث اغتصاب في ميدان العتبة.. أنتم كذابين.. أنا بقالي ثلاث ساعات واقفة في الميدان وما حصلش حاجة"!

أما داخل قاعة المحكمة فقد بدت المحاكمة كأنها خاصة بفتاة العتبة نفسها، وردد البعض سيناريوهات عدة تتحدث عن استجابة الفتاة لغزل ومداعبة أحد الركاب أثناء صعودها الحافلة، وأن ما حدث تم برضاها إلى أن وصل الراكب إلى نقطة اللاعودة.

لم يقصر الأمن في هذه الحملة التي نالت من سمعة الفتاة، حيث قال اللواء حلمي الفقي مدير مصلحة الأمن العام -آنذاك- إن الحادث عادي، واتهم الضحية بأنها هي التي شجعت الجاني على هتك عرضها وأنها تركته يفعل ما يشاء حتى وصل بيده إلى منطقة حساسة من دون أن تنهره أو تصرخ.

بعد نحو عامٍ من الواقعة، صدر الحُكم بتبرئة المتهمين في القضية، لتتوارى المجني عليها عن الأنظار بعد أن تركت مكتب المحاماة الذي كانت تعمل لديه.

وهكذا تتفاوت في مصر مقاييس العقاب على التحرش الجنسي والاغتصاب، وفقـاً للتقسيم الطبقي والتمييز العنصري والظروف الاقتصادية.

في 15 إبريل 1992 صدر قرار بتعديل مواد عقوبة هتك

العرض إلى الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة بدلًا من الأشغال الشاقة المؤقتة. ونص القانون على تنفيذ عقوبة الإعدام إذا ارتكب الجريمة أكثر من طرفين أحدهما حامل للسلاح.

إلا أن النار ظلت مشتعلة تحت الرماد.

في فبراير 2012 بدأت جريمة التحرش تأخذ منحى أكثر خطورة وعلانية وانتشارًا، بعد أن كانت لا تتعدى سابقـًا حوادث تحرش منفردة تنتهي بمشاجرة أو صمت من الضحية. وسط تظاهر المئات أمام وزارة الداخلية تضامنـًا مع ضحايا مجزرة استاد بورسعيد، جاءت شهادات متعددة لم تأخذ اهتمامـًا كافيـًا من الإعلام، كما لاقت تعتيمـًا مارسه بعض النشطاء باعتبار ذلك أمرًا مخلًا قد يشوّه صورة المتظاهرين.

وفي السبت 2 يونيو 2012، تعرضت ثلاث سيدات لاعتداء جنسي من مجموعة كبيرة من الرجال في شارع محمد محمود، كن ضمن المتظاهرات في ميدان التحرير والشوارع المحيطة به منذ اندلاع موجة الاحتجاجات الأخيرة في أعقاب إعلان الحُكم في قضية مبارك، يوم السبت الثاني من يونيو 2012.

تكررت حادثة التحرش الجماعي في يوم الجمعة 8 يونيو 2012، أثناء وقفة احتجاجية ضد التحرش والاعتداء الجنسي الذي وقع يوم 2 يونيو، بميدان التحرير، وفيه جرى التحرش الجنسي من قبل العشرات من الرجال بمجموعة من النساء في كل أنحاء أجسادهن، ووصل الاعتداء إلى حد تمزيق ملابس إحداهن.

وفي 23 نوفمبر 2012، كانت نقطة البداية لاستخدام العنف الشديد الذي وصل للطعن بأسلحة بيضاء في أماكن حساسة، وهو ما اعتبره مراقبون ومهتمون بالشأن العام" اغتصابـــاً جماعيـــاً "وليس" تحرشـــاً جماعيـــاً"، لتبدأ بعدها سلسلة من حوادث الاغتصاب وهتك العرض. نظم بعض النشطاء مليونية اعتراضـــاً على الإعلان الدستوري للرئيس المعزول محمد مرسي، وفي السادسة من مساء الجمعة 23 نوفمبر "مليونية لا للإعلان الدستوري" بدأت حفلات التحرش والاغتصاب الجماعي في تقاطعات ميدانَي التحرير وسيمون بوليفار وشارع محمد محمود، حينما وقعت فتاتان وسط مئات من المتحرشين الذين تمكنوا من تجريهما من الملابس وانتهكوا حُرمة جسديهما. ووصل الأمر إلى حد وضع إحدى السيدات عارية على مقدمة سيارة وطافوا بها في مناطق وسط القاهرة، إلى أن وصلوا بها حي عابدين، حيث سيقيمون حفل الاغتصاب الجماعي. ولم ينقذها من أيديهم إلا مجموعة من أهل الحي نجحوا في تهريبها، لتصل إلى منزل صديقتها التي واجهت نفس المصير تقريبـــاً قبل أن تخرج من شارع محمد محمود.

في 25 يناير 2013 رصد النشطاء 20 حالة اعتداء ضد نساء في المظاهرات في ساحة ميدان التحرير والشوارع المحيطة به، وكانت إحدى هذه الحالات اغتصاب فتاة عمرها 19 سنة تحت تهديد مطواة. وقال نشطاء إن هذه الاعتداءات منظمة من قبل المعارضين للتظاهرات الذين

يهدفون إلى جعل الاحتجاجات تبدو على أنها أقل تمثيلًا لشرائح المجتمع من خلال إزاحة النساء من المشهد.

في 19 نوفمبر 2013 ومع الذكرى الثانية لأحداث محمد محمود، كان المشهد أقل حدة، لكنه لم يخل من حالات التحرش وسماع صراخ فتيات بعد تعرضهن للتحرش الجماعي بميدان التحرير.

وفي 25 يناير 2014 تداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي مشهدين لحالتين مختلفتين من التحرش الجماعي؛ الأول يتضمن مقطع فيديو يظهر مجموعة من الشباب المصريين وهم يحاولون إخراج سيدة من وسط الحشود، نتيجة تعرّضها لتحرش جنسي، خلال الاحتفال بالذكرى الثالثة للثورة في ميدان التحرير.

تضمن المشهد الثاني مجموعة من الفتيات يتعرّضن لشد ملابسهن وحجابهن أثناء توقيفهن من قبل السلطات الأمنية خلال مسيرة احتجاجية لمؤيدي مرسي.

ويظهر الفيديو احتجاز مجموعة من الفتيات في مداخل أحد المحال التجارية التي يحميها جندي يرتدى ملابس عسكرية، ويحاول بعض المتجمهرين أمام المحل الاعتداء على الفتيات أثناء خروجهن من المحل، وذلك بسبهن وجذب ملابسهن، بينما يقوم آخرون بالتحرش الجنسي بهن قبل ركوبهن إحدى الحافلات التابعة للشرطة.

في زمن لاحق، بالتحديد في 7 مارس 2014، شاهدنا واقعة تحرش على الهواء. الوقاحة المختلطة بالصفاقة هي التي مكّنت بعض الذكور من ارتكاب جريمة التحرش الجنسي والاعتداء على آية جمال، مراسلة قناة "الحياة"، أثناء تغطيتها لتظاهرات واشتباكات في منطقة الألف مسكن في القاهرة، ومكنت آخرين من الترويج التفاخري المريض للفعلة الإجرامية.

وفي 16 مارس 2014، رصدت مبادرة "شُفت تحرش" واقعة تحرش جنسي جماعي بإحدى الفتيات داخل حرم جامعة القاهرة، وفي محيط كلية الحقوق تحديدًا.

تعرضت الفتاة لأشكال مختلفة من التحرش الجنسي بداية من الألفاظ الخادشة للحياء ولمس الجسد عنوة وصولًا إلى محاولات تجريدها من ملابسها، الأمر الذي دفع بالفتاة إلى الهرولة داخل دورات المياه المخصصة للنساء والاختباء داخلها، ولم تنتهِ الواقعة إلا بتدخل أمن الجامعة الذين اصطحبوها خارج الحرم، وسط استمرار تجمهر الطلاب حولها والصياح بالعبارات الجنسية وتصوير الفتاة والتعدي عليها.

انتقادات واسعة نالتها التصريحات الصادرة عن رئيس جامعة القاهرة د.جابر نصار لأحد البرامج الفضائية، تعليقــًا على واقعة التحرش، والتي قال فيها إن الجامعة ستحقق في الواقعة مع الفتاة

والمتحرشين للوقوف على حقيقة المذنب. وأعرب المجلس القومي للمرأة عن استيائه الشديد بسبب الواقعة التي حدثت داخل الحرم الجامعي، وتبرير نصار ذلك بعدم ارتداء الفتاة ملابس غير محتشمة[98].

اضطُر مقدم البرامج تامر أمين ورئيس الجامعة د.جابر نصار إلى تقديم اعتذار عن ردود فعلهما الأولية التي انطوت (بدرجات مختلفة) على تبرير الواقعة بسبب ملابس الفتاة. غير أننا إذا قرأنا ما حكمت به المحكمة الدستورية حين أفتت بأن المرأة "يتعين أن يكون مظهرها منبئـًا عن عفافها (...) ويكون نائيـًا بها عن الابتذال، فلا يقتحمها رجال استمالتهم إليها بمظاهر جسدها، مما يقودها إلى الإثم انحرافـًا، وينال من قدرها ومكانتها" (المحكمة الدستورية، القضية رقم 8 لسنة 17 قضائية) نجد أن القانون (والدستور) والمحاكم لديهم أيضـًا فكرة محددة عن صورة المرأة تجعل في انحرافها عن تلك الصورة مبررًا للتحرش.

ففي عام 2012، تحدثت الصحف عن أنه في القاهرة وحدها حررت الشرطة ما بين 700 إلى ألف محضر لحالات التحرش خلال أيام عيد الأضحى المبارك، ومعلومات الصحف هي التي أشارت إلى الفئات العمرية للمشاركين الذين تبين أن ثلثهم من هؤلاء الصبية

---

[98] محمد كامل وخالد الشامي وكمال مراد، "القومي للمرأة" ينتقد تصريحات "نصار".. ورئيس الجامعة: التحرش لفظي، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 19 مارس 2014.

والفتيان الصغار، في حين أن أغلبية الباقين ممن يقلون في العمر عن 30 سنة.

وفي فبراير 2014، طالبت مؤسسة "نظرة" للدراسات النسوية، اللجنة القومية المستقلة لجمع المعلومات والأدلة وتقصي الحقائق في الأحداث التي واكبت ثورة 30 يونيو، بإنشاء لجنة فرعية مختصة بوقائع العنف الجنسي.

وشددت المؤسسة على ضرورة التحقيق في وقائع محددة تأثرت فيها النساء بصفة خاصة، وتضم هذه الوقائع، أحداث 30 يونيو (شهدت 174 حالة اعتداء جنسي جماعي من بينها حالات اغتصاب في الفترة ما بين 30 يونيو إلى 7 يوليو)، وأحداث مسجد الفتح والتوحيد (أغسطس 2013)، وأحداث جامعتَي القاهرة والأزهر التي بدأت في سبتمبر 2013، وأحداث مجلس الشورى (26 نوفمبر 2013)، وأحداث الذكرى الثالثة لثورة 25 يناير[99].

ظاهرة التحرش الجنسي في المجتمع المصري لقيت اهتماماً سياسياً من جانب قوى خارجية وجدت الفرصة سانحة لاستغلالها بما يتناسب مع أغراضها ومراميها. هكذا وجد معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط الفرصة مواتية للدخول في نقاش حاد مع

---

[99] وائل علي، مؤسسة حقوقية تطالب تقصي حقائق 30 يونيو بإنشاء لجنة للعنف الجنسي، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 4 فبراير 2014.

اثنين من اعضاء التيار السلفي المصري تناول هذه الظاهرة، وكانت فرصة نادرة للحديث عن استفحال هذه المشكلة وعن الوقوع "في خطأ الاعتقاد بأن الصور المكشوفة التي يتيحها الإعلام (الغربي) عن المرأة أو الإباحية الصريحة بدلًا من التركيز على أسباب اجتماعية وثقافية متنوعة... والقول بأن الحجاب أو الرداء الإسلامي المحتشم للمرأة هو ما يحمي المرأة من أي اعتداء بالحؤول دون الاعتداء الشهواني من الذكور. لكن هذا الحجاب أو الرداء لا يؤدي هذه الوظيفة بالشكل الكافي. فالمحجبات -كما يؤكد متحدثون آخرون- يتعرضن كثيرًا للتحرش والمضايقات. وعلى نفس الدرجة من الخطأ أيضـًا التلميح بأن النساء اللاتي يرتدين بغير احتشام هن مسؤولات نوعـًا ما عن التحريض على الاعتداء عليهن".

وجد المعهد المذكور فرصة لا تتاح عادةً للرد على الاعتقاد السلفي بأن من المباح للبنت أن تتزوج في سن التاسعة أو العاشرة. كما اهتم معهد واشنطن بالرد على ما ورد في جزء من المسودة الأولية للدستور التي صاغتها الجمعية التأسيسية والذي ينص على "أن مساواة المرأة خاضعة لأحكام الشريعة"، معتبرًا أن "مثل هذا الفعل سوف يقلل من حق المرأة في المساواة؛ لأنه يجعلها بالشريعة أنقص في كثير من المجالات المهمة مثل الزواج والطلاق والميراث والشهادة في المحكمة والحضانة وغير ذلك. ويمكن أن يعني ذلك أيضـًا طبقـًا

للتفسيرات السلفية السائدة ضرب الزوجة وفرض الحجاب واشتراط موافقة الزوج على سفر المرأة أو حتى أن تترك البيت، والفصل بين الجنسين وعدة أشكال أخرى من التمييز تصير فيما بعد هي قانون البلاد".

ويضيف معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط أنه "في مثل هذا الجو القمعي يمكن أن يتوقع المرء بشكل طبيعي أن يسوء التحرش بالمرأة أكثر وأكثر في العلن.. إن لدى المجتمعات المسلمة كل الحق في أن تجد بنفسها لنفسها الحل". ويصف المعهد قول أحد الناطقين بلسان التيار السلفي في المناقشة الدائرة بينه وبيّن هذا المعهد بأن "62 بالمائة من الرجال المصريين يعترفون بتحرشهم بالنساء على الأقل مرة في الأسبوع هو قول معقول ومزعج في ذات الوقت. ومع ذلك، فإن المزعج أيضاً هو أن هذا العلاج الذي صرح به للمشكلة يعتمد على حرية في السلوك والتعبير أقل لا أكثر. والذي غاب بشكل واضح عن مقالته هو أي ذكر للمساواة الكاملة أو تمكين المرأة المصرية من القيام بدورها كاملًا"[100].

تحليل يشبه نصل سكين، لكننا نحن الذين عرّينا أجسادنا كما لو أننا نتهيأ للطعنة.

[100] سمير كرم، التحرش الجنسي قضية سياسية، جريدة "الشروق"، القاهرة، 14 نوفمبر 2012.

السُّعَار: حرُّ النار؛ شبَّ الحريقُ وسرعان ما اشتد سُعَارُه. ـ: شِدّة الجوع؛ دَفَعَهُ السُّعار إلى التّسوّل. ـ : التهاب العطش؛ صامت جدّتي أحدَ أيّام القيظ فأحسّت بالسُّعار. ـ : الجنون؛ عاوده السُّعار فأُدخِلَ مستشفى الأمراضِ العصبية.

ثورة العشوائيات المعمارية والأخلاقية على المدينة التي تُحتضر، هو أقوى علامة على تحلل الدولة أو تفككها، أو عدم قدرتها على السيطرة على ثورة رعاع قادمة من المحرومين من أبسط حقوقهم، وتحاول إشباع الملذات البعيدة عن متناول اليد بالقنص أو الاستيلاء. وطبعــاً أسهل فريسة هو جسد المرأة[101].

اتسع الخرق على الراتق.. وها هي "تيتانيك" المجتمع تصارع الأمواج حتى لا تغرق، بعد أن اهتم القبطان هذه المرة بسلامته الشخصية قبل أن يحرص على حماية الركاب الذين يتحمل مسؤوليتهم.

وساعة الغرق يظهر أسوأ ما في البشر من أنانية وعدوانية وهمجية وسعار مخيف.. ويرفع الناس شعار: أنا.. ومن بعدي الطوفان.

والطوفان آتٍ.

---

[101] وائل عبدالفتاح، حكايات القاهرة: (3) حفلات التحرش، جريدة "السفير"، بيروت، 17 أغسطس 2013.

زلزال الجسد العاري

بعض العري فضيحة، لكن بعضه الآخر شهرة. قسم ثالث منه رسائل بعلم الوصول.

الممثلة الأميركية شارون ستون، بطلة فيلم "غريزة أساسية" قررت أن تتعرى في السابعة والخمسين. أثبتت هذه الشقراء أنه لا يزال عند الممثلة الأميركية ما تقوله بجسدها عبر الكشف عن مفاتنها، بلا ارتباك أو حرج. العدد الجديد من مجلة "هاربرز بازار" الشهرية، حيث أطلت بكليشيهات التُقطت بالأسود والأبيض البديعين (تصوير مارك أبراهامز)، بما يؤكد أنها المرأة التي لم يفترس الزمن طموحها ولم يشلّ عصبها ذاك العارض الصحي الذي ألّم بها قبل سنوات وأحدث خللًا في دماغها.

لم يكن التعري يومـــاً مشكلة عند الممثلات في القارتين الأميركية والأوروبية، إن أمام الشاشة أو خلفها، بقدر ما مثّل هاجســـاً عند السلطات ذات الطابع الرقابي. منذ أودريه مانسون؛ الممثلة الأولى التي ظهرت برداء حواء في فيلم أميركي مطلع القرن العشرين، هناك لعبة قطّ وفأر بين مَن يمجّد الجمال الانثوي صورًا وأفلامـــاً وفنـــاً تشكيليـــاً ونحتـــاً، ومَن يقيسه بالسنتيمترات، ثم يشرعنه ويفرض علّيه السلاسل المعدنية.

هذا التعري ميّال إلى التحدي؛ تحدي تلك الأجساد العشرينية التي تأكلها الميديا لحمـــاً وترميها عظامـــاً فور دخولها الأربعين. تتعرى ستون؛ لأنها تريد أن تقول إن امرأة في مثل سنّها، تبعث على الحلم أيضـــاً. عديدة هي نماذج إهمال هوليوود للممثلات اللواتي تجاوزن الخمسين من العمر. عندما تطعن الممثلة في السنّ ويذوب الجمال وتدخل "حيز الخطر"، تصبح مطالَبة بأمرين: إما الموهبة وإما الموهبة الفائقة.

تعرّي شارون ستون هو من طراز خاص. إنه ذو مصادر متعددة: أولًا، محاولتها هذه تتولّد من الرغبة في ربط زمنين، الحاضر والتسعينات (يوم أطلّت علينا في "غريزة أساسية" لبول فرهوفن – 1992).

ما كان جرأة في السابق، ليس اليوم أكثر من تسليع أو بيزنس، وهو غدًا شيء آخر. تعري ستون هو محاولة للقفز من معنى الى معنى، والعبور من المكانة التي وفّرتها لها الأفلام، إلى مكانة أخرى: الصورة الجامدة. يكمن الخطر في أن تخرج ستون من المعنى إلى اللامعنى، في عالم كلّ شيء فيه بات يحتاج الى مسوّغات وتفويض واعتراف كي يكون موجودًا. أميركيـــًا، البقاء داخل الكادر هو الغريزة الأقوى، وربما الغريزة الأساسية.

قبل شارون ستون، كانت نجمة تليفزيون الواقع كيم كارداشيان ترد على اتهامها بادعائها الحمل، بنشر صورتها عاريةً بشكل كامل.

شاركت كيم جمهورها صورتها عبر حسابها على موقع "انستغرام"، مضيفة إليها ردًا قاسيـــًا قالت فيه: "قالوا في البدء أني نحيفة جدًا لأن أكون حبلى؛ لذا لا بد أني زورت الصورة... والآن يقولون إني ضخمة جدًا لذلك هناك تزوير... على كل حال، أنا ممتنة لله على هذه المعجزة والنعمة، بغض النظر عن الشائعات أو التعليقات التي ترمى في طريقي، إنها حقـــًا لن تؤثر بي هذه المرة!".

في وقت كانت مواثيق الشرف المتعلقة بالتزام الأخلاقيات رائجة في هوليوود، وافقت الأيقونة مارلين مونرو على القيام بجلسة تصوير وهي عارية في استوديو المصور توم كيلي في ٢٧ مايو ١٩٤٩. لم يكن نشر هذه الصور أمام الجمهور بالأمر السهل؛ لذا بقيت سرية لفترة،

ونشرت صحيفة "الغارديان" واحدة منها مسلطة الضوء على واحدة من أكثر النساء اللواتي أثارت حياتهن كما مماتهن الجدل.

في عدد يونيو 2012، نشرت مجلة "فانيتي فير" صورًا عارية لمارلين مونرو. وكشفت المجلة عن سر حصول مارلين على مبلغ 25 ألف دولار مقابل كل صورة عارية؛ إذ قالت مونرو للمصور شيلر عندما وافق صاحب إمبراطورية "بلاي بوي" هيو هفنر على دفع 25 ألف دولار للصورة العارية الواحدة "إنها استحقت كل بنس".

وقالت وهي تضحك: "ليس هناك شخص يبدو مثلي بدون ملابس"!

الأمر لا يقتصر على الفنانات.

صور الحسناء ميلانيا ترامب العارية ظهرت في يناير 2000 على غلاف مجلة الشباب GQ، وعلى صفحاتها الداخلية. المثير أن تلك الصور المثيرة التقطت لها على متن طائرة الملياردير الأميركي دونالد ترامب الخاصة "بوينغ 727"، وبدت فيها وهي تضع القيود والأغلال في يديها، وتتلألأ بقطع الألماس، وتمسك بمسدس مطلي بمعدن الكروم.

وبعد 15 عامـــًا، عاد الحديث عن تلك الصور الساخنة، أثناء حملة دونالد ترامب للفوز بترشيح الحزب الجمهوري لخوض انتخابات الرئاسة الأميركية.

في حديث أدلت به لأيقونة محطات التليفزيون الأميركية باربرا وولترز، قالت ميلانيا: "أعتقد أن الناس دائمـاً تحكم علي.. كنت عارضة أزياء ناجحة والتقطت لي بعض الصور التي خاطرت بها، لكن ليس فيها أي شيء اكثر مما نراه كل عام في مجلة Sports Illustrated".

ميلانيا ترامب، عارضة الأزياء السابقة، هي الزوجة الثالثة لرجل الأعمال والمطور العقاري دونالد ترامب، الذي اقتحم المشهد السياسي الأميركي بتصريحات انتخابية وآراء سياسية بدت في معظمها عنصرية ومعادية للمهاجرين والمسلمين. صحيح أن ميلانيا (من مواليد 26 إبريل 1970)، لم تبرز خلال حملة زوجها الانتخابية المثيرة للجدل، لكنها كانت قبل سنوات ذائعة الصيت بين مجتمع المراهقين بالولايات المتحدة، لاسيما بسبب قوامها الفاتن وصورها الجريئة إلى حد التعري.

تقدم نفسها بصفتها "القوة الهادئة" لزوجها، أما مظهرها، فهو ابن عصره: وجه من شمع، الشفاه والذقن والخدود مصنوعة بإتقان شديد، وجسم لم يفارقه، أيضـاً، مبضع جراح التجميل، خصوصـاً صدرها. فهي تعرضه على "انستغرام"، في أوضاع شبه بورنوغرافية، بعد أن تغطّيه بأوراق توت ضئيلة، تكاد لا تخرج عن معايير "الحرارة" الجنسية التي دأبت نجمات الفيديو كليب وتليفزيون الواقع على

ترويجها عن أنفسهن.

هكذا يحب ترامب النساء. ما عدا ذلك، فإن جميع النساء، هدفٌ للشتيمة، من نوع أهن "خنزيرات سمينات، كلبات، حيوانات مقرفة... لا ينفعن لشيء". وهذا غيض من فيض، من هجماته على النساء؛ من أشهر ضحاياه، هيلاري كلينتون، التي قال عنها "إذا كانت لا تستطيع إشباع رغبات زوجها، ما الذي يجعلها تعتقد بأنها قادرة على إشباع أميركا؟". أو الصحافية ميغان كيلي، التي أحرجته بسؤال عن تجريحه بالنساء، فانكبّ على وصف دمائها: "كان يمكن أن ترى الدماء تخرج من عينيها، تخرج من... أينما كان"، في إيحاء جنسي فج.

بعد فترة من إبقاء زوجته الثالثة بعيدًا عن الأضواء، أصبحت ميلانيا ترامب إلى جانبه في حملته الانتخابية، وأصبحنا نسمعها تتكلم أكثر من أي وقت مضى.

اللافت أن الزوجة المثيرة لترامب معروفة في محيطها بأنها "خجولة". وتقول عنها إيفانا الزوجة الأولى لدونالد ترامب: "إنها غير قادرة على الحديث أمام الناس، أو إلقاء كلمة مثلًا، ولا تحضر المناسبات، ولا تريد أن تكون ضالعة في ذلك". تقصد في حملة زوجها الانتخابية.

هذا الكلام استدعى الرد من قبل ميلانيا التي أرادت ألا تظهر أمام الجمهور الأميركي كمن تتخلى عن زوجها، فقالت "أدعم زوجي بشدة، لكن لدينا طفل (بارون) عمره 9 سنوات وأنا منشغلة بتربيته، لأنه في سن يحتاج لأحد الوالدين في المترل".

في عام 2015، أخبرت المحاور التليفزيوني لاري كينغ أنها تعتبر نفسها على قدم المساواة مع زوجها. خلال هذه المقابلة مع ميلانيا ترامب، لم يتم التطرق إلى السياسة: "لست مستعدة بعد للخوض في السياسة. إنه عمله وأنا أدعمه".

تعرفت ميلانيا، السلوفينية الأصل، إلى زوجها في سبتمبر 1998 خلال حفل أسبوع الأزياء في نيويورك، بعد وقت قصير من انفصاله عن زوجته الثانية مارلا مايلز، عندما كان عمره 52 عامـــاً، في حين كانت ميلانيا في الـــ28 من عمرها.

في سبتمبر 2015 تحدثت إلى مجلة "بيبول"، لتحكي كيف التقت دونالد ترامب لأول مرة، ورفضت أن تعطيه رقمها رغم أنها اعتقدت أنه كان متألقـــاً فعلًا. عن هذا اللقاء، قالت: "كان يعجبني كثيرًا، لكنه وصل بصحبة فتاة. وكان ساحرًا، صاحب ذكاء وطاقة كبيرين، حصل بيننا انجذاب منذ البداية".

تزوج ترامب الجميلة ميلانيا في 22 يناير 2005، في حفل ما

زال مضرب الأمثال في البذخ؛ إذ قدر ثمن فستان العروس الذي صممه جون غاليانو من دار أزياء كريستيان ديور بنحو 200 ألف دولار، أما خاتم الزواج فكان عبارة عن فص من الألماس يزن ٢٥ قيراطـــاً بلغ ثمنه وقتها بـــ ١.٥ مليون دولار.

المعروف أن ميلانيا درست الهندسة المعمارية، وهي التي أشرفت على تجديد ديكورات الفيلا التي تعيش فيها مع زوجها ترامب، وهي عبارة عن آخر ثلاثة أدوار في أحد الأبراج التي يمتلكها، ويصل ارتفاعه إلى ٦٨ دورًا ويقع في مانهاتن بنيويورك على مساحة ٨٤٣ فدانـــاً، أما الفيلا فتبلغ مساحتها ٤٦٤٥ مترًا مربعـــاً وتحتوي على ثلاثة حمامات سباحة. قطع الأثاث كلها بالذهب عيار ٢١ وعلى طراز الملك لويس الرابع عشر، وتقدر ثروة ترامب بـــ١٠ مليارات دولار، وهي عبارة عن إمبراطورية عقارية من الأبراج السكنية التي تمتد ما بين مانهاتن إلى بالم بيتش.

وبينما تؤكد ميلانيا ارتباطها بقصة حُبٍّ ساخنة مع زوجها الملياردير، يرى كثيرون أنها تزوجت أمواله.

وبالطبع سألها الكثيرون في السابق فأجابت :"لا يمكنك أن تبقى مع شخص لا تحبه.. إذ إنك لا يمكن أن تحتضن شقة جميلة أو طائرة".

رغم الخجل المنسوب لها، فإن ميلانيا حلت في الماضي ضيفة على أحد البرامج الإذاعية وتحدثت باستفاضة عن حياتها الجنسية مع

وجها العجوز، وقالت: "نمارس الجنس المذهل مرة يوميـــاً على الأقل، وأحيانـــاً أكثر".

ويقول مقربون من ترامب إنه لا يكف عن التفاخر بحياته الجنسية أمامهم.

بدأت ميلانيا حياتها العملية كعارضة أزياء وهي في السادسة عشرة من عمرها -تمامـــاً على خطى أمها أماليا- في محاولة للخروج من حياتها الفقيرة في كنف أسرة بسيطة، وتنقلت بين باريس ولندن وميلانو واستطاعت تحقيق النجاح في هذا المجال، قبل أن تنتقل إلى نيويورك في عام 1996. وقد شغلت سابقـــاً أغلفة مجلات "فوغ" و"هاربرز بازار" و"فانيتي فير" و"إيل" و"غلامور"، وباعت مجموعة خاصة بها من المجوهرات عبر QVC وأصبح اسمها علامة تجارية.

نالت ميلانيا كناوس-وهذا هو اسمها الأصلي- الجنسية الأميركية في عام 2006. وحين سألتها مجلة "بيبول" عن كونها أصبحت مواطنة أميركية، كان جوابها "لم يمر ببالي أبدًا أن أبقى هنا فقط، أعتقد أن على الناس الالتزام بالقانون".

قبل ميلانيا، شهدت الولايات المتحدة لمرةٍ يتيمة سيدة أولى من أصول أجنبية، وذلك عام 1825، حين تزوجت الإنجليزية المولد لويزا من جون كوينسي آدمز.

غير أن ميلانيا ترامب ليست أول شخصية عامة تتجرد من ملابسها علنـــاً، فقد فعلتها من قبل نائبات ووزيرات وزوجات رؤساء حكومات وزعماء أحزاب، ونجمات التليفزيون والسينما والأزياء من بلادٍ تمتد من الولايات المتحدة إلى الصومال.

في مطلع الألفية الثالثة، تجردت وزيرة البيئة الفنلندية ساتو هاسي من ملابسها، فقامت الدنيا ولم تقعد بسبب الصور العارية للوزيرة التي نشرتها صحيفة "هلسينجين ساتومات" التي تصدر في العاصمة هلسنكي.

صور الوزيرة التي نشرت مع موضوع كبير تحت عنوان "الروح والجسد" أثارت ردود فعل سلبية في المجتمع الفنلندي، حتى إن نائبة رئيس مجلس الوزراء سيركا ليسا أنتيلا قالت إن الوزيرة تخطت حدود الأخلاق السياسية بفعلتها هذه، فصورها العارية يمكن أن تطغى على المسائل السياسية.

ساتو هاسي أكدت في تصريحات صحفية أن ما فعلته لا يستحق هذه الضجة، وأن هذه الصور العارية لا تعني الإباحية لأنها تحاول في النهاية نصرة القضايا البيئية بالطرق التي تراها مناسبة.

وحين أراد محامو الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون النيل من

لموظفة باولا جونز التي أقامت ضد كلينتون دعوى تحرش جنسي، لم يجدوا أفضل من صور عارية التُقطت لها لكي ينشروها ويوزعوها لتأكيد استهتار تلك الموظفة، التي نجحت في النهاية في الحصول على مليوني دولار من كلينتون مقابل تسوية القضية وإغلاق فمها.

النائبة الإيطالية السابقة شيشولينا عارضة البورنو الشهيرة نجحت في الوصول إلى البرلمان بفضل الكشف عن كنوزها الطبيعية أمام أبناء دائرتها الانتخابية في استعراض مثير وهي ترفع شعارًا له مغزاه "مارسوا الحب.. لا الحروب"!

وفغر كثيرون أفواههم حين شاهدوا نجمة السينما ديمي مور عارية على غلاف إحدى المجلات وهي حامل في شهرها التاسع، وعلى الغلاف جملة تقول: "مزيد من ديمي مور"، لكن ديمي قالت إن زوجها آنذاك بروس ويليس لم يبد اعتراضه على ظهورها عارية وهي حامل في صورة غلاف أرادت بها تأكيد أن الأنوثة لا تذوي خلال شهور الحمل.

وسجلت زوجة توماس بورر، السفير السويسري في برلين سابقة في الحياة الدبلوماسية، حين نشرت صحيفة "ماكس" الشعبية الألمانية في مايو 2001 صورًا لها، وهي شبه عارية، وكانت الصحافة الألمانية تعرف الأميركية شاون فيلدنغ بأنها "ملكة الليل في برلين"، وتحت عنوان "راعية البقر في الألب" نشرت لها "ماكس" صورًا بملابس

فاضحة لرعاة البقر، وأخرى بملابس شفافة قرب علم السفارة السويسرية، وثالثة في وضع مثير على مبنى يبعد أمتارًا قليلة عن مقر المستشار الألماني – حينذاك- غيرهارد شرودر.

وكتبت صحيفة "بيلد" تعليقـــاً على هذه الصور يقول: "انظر أيها المستشار، هذه جارتك الجديدة".

وإذا كانت فيلدنغ، وهي ملكة جمال سابقة في ولاية تكساس الأميركية، قد اعتبرت الصور التي التُقطت لها فنية ولا تثير مفاجآت، فإن الانفصال وقع بين الزوجين في عام 2010، بعد سلسلة من الصور الفاضحة والتصرفات المحرجة التي تسببت فيها زوجة الدبلوماسي السويسري.

سارة فيرجسون، زوجة الأمير أندرو ابن ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، فوجئت بصورها على صفحات جريدة "ديلي ميرور" في أغسطس 1992 وهي عارية الصدر في مشاهد مثيرة مع المدير المالي الأميركي جون بريان قرب حمام سباحة، في حين باعت الصحف الشعبية البريطانية ملايين النسخ من هذه الصور الفاضحة على صدر صفحاتها الأولى، ليقرر أندرو في النهاية انفصاله عن سارة في مايو 1996.

وعندما أعلن أندرياس باباندريو (المولود عام 1919) أمام عدسات المصورين حبه الكبير لعشيقته ديميترا لياني (من مواليد عام

1959)، ثارت ثائرة الشعب اليوناني، وذهبت إحدى المجلات إلى أبعد من ذلك، فنشرت صورًا تبدو فيها ديميترا عارية الصور وأرفقت بها تعليقـًا ساخرًا: "هذان هما سبب سعادة رئيس حكومتنا". وتضمنت حملة التشهير جملة من النكات البذيئة حول ماضي حبيبة رئيس الوزراء اليوناني عندما كانت مضيفة في شركة الخطوط الجوية اليونانية "أوليمبيك إيرويز"، ولعل أكثر تلك النكات طرافة وتهكُّمـًا تقول: "إن سجل ديميترا الجوي حافل بالمغامرات، فهي لم تترك طيارًا في الشركة باستثناء الطيارين الآليين".

ومع ذلك، فإن باباندريو جعل من ديميترا زوجته الثالثة في العام التالي (1989)، وظلت معه حتى وفاته عام 1996.

وحين غضبت زوجة جان ماري لوبن زعيم الجبهة الوطنية اليميني المتطرف في فرنسا من حكايات غراميات زوجها ذي العين الواحدة، قررت إهانته على طريقتها الخاصة، فتجردت من ملابسها وظهرت عارية تمسح البلاط أمام عدسات مصور مجلة "بلاي بوي".

صورة عارية منحت عارضة الأزياء السوبر، إيمان، فرصة لكي تهرب من ظروفها المادية الصعبة في الصومال إلى مانهاتن في الولايات المتحدة، فقد التقت بطريق الصدفة المصور المحترف الموهوب بيتر بيرد في أحد شوارع العاصمة الكينية نيروبي عندما كانت تلميذة علوم سياسية، ووافقت على الوقوف أمامه عارية ليصورها بكاميرته

السحرية، وأرسل صورها إلى وكالة ويلهملينا للأزياء في نيويورك، وسرعان ما تمكنت من الهرب من زوجها باستخدام أوراق مزيفة، إلى أن حطت رحالها في مانهاتن عام 1975 في ترتيبات تمت بالتواطؤ بينها وبين وكيل وكالة ويلهملينا للأزياء.

ولم تجد عارضة الأزياء السوبر كلوديا شيفر أي غضاضة في التقاط مجلة فرنسية صورها وهي عارية الصدر مع أحد أصدقائها على شاطئ البحر، بعد أن كتبت المجلة تعليقـًا رئيسيًّا يقول: "حين لا ترتدي كلوديا سوى جمالها"!

وعندما رأى وزير الحرب البريطاني جون بروفيومو راقصة الملاهي الليلية كريستين كيلر تسبح عارية في حمام سباحة في فيلا على نهر التيمس يؤمّها كبار رجال السياسة والمجتمع وقع في غرامها على الفور، ومن النظرة الأولى، وتطور الأمر إلى علاقة ساخنة حتى في فراش الزوجية في منزل بروفيومو في ريجنت بارك، إلى أن تبين أن كريستين على علاقة جنسية في الوقت نفسه بيوجين إيفانوف، الملحق البحري العسكري في السفارة السوفييتية في لندن. أجهضت الفضيحة المستقبل السياسي لبروفيومو، بعد أن حاول ستر القصة بالأكاذيب في عام 1963 أمام مجلس العموم البريطاني بشأن علاقته بفتاة الليل الجميلة.

إنها صور تظهر فيها خفايا الجسد وتتكشف أسرار الأنوثة، ليبدأ بعد ذلك الزلزال وتوابعه من ردود فعل متباينة حول هذا الجسد الخاص الذي أصبح عامــاً.

أزياء المحجبات..

من الحشمة إلى النصب!

في ديسمبر 2015، تداول رواد مواقع التواصل الاجتماعي والعديد من المواقع الإلكترونية خبرًا مفاده هروب رضوى جلال، مصممة الأزياء وصاحبة دار "مليكة" للملابس، وأرملة المهندس الشاب الراحل أحمد الجبلي، بمبالغ تصل إلى 15 مليون جنيه وسفرها إلى خارج مصر.

كان عددٌ من أصحاب فروع الشركة في عدد من المحافظات اتهموا رضوى بالاحتيال عليهم وخداعهم عن طريق الحصول على أموالهم بحجة استثمارها وتوريد بضاعة، ولكنها لم ترد هذه المبالغ وفاجأتهم بالاختفاء والسفر إلى قطر.

ورضوى جلال حمد من مواليد 4 أغسطس عام 1989، بمدينة شبين الكوم محافظة المنوفية، وانتقلت مع عائلتها في سن مبكرة إلى القاهرة وسكنت بشارع الواحة في منطقة زهراء المعادي.

درست رضوى في كلية الصيدلة بالجامعة الألمانية، وهي الابنة الكبرى لعائلتها، ولديها أخ واحد وأخت واحدة هما ضياء وسارة، وتزوجت لأول مرة وهي في الثانية والعشرين من عمرها واستمر زواجها لأشهر قليلة ثم انفصلت عنه[102].

أسست شركتها الأولى للأزياء باسم "مليكة" في عام 2011، ولم يكن هذا هو السبب في شهرتها، وإنما زواجها الثاني من الشاب أحمد الجبلي هو من صنع اسم رضوى جلال، وهو شاب عُرِف بالأخلاق الحميدة والتدين وحسن المعاملة، ولقّبه كثيرون بـ"سفير الخير". أثارت وفاة الجبلي في مايو 2015، تعاطف كثيرين معه؛ نظرًا لأنه شابٌ ملتزم بدأت شهرته بعد تأسيسه عدة مؤسسات خيرية واشتراكه في عدة أعمال خيرية، وجاء موته فجأة بعد أيام من زيارته لقبره الذي أعده لنفسه، والتقاطه صورة "سيلفي" مع زوجته بجانب القبر نشرها قبل أيام من وفاته على صفحته على فيسبوك.

---

[102] سمر علي، من مصممة أزياء لـ"متهمة بالنصب".. مَن هي رضوى جلال؟، موقع "بوابة التحرير" الإلكتروني، 8 ديسمبر 2015.

استغلت رضوى هذه الشهرة في التوسع في شركتها وافتتحت نحو 15 فرعـــًا في محافظات مختلفة، كان آخرها فرع المعادي الذي افتتحته في 22 سبتمبر 2015.

أخذت رضوى تتحدث عن حبها لمجال الأعمال منذ أن كانت في المرحلة الثانوية، وقالت إنها قبل أن تتجه إلى عالم الأزياء، كانت تعمل في مجال تسويق المنتجات التجميلية، ثم دخلت عالم الموضة والأزياء.

تطرقت زوجة "سفير الخير" إلى مجال آخر غير الأزياء، فأخذت تنشر مقاطع فيديو تشبه دورات التنمية البشرية، وتدعو الفتيات إلى الاعتماد على النفس والتفاؤل والعمل وغيره، بالإضافة إلى اهتمامها بعالم الصحة والجمال.

وضعت رضوى طفلها الأول، عمر، بعد وفاة والده أحمد الجبلي بثلاثة أشهر تقريبـــًا، تزوجت بعدها بفترة قصيرة من شخص يُدعى محمد عزب، ولكنها كانت تقدمه للعاملين والمستثمرين الجدد باعتباره مديرًا للشركة.

دخلت رضوى في مشروعات أخرى بدأت تثير كثير من الشكوك حولها، حيث أعلنت عن بدء نشاط جديد لشركة "مليكة" لتشمل الأحذية والحقائب أيضـــًا ولا تقتصر على الأزياء فقط، كما أعلنت عن تأسيس شركة للتسويق الإلكتروني، وبعدها أعلنت عن تنظيم رحلة لتركيا، وتأسيس محل للحلوى وغيرها من المشروعات الوهمية،

في كل مرة كانت تجمع أموالًا من كثيرين بهدف الاستثمار.

بلغت القصة ذروتها حين اتهم كثيرون رضوى جلال بالنصب والاحتيال، وتحرير شيكات بدون رصيد مستحقة الدفع، ونشر بعض الضحايا مستندات تؤيد كلامهم.

سرعان ما دشن نشطاء هاشتاغ يحمل اسم "رضوى جلال نصابة"، واتهموها بالنصب والاحتيال، وتحرير شيكات بدون رصيد.

أحمد عادل، مدير إنتاج "مليكة" السابق، ومن خلال صفحة مليكة على "فيسبوك" صحح بعض المعلومات المغلوطة عن المبالغ التي استولت عليها رضوى، قائلًا إنها 7 ملايين جنيه وليس 15 مليونـًا، وأكد حكاية زواجها من محمد عزب، ونصبها على بعض العملاء.

في سياق متصل، أكدت أمنية حسن، مديرة أعمال رضوى، أنها تعرضت للنصب كالآخرين، وأن الأخيرة اختفت تمامـًا عن الأنظار ولم تعد ترد عليها، ولا تعلم عنها أي شيء.

على صفحتها الرسمية على فيسبوك، كشفت مصممة الأزياء وصديقة رضوى المقربة، شيماء جودة، أنها وقعت هي الأخرى ضحية لنصب رضوى.

بعد أيام قليلة، خرجت رضوى جلال أخيرًا عن صمتها.

بررت رضوى، على صفحتها الجديدة على موقع "فيسبوك"، عدم

ردها على ما أثير حولها من اتهامات قائلة: "آسفة على اختفائي وصمتي الفترة الأخيرة.. والسبب الأساسي أن فيه حد اخترق حسابي الشخصي والصفحة الشخصية وصفحة مليكة.. وخلال ما كنت بحاول أرجعهم لقيت الموضوع كبير قوي.. فقعدت بس شوية أخد نفسي وأرتب أفكاري".

أما عن اتهامها بالنصب، فقالت رضوى: "كلمة نصابة دي أنا أعترض عليها فعلًا.. الشخص النصاب هو اللي هدفه إنه ياخد حاجة مش حقه عن طريق التلاعب بالناس.. ولكن أنا أشهد الله إني دايمًا كان هدفي إني أعمل بيزنس محترم".

وأضافت: "أنا فعلًا كنت باخد فلوس كاستثمار.. بس واضح إن خبرتي كانت أقل بكتير من تحمل العمل في هذه المشاريع بالفلوس الكتير دي.. فالموضوع هو سوء إدارة وقلة خبرة مش نصب.. وده مش تبرير أبدا للي حصل.. هو مجرد وضع الأمور في مكانها الصحيح".

رضوى نفت أيضًا على صفحتها الشخصية ما تردد حول هروبها بمبالغ ضخمة، قائلة: "حجم ديوني المستحقة دلوقتي لا يصل للرقم اللي بيتقال.. علشان بس المبالغات اللي وصلت المبلغ لـ 15 مليون و20 مليون جنيه.. ده كلام غير صحيح بالمرة".

وعلى الرغم من الاتهامات العديدة التي وجهت إلى رضوى بالاحتيال والنصب، فقالت: "لو هنتكلم عن النصب فأنا فعلًا اللي اتنصب عليا.. وفكر في واحدة بنت لوحدها في سوق يحكمه النهب والنصب والكذب والخداع". وأضافت: أنا لحد آخر لحظة كنت بحاول أنقذ الشركة.. وحاولت أعمل شركة تانية بحيث يشيلوا بعض... بس للأسف لقلة خبرتي اتضحك عليا برضه في كتير من الأمور".

أما عن سبب سفرها إلى الخارج، فأوضحت رضوى: "أصحاب الديون ابتدوا يطالبوا بالسداد وتعذر الوصول معهم لأي اتفاق لتأجيل السداد"، وتابعت: "هنا كان عندي حل من اتنين.. يا إما هفضل قاعدة في مصر وحتسجن أو حد هيعتدي عليا أنا وابني زي ماحصل قبل كده.. يا إما أسيب البلد وأطلع أعيد حساباتي وأحاول تاني".

ووعدت رضوى المتضررين من الاستثمار معها وعدم سدادها لديونها بحل الأزمة قائلة: "في رقبتي الديون اللي عليا إني لازم أسددها إن شاء الله في أقرب وقت ممكن.. وهشتغل في سبيل تحقيق ده بكل قوتي بإذن الله"[103].

---

[103] سمر علي، رضوى جلال تخرج عن صمتها: أنا اللي اتنصب عليا، موقع "بوابة التحرير" الإلكتروني، 10 ديسمبر 2015.

وربما يفتح موضوع رضوى جلال بابـًا لموضوع آخر ذي صلة يتعلق بظاهرة محال ملابس المحجبات؛ إذ إنه مع بدء عقد الثمانينيات، ظهر تيارٌ محافظ انعكس على أزياء النساء التي تغيرت معه أزياء النساء بشكل كبير.

انتشر الحجاب – خاصة في صفوف الفتيات والشابات – وإن كان على استحياء طوال فترة هذا العقد. تعددت أشكال الحجاب، وأبرزها "الطرحة"، وظهرت بالتوازي مع ذلك معارض ومحال تجارية متخصصة في ملابس المحجبات فقط. كما ظهرت أشكال أخرى من الملابس المحافظة، مثل التنورة الطويلة و"البلوزات" الحريرية ذات سنادات الأكتاف.

لم يكن الاتجاه نحو الحجاب و"الطرحة" والتنورة الطويلة هو السمة الوحيدة لأزياء النساء في فترة الثمانينيات والتسعينيات؛ إذ انتشرت بالتوازي معه موضة أخرى عند غير المحجبات، أهمها الــ"تي شيرت"، والأحذية ذات الرقبة القصيرة "هاف بوت"، وسراويل الجينز من نوعية "سنو واشد" التي تميزت بلونها الأبيض الثلجي[104].

بعد أن باتت للحجاب قاعدة قوية في مصر،جاء عقد التسعينيات، الذي أفرز ظاهرة الدعاة الجدد من أمثال عمر عبدالكافي وعمرو

---

[104] آلاء عثمان، أزياء المرأة المصرية في 7 مراحل.. من "البرقع" إلى "السكيني والفيزون"، موقع "المصري لايت" الإلكتروني، 2 نوفمبر 2014.

خالد وخالد الجندي. وكان أهم ما ميز تلك الفترة هو إعلان عدد كبير من الفنانات المصريات اعتزال الفن وارتداء الحجاب بعد تلقيهن دروســًا دينية.

هنا بات للحجاب شكل آخر، حيث كان في البداية منتشرًا بشكل أساسي في صفوف الطبقتين الوسطى والفقيرة، ولكن مع ظهور الدعاة الجدد امتد الحجاب إلى فئة جديدة هي الطبقة الراقية التي شهدت الدروس الدينية لهؤلاء الدعاة في المنازل والقصور ومساجد النوادي الخاصة بهم، وكان الإقبال عليها في تزايد منقطع النظير.

ومع ظهور الفضائيات، تزايد تأثير هؤلاء الدعاة وأقبلت النساء على الحجاب الحديث، الذي استتبع ظهور "بيزنس" خاص به من محال لبيع العباءات والملابس التي تتناسب معه ومصانع لتصنيع أغطية الرأس وأشرطة كاسيت تتحدث عن الحجاب وأهميته وضرورته للمرأة المسلمة.

في بداية الاتجاه إلى ارتداء الحجاب في أوائل الثمانينيات، واجهت النساء الراغبات في ارتداء هذه الأزياء مشكلة كبيرة في الحصول على الملابس التي تتناسب مع قناعاتهن الدينية، حيث كانت غالبية المحال تعرض الملابس العصرية ذات الذوق الغربي، وكانت الراغبات في ارتداء الحجاب يلجأن في معظم الأحوال إلى تفصيل الملابس عند محال الحياكة حتى تفتق ذهن البعض عن الدخول في هذه التجارة

الرائجة بوازع ديني أو تجاري أو ربما الاثنين معـــاً.

هكذا افتتح أول مركز تجاري متخصص في بيع ملابس المحجبات بالقاهرة في ضاحية مصر الجديدة، أما في الإسكندرية فقد افتتح محل شهير لبيع ملابس المحجبات في منطقة محطة الرمل. ولما زاد الطلب على الملابس المحتشمة افتتح صاحب هذه الشركة فرعـــاً آخر لشركته بالقاهرة الكبرى في منطقة الهرم.

ظلت هذه المحال مقصدًا للعديد من النساء والفتيات الراغبات في ارتداء هذا النوع من الملابس حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين، عندما اشتد الطلب على هذا النوع من الملابس، فتنبهت مصانع الملابس الجاهزة لهذا الطلب الكامن وأغرقت السوق بكميات هائلة من الملابس النسائية التي تتناسب مع الطلب على ملابس المحجبات، وهو ما أفقد المحال التقليدية الرائدة التي تخصصت في بيع هذا النوع من الملابس مكانتها، وفقدت عبارة "محلات..... لملابس المحجبات" معناها، بعد أن أصبحت هذه الملابس معروضة في غالبية المحال التي تبيع الملابس الجاهزة[105].

على الرغم من أن البنطلون كان مرفوضـــاً لدى المحجبات باعتبار أنه لا يليق بالمحجبة أن ترتديه، فإن بعض الدعاة أجازوا ارتداءه، على أن يكون فضفاضـــاً لا يصف ولا يشف، بل إن بعضهم ذهب بعيدًا

---

[105] د.أيمن زهري، دفتر أحوال المجتمع المصري، بدون ناشر، 2006.

في إباحة ارتداء البنطلون إلى الحد الذي جعل أحدهم ينحاز له ويفضله عن التنورة (الجيبة). استنادًا على هذه الآراء المتلفزة –وربما لدواعٍ عملية– تحولت كثيرات إلى ارتداء البنطلون الفضفاض بديلًا عن الجيبة، ثم حل الجينز والبنطلونات الضيقة مكانه، بالتوازي مع تحول القميص الفضفاض إلى "فانلة تي شيرت" ثم إلى "بادي".

ثم بدأت المرأة المصرية مراوغتها مرة أخرى، فظهرت البنطلونات الجينز (سكيني) الملتصقة بالجسد والفيزونات بألوانها الزاهية، والاستريتش، والبادي الكارينا، والليغينغ أو الجوارب الضيِّقة والطويلة الساق، إلى جانب السترات المقصوصة أو الـ"كروبد سويترز"، والجاكيت القصير "بليزر". وانكمشت البلوزات لتصل إلى الخصر تقريبـــًا فيما يعرف بالـ"استومك"، وتكحلت العيون خلف النقاب واختفت القفازات، فظهرت الأيدي حُرة وضاقت العباءة فالتصقت بالجسد لتكشف مفاتنه بالترتر والرسومات الزاهية[106].

التغيير شمل أيضـــًا شكل غطاء الشعر أو "الطرحة" لدى المحجبات أو المحتشمات بشكل عام، فظهرت ربطات مختلفة ذات مسميات متنوعة، بعضها يغطي جزءًا من شعر الرأس وليس كله، مع تعدد الألوان وأحجام القماش المستخدمة في غطاء الرأس.

---

[106] د.ياسر ثابت، حروب الهوانم، دار اكتب، القاهرة، 2015، ص 212– 213.

مع انتشار الحجاب بأشكاله المتنوعة البعض، اعتبرها تجارة رابحة وبدأ يتاجر فيها من خلال الإعلان بين الحين والآخر بأن هذه المحال متخصصة فقط في ملابس المحجبات والبعض الثاني خصص لها مجموعة من المكياجات والإكسسوارات مدعين أنها أيضـــاً للمحجبات.

وفي عام 2005، ظهر إعلان تليفزيوني على شبكة "إيه آر تي" تقدمه مقدمة البرامج دعاء عامر تخاطب به المرأة المحجبة من خلال شامبو للمحجبات بالإضافة إلى ظهور مجلة تحمل اسم "محجبة" وهي مجلة شهرية بلغ سعرها 10 جنيهات، شاركت في موضوعاتها الصحفية بعض محال الأزياء الخاصة بالمحجبات وتظهر على غلاف المجلة مذيعة أو ممثلة محجبة.

ويصف البعض دعاء عامر مذيعة برنامج "النهارده" على شاشة قناة "النهار"، بأنها ملكة جمال المحجبات في مصر؛ إذ تتمتع بإطلالة مميزة، وتحظى بمتابعة السيدات كونها أيقونة الأناقة للمحجبات وتقدم برامج اجتماعية هادفة.

تهتم دعاء عامر بمتابعة أحدث خطوط الموضة للمحجبات ويبدو ذلك من خلال أناقتها الواضحة، وعن سر إطلالتها تقول دعاء عامر: "السوق المصري أصبح يلبي احتياجات المرأة المحجبة، لدينا الآن مجموعة كبيرة من مصممات أزياء المحجبات اللاتي يحرصن على تقديم أفكار جديدة ومبتكرة، والآن لا يوجد حجج تمنع المرأة من أن تكون

لمحجبة أنيقة وشيك"[107].

وتؤكد دعاء أن السوق مليء بمتطلبات الحجاب من ملابس وطرح وإكسسوارات مناسبة وعلى أحدث خطوط الموضة، وأصبح الأمر أكثر بساطة للمرأة المحجبة لتجد ما يناسبها، ومن هنا يأتي دور المصممات والترويج لتلك املابس من خلال عروض أزياء مفتوحة للجميع.

والحقيقة أن هذا البيزنس في زي المحجبات بات على نطاق واسع وله سوقه ورواجه لأسباب لا تخفى على كثيرين.

---

[107] أسماء أبو شال، دعاء عامر: الأخلاق مطلوبة وأرفض اقتحام خصوصية الآخرين، موقع "محيط" الإلكتروني، 4 نوفمبر 2015.

غرام الروايات والقصائد

كان الأدب غالبـــًا مُعلمـــًا خصوصيًّا لمن يخطون خطواقم الأولى نحو النضوج والتعرّف على العالم، في حين صادق المراهقون طوال الوقت أُدباء قدموا لهم الحُب متجسدًا في ثنائيات خالدة من المُحبين، تعرفوا فيها على ماهية الحُب، وعلاماته، وشكلوا بأقلامهم وعي هؤلاء عن العلاقات الرومانتيكيّة، وما تنطوي عليه من وفاءٍ وإخلاص وعذابٍ وشجن.

ربما جاز لنا أن نستعرِض أشهر الروايات التي علمت الأجيال الحُب، وكيف تطوّرت حبكاقما من الإغراق في السوداوية والشجن، وصولًا إلى ليوم، وقد أتت روح العصر متسارع الخُطى بظلالها على أحداثه الرومانسيّة.

"تحت ظلال" المنفلوطي

من أفقٍ بعيد تمامـــاً عن المُجتمع المصري، أتت أولى حبكات الروايات العاطفية المسرودة بلسان مصري، كُتبت قصة حُب ستيفن وماجدولين الآتيين من ألمانيا رأســـاً إلى واقع المُحبين المصريين، بتعريب وتصرُف الأديب مصطفى لُطفي المنفلوطي، وعباراته الجزلة الرصينة.

تلعب الفروق الاجتماعية دورًا أساسيًا في قصة "ستيفن" و"ماجدولين"، لتُلقّن المُحبين المصريين أوائل معارِفهم عن الحُب عندما لا يسير القدر في صف الأحباب دومـــاً، وإنما يعتبر الفراق محطّة مُحتملة دومـــاً في مسيرتهم؛ فوالد ماجدولين الفقير يتدخل في الطريق بينها وبين ستيفن سليل الأغنياء. وبالرغم من التقاء قدر ستيفن وماجدولين مرة ثانية، فإن الرواية تنتهي على نحو مأساوي بانتحار ماجدولين، وموت حبيبها خلفها.

***

"أطلال" السباعي :

من بين الأدباء الذين أتوا في أعقاب أحداث ١٩٥٢، تبنى يوسف السباعي خطـــاً رومانسيًا، أهّله لأن يحصُد عن جدارة لقب "فارس

الرومانسية" على مُستوى نقدي وجماهيري.

وكانت ثُنائياته العاطفية مُلهمةً لقصص حُب مصرية.

"محمود" الأديب، الذي تخلِب كلماته عقل "مُنى"، التي تصغره بسنوات، فتجعلها تقع في محبته، وتطبب زوجته العليلة، ويبقى خطابه إليها مطالبـــًا إياها أن تذكره لدى مغيب كُل شمس خالدًا بين معشَر المُحبين. وبالرغم من تعقُّد قصة الحُب بزواج "مُنى" وإنجابها، فإنها بمجرد أن تعرِف بإصابة محمود في حادث سير، تقايض حياتها الزوجية بمكوثها بجوار الحبيب طريح الفراش.

وبصبغة الثورة على الإقطاع والملكية، تأتي قصة حُب الثُنائي "إنجي" و"علي" لذات الأديب، الضابط المتقاعِد، والذي تُجسِد روايته "رُد قلبي" لعب الفروق الطبقية في أقدار أنقى قصص الحُب وتقف حائلًا دون تمام النهايات السعيدة.

***

انفتاح "إحسان"

ومن عُذريّة السباعي وأفلاطونية حبكاته الروائية، إلى تفتُح إحسان عبدالقدوس، وربُما تصويره لعلاقات الشباب والبنات على نحو جرّ عليه سُخطـــًا من الحاكم والمحكومين في بعض الأحيان،

إضافة البُعد المادي لقصص الحُب، ولتجسيده ما قد يعتمِلُ بالنفوس من اضطرابات وجدانية تترُك بصمتها في قصص الحُب، فالصغيرة التي تشبُ وارثة سُخطـًـا على عالم المُحبين، وعقدة ذنب تخلف لها اضطرابـًـا في النوم في "لا أنام" تتنقل كالفراشة بين الشركاء العاطفيين.

والشباب والبنات في "البنات والصيف" تتطور علاقاتهم العاطفية على نحو لافت لا يقبله المُجتمع، في حين تعرِف الرغبة طريقها لقلب "العذراء" تجاه زوج والدتها في "العذراء والشعر الأبيض"، بلُغة أكثر تحررًا من الموارَبة يخُطها إحسان، وتوعي وجدان المُحبين المصريين بأبعاد جديدة في العلاقات العاطفية.

***

باب "الزيات" المفتوح

في رواية اعتبرها الكثيرون تؤرخ لمرحلة جديدة من الأدب النسائي، جاءت رحلة "ليلى" الحُرة في البحث عن الذات والحُب والثورة، واحدة من أشهر روايات الحُب في تاريخ الأدب المصري، على يد الكاتبة لطيفة الزيات، والتي حملت اسم "الباب المفتوح".

وبالرغم من علو خط اكتشاف الذات على قصة حُب "حسين" و"ليلى"، إلا أن رسائل حسين لليلى تظلّ كذلك علامة بين المُحبين، وموضعـًـا للاقتباس طوال الوقت بينهم.

رافِد "عبير" المُترجمة

عودٌ على بدء في الأدب العاطفي المصري في مسار الترجمة من الأجنبي للعربي، عرفت روايات "عبير» المُترجمة للجيب، لأدباء ليسوا دومًا مشهورين أو علامات في لُغاهم الأم، طريقها لآلاف المُراهقين المصريين، يتحسّسون بها طريقهم نحو عالم الحُب، في حبكات كثيرًا ما أثارت تحفظ الأهالي لتماسها في أحيان مع قيود مُجتمعية مصرية، ف حين سيطرت عليها أجواء رومانسية حزينة وقاتمة غالبًا، ومسارح أجنبية للأحداث فصلتها عن الواقع المصري.

***

جرأة خليل حنا

لعقود طويلة، كانت أعمال الروائي المصري خليل حنا تادرس هي غذاء الشباب والمراهقين الباحثين عن المتعة الحسية في قالب أدبي. وتادرس روائي ومترجم ولد بمحافظة بني سويف في 2 يونيو 1939 بدأ حياته الأدبية منذ عام 1958؛ حيث ظهرت أولى مجموعاته القصصية بعنوان "شيطان الحب" عن دار نشر الحديثة 2 شارع كلوت بك بالقاهرة لصاحبها المرحوم نصر عبيد، الذي تولى بعدئذ نشر العديد من قصصه.

منذ ذلك الحين حتى عام 1994 بلغت مؤلفاته 115 كتابــًا أعيد طبع أغلبها أكثر من مرة، ومن أشهر رواياته "نشوى والحب" التي نشرها عام 1965 بمبلغ 10 قروش وأعيد طبعها نحو 20 طبعة وهي قصة فتاة متحررة عاطفية تقودها شهواتها إلى حيث لا تدري. لاقت هذه القصة نجاحــًا كبيرًا، كما تعرضت للانتقاد نظرًا لطبيعة التقاليد المصرية المحافظة، اقترب أسلوبه من الأديب إحسان عبد القدوس من حيث تناوله للمرأة ومغامراتها.

في منتصف ستينيات القرن العشرين التقى بالناشر اللبناني عبود عبود صاحب "دار الجيل"، الذي نشر له أكثر من 50 كتابــًا، وقد اتفق معه على إنشاء فرع لدار الجيل بالقاهرة في شارع فيصل بمحافظة الجيزة ويتولى هو إدارتها والإشراف عليها والاشتراك في معرض القاهرة الدولي للكتاب منذ أول عام من إقامته. عمل في بداية حياته عام 1961 سكرتير مكتب الخدمة الاجتماعية ببطريركية الأقباط الأرثوذوكس، ثم عمل موظفــًا بالهيئة العامة للتامينات والمعاشات منذ عام 1962 حتى 1985، حين قدم استقالته للتفرغ لنشاطه الأدبي.

في عام 1984 أقيمت دعوى قضائية ضده وتعرض لحملة شعواء اتهمته بالجرأة، ولكن باءت تلك المساعي بالفشل؛ إذ كانت جميع مؤلفاته حاصلة على موافقة الجهات الرقابية الداخلية والخارجية في مصر ولبنان.

متقاطعةً رواياها مع مواطِن ألم عربية وحروب وثكل، تأتي روايات الأديبة الجزائرية أحلام مُستغانمي التي قدّم الشاعر السوري نزار قباني أولى رواياها في مُقدّمة تفضيلات المغرمين بالأدب الرومانسي. ومنصبّة حبكاتها غالبـاً على واقع المرأة العربية، وما تواجهه من تعقيدات مجتمعية، ورؤى مُختلة لعلاقات المحبة، استطاعت ثُلاثية روائية رومانسية لأحلام أن تخلِب قُراء ونقادًا، وضعت ثلاثية الجسد، وبالأخص "ذاكرة الجسد" في مقدمة تفضيلات قراء الأدب الرومانسي.

وفي روايتها "الأسود يليق بك"، توحّدت أحلام مع مطربة جزائرية في قصة حُب مستحيلة، تنتهي بالفُراق والعناد، ولا يتبقى منها سوى ذكرى باقات زهرٍ مذيلة بكلمات إعجاب وثناء على زيها الأسود، من حبيب مُفارِق[108].

***

[108] مي هشام، روايات علّمت الملايين الحُب، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 14 فبراير 2016.

الحُب "أكثر مما ينبغي"

من كاتبة سُعودية هذه المرة، وعلى نفس نهج مُستغانمي المنتصِر للمرأة، كعنصر مغلوب على أمره في قصص الحُب، تأتي رواية أثير عبدالله النشمي المروية من وجهتَي نظر بطليها "جمانة" و"عزيز" في نُسختيها "أحببتك أكثر مما ينبغي" بلسان "جمانة"، و"فلتغفري" بلسان "عزيز"، مفردةً لكلتيهما المساحة لرسم خارطة وجدانه في أوقات الاشتياق، والبُعد، والانتظار، في صيحة جديدة من الأدب الرومانسي تليق بالألفية الجديدة، التي لا تؤمن بمنظور واحِد لسرد قصة الحُبِّ، أو أي شيء آخر.

***

الرواية والتابوه

منذ ظهور الرواية المصرية في عشرينات القرن العشرين، وحتى الوقت الراهن، لا نكاد نلمس توجهـًا عامـًا في الكتابة أو نزعة جمعية لما يسمى بكسر المحظورات أو التابوهات، باعتبار الجنس ضمن تلك المحظورات الثلاثة في الكتابة العربية (الجنس–الدين–السياسة). فالأمر عائد في المقام الأول إلى الكاتب نفسه الذي يعكس أدبه مقدار ما تنضوي عليه شخصيته من ميل للمحافظة أو الجرأة.

مع ذلك، لم يغب الجنس عن أعمال رواد الرواية في مصر، فلا تكاد تخلو رواية لنجيب محفوظ من مشهد جنسي، وكذلك قامت رواية "البوسطجي" ليحيى حقي على واقعة جنسية، وأيضـًا المجموعة القصصية "بيت من لحم" ليوسف إدريس أو "الحرام"، وغيرهما.. لكننا سنجدها كلها بلا صخب لغوي، وتذهب في كثير من الأحيان إلى الالتفاف على مباشرة المشهد باستخدام "البديع". فقصة "بيت من لحم" ليوسف إدريس، مثلًا، تدور حول أُمّ لثلاث فتيات دميمات لم يتزوجن لقبح منظرهن ولفقرهن، فتتزوج أمّهن من شيخ كفيف لإعالتهن. ولأن العائلة كانت تعيش كلها في غرفة ضيقة وتنام على فراش واحد، لجأت الأم وزوجها إلى علامة ليميزها الزوج ليلًا إذا أراد مضاجعتها، عن طريق خاتم في يدها. وتحت إلحاح الحاجة الجنسية، تتناوب البنات على ارتداء الخاتم ليلًا، ليمارسن الجنس مع الزوج، في ظل حالة من التواطؤ. ورغم أن الفكرة صادمة، فإن إدريس لم يشأ أن تحمل لغته الصدمة نفسها.

وبغض النظر عن القيمة الجمالية للطرح، فإننا نكاد نجزم بأن الكتّاب لم يتخلوا عن رقيبهم الذاتي في التعرض للمسألة الجنسية، إلا أنه يمكننا أن نلحظ تغيّرًا في الطرح، بعدما اكتسب شيئـًا من الجرأة، منذ بداية سبعينيات القرن العشرين. قصة إدريس كمثال (المجموعة نشرت العام 1971)، أو التعرض للمثلية الجنسية مثلما فعل نجيب

محفوظ في "ثرثرة فوق النيل" و"زقاق المدق" (1971 و1974)، كما أن ليحيى الطاهر عبدالله قصة بعنوان "جبل الشاي الأخضر" من مجموعته الأولى، تظهر فيها مراهقة تمارس العادة السرية عن طريق حك جسدها بظهر الحمار، وله أيضـــًا قصة في مجموعة متقدمة عن امرأة تمارس الجنس مع كلب، وكذلك نجد أن محمد مستجاب قد تناول في روايته "من التاريخ السري لنعمان عبدالحافظ" قصة لامرأة ثرية في الريف تنتقي الصبيان ليمارسوا الجنس معها.

أما في الرواية المعاصرة، ونقصد ما ظهر مع الألفية الثالثة، فنجد أن جرأة الطرح أخذت منحى أكثر وضوحـــًا، في مسألة التناول الجنسي. فرواية "أبناء الجبلاوي" لإبراهيم فرغلي تتعامل بحرية أكبر مع العلاقات الجنسية، نجد فيها مشهدًا لفتاة تحلق شعر العانة للبطل، لكنه وبالرغم من ذلك استعان باللغة للالتفاف على ذكر الأعضاء الجنسية مباشرة، عندما تحدث عن لوحة بالخط العربي تشير للاسم الدارج للعضو الأنثوي مستعيضـــًا عن ذكره في السرد صراحة بتقطيع حرفيه الكاف والسين، وفي الروايات التالية الأكثر حداثة من حيث تاريخ الصدور، نجد أن محمد الفخراني لم يوارب مطلقـــًا في استخدامه للألفاظ الجنسية المباشرة في روايته "فاصل للدهشة"، كما نجد أن الروائي أحمد مجدي همام، عَنوَن أحد الفصول في روايته "أوجاع ابن آوى" بـــ"عشاري" وهو الجمع العامي لمعنى ممارسة

العادة السرية، وكذلك أطلق محمد صلاح العزب عنوان "وقوف متكرر" على روايته، كناية عن كثرة انتصاب العضو الذكري للبطل[109].

وهناك مشروع سابق عليهم، لا يمكن إغفاله للروائي الشاب محمد ربيع، وتلاه أحمد ناجي، الذي صدر حكم عليه بالسجن في عام 2016 بسبب نشر فصل من روايته "استخدام الحياة" في "أخبار الأدب". تحكي «استخدام الحياة»، عن شاب لم يكمل عامه الثالث والعشرين، تعرّف على امرأة متحررة تكبره سنـــاً، ما يعيد إلى الأذهان أجواء رواية مصرية مشهورة في ستينيات القرن العشرين هي «شباب امرأة»، للكاتب أمين يوسف غراب، وهي أيضـــاً عنوان فيلم للمخرج صلاح أبو سيف. علاقة بطل رواية ناجي بالبطلة «موني»، هي علاقة شائكة؛ إذ يتم من خلالها اكتشاف التاريخ الجسدي للرجل والمرأة من مرحلة الابتذال إلى السمو الروحي، باعتباره المفهوم الأعمق للحب.

وإذا كانت هناك روايات لأديبات تتحدث عن الجنس بشكل صادم مثل رواية عزة سلطان "تدريبات على القسوة"، وأعمال تتخذ من المثلية محورًا مثل رواية محمد عبدالنبي "في غرفة العنكبوت"، فإنه

---

[109] أحمد شوقي علي، لا رقيب على الجنس في الرواية المصرية.. إلا الذاتي، موقع "المدن" الإلكتروني، 23 مارس 2015.

يمكن تلمس الممارسات السادية والمازوخية في روايات معدودة، مثل رواية "إيثاكا"، التي يهديها رؤوف مسعد، إلى ضحايا "كوين بوت" من المثليين، ويصفها بأنها رحلة في "ذاكرة الأزمنة"، ويروي على لسان البطل مغامراته الجنسية المتعددة بداية من ارتداء الملابس النسائية إلى السادية والمازوخية مرورًا بالتبادل الجنسي، أو رواية "إني أحدثك لترى" لمنى برنس، والتي تروي فيها قصة فتاة قلقة وحائرة تبحث عن الحب، في أثناء عملها كباحثة اجتماعية، فتمارس الجنس مع بعض الرجال، حتى تلتقي رجلًا أجنبيـــًا يفاجئها برغباته الغريبة، سواء بالتعامل معها بعنف، أو بأن يجعلها ترتدي قضيبـــًا صناعيـــًا لتضاجعه من مؤخرته، ويصفها بأنها الإلهة "أجديستيس" ابنة زيوس[110] .

على مستوى آخر، نُشِرت على الإنترنت روايات مكتوبة بالعربية، لم يكشف كتابها عن أسمائهم، تناولت ممارسات سادية ومازوخية، وإن لم تكن مكتوبة بمستوى أدبي عالٍ، اشتهرت من بينها روايات مثل "مديحة" و "جعلوني عاهرة" و"بيت الطالبات"، وتحكي الأخيرة عن المغامرات الجنسية لخمس طالبات مغتربات يعشن في القاهرة. اختيار هؤلاء الكُتّاب أن يظلوا مجهولين يعيدهم لبداية

---

[110] فاروق عادل، السادية والمازوخية.. تاريخ الخزي والنشوة، موقع "المنصة" الإلكتروني، 3 سبتمبر 2016.

التقليد الأوروبي المتعلق بهذه الممارسات، والذي اختار كُتابه ورساموه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن يهربوا من الوصمة التي فرضها عليهم المجتمع.

***

مسارات الشعر

أما في الشعر، فإن لغة الغرام أخذت منحى مغايرًا.

ما بين العذرية والمازوخية، تأرجح الشعر العربي القديم. وما بينهما شعرٌ آخر به كثيرٌ من الغزل ووصف المحبوبة.

تربع الغزل على عرش الشعر في العصر الجاهلي، وتكاد لا تخلو قصيدة من الغزل حتى وإن لم يكن هو الغرض الأساس فيها فلا بدَّ للشاعر أن يذكر الغزل في قصيدته، واقتصرت أغلب القصائد الغزلية على وصف الجمال الخارجي للمرأة كجمال الوجه والجسم. وكان الشعراء يتفننون بوصف هذا الجمال، لكنهم قلما تطرقوا إلى وصف ما ترك هذا الجمال من أثر في عواطفهم ونفوسهم.

يمكن تصنيف الغزل في هذا العصر إلى خطين:

أولهما الغزل الفاحش وزعيمه امرؤ القيس ونجد ذلك واضحـــاً في معلقته بمغامراته الليلية مع النساء وأيضـــًا يتجسد ذلك في قصيدة

له يقول فيها:

سموت إليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالًا على حال

فقالت سباك الله إنك فاضحي

ألست ترى السمار والناس أحوال

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

المازوخية تحديدًا كان لها مساحتها الكبيرة في الشعر القديم؛ حيث نجد الكثير من التجليات المازوخية لدى الشعراء، وإن لم تكن بشكل جنسي مباشر، يمكن تلمس ذلك في قصائد العذريين من جميل بثينة إلى كثير عزة، مرورًا بمجنون ليلى. فعلى سبيل المثال، يقول قيس بن الملوح: "لو خلط السم الزعاف بريقها، تمصصت منه نهلة ورويت".

أما الحس العفيف فقد سطع نجمه لاحقًا في العصر الأموي وكانت نواته في الجاهلية، وزعماؤه كثر وقد اقترنت أسماؤهم بأسماء محبوباتهم أمثال عنتر وعبلة وعروة بن حزام وعفراء.

بشكل عام، لما كثرت حياة الترحال عند البدو في الجاهلية، صار الشعراء يقفون على أطلال حبيباتهم ويبكونها. فصارت القصيدة العربية في الجاهلية لا تخلو من مقدمة طللية يذكر فيها الشاعر حبيبته

ويتغزل بها.

هذّب الإسلام الغزل في هذا العصر فقد جاء أكثر تعففـــاً، لكن بالرغم من هذا ظهرت طائفة من الشعراء تشبب بالنساء وتتغزل بهن غزلًا فاحشـــاً أمثال أبي محجن الثقفي. في عصور لاحقة، من الأموي إلى العباسي فالأندلسي، تطور الغزل وتنوعت أشكاله، وظهر حتى شعر يتغزل فيه شعراء بالغلمان، كما فعل أبو نواس وأبو هشام الخزّاز ومحمد بن هانئ المغربي وأبو الفتح البستي.

"يا حسنة بين الحسانْ.. في شكله إن قيل: بانْ كالبدرِ تأْخذه العيونُ.. وما لهنّ به يَدان.. مَلك الجوانحَ والفؤاد.. ففي يديه الخافقان.. ومناي منه نظرة.. فعسي يُشير الحاجبان"، هكذا تغزل في حبيبته الشاعر أحمد شوقي، في أوائل القرن العشرين، كان شعره فصيحـــاً في لغته، وكان غزله هذا يعكس حالة من الثراء الأدبي في مصر تلك الآونة.

رحل شوقي عام ١٩٣٢، ليظهر شاعر جديد اسمه أحمد رامي، أخذ على عاتقه كتابة قصائد تقطر حُبـــاً وعشقـــاً وغزلًا وألمـــاً بشكل مختلف، تاركـــاً وراءه إرثـــاً من الأشعار الفصحى والعامية، قال في إحداها: "وعمري ما أشكي من حبك، مهما غرامك لوّعني.. لكن أغير من اللي يحبك، ويصون هواك أكثر مني".

جمعت الفنانة الراحلة أم كلثوم بين الغناء من قصائد شوقي، بعد رحيله، والغناء من أشعار رامي، لكنها أيضـــًا تغنت بكلمات شاعر آخر أصبح أيقونة للحب والشعر في زمنه، هو نزار قباني، من عُرِف لاحقـــًا بـــ"شاعر المرأة".

لم تغنّ أم كلثوم قصائد حب من أشعار قباني، بل غنت قصائد وطنية، إلا أنه كان رائدًا في فن الحب والعشق وحتى الألم، منذ ظهر منتصف القرن العشرين، ليطور الشعر الرومانسي، ويتغزل يومـــًا في حبيبته قائلًا: "أنتِ امرأةٌ صُنعَت من فاكهة الشِّعرِ ومن ذهب الأحلامْ.. أنتِ امرأةٌ كانت تسكن جسدي قبل ملايين الأعوامْ"، وتمرد على عادات مجتمعه ليسأل امرأته: "لماذا في مدينتنا نعيش الحب تهريبـــًا وتزويرًا؟ ونسرق من شقوق الباب موعدنا.. ونستعطي الرسائل والمشاويرا؟".

وفي السبعينيات، ومع استمرار قباني في تقديم أشعاره الرومانسية، كان فاروق جويدة يتحسس الطريق ليدخل معه على الدرب نفسه، ليكون من أبرز ما قاله في الغزل والحب: "ليتني ما كنت إلا بسمة تلهو بثغرك.. ليتني ما كنت إلا راهبـــًا في نور قدسك.. أنثر الأزهار حولك.. أجعل الدنيا رحيقـــًا.. يحمل الأشواق نحوك.. أجعل الأيام طيفـــًا هادئـــًا يهفو لظلك.. ليتني طفل صغير يحتمي في ظل صدرك".

مرت السنوات والعقود، واندثر الشعر الرومانسي وشعر الحب، ولم يحظَ شاعر بشهرة كتلك التي نالتها الأسماء السابقة، قبل أن يظهر في الألفية الثالثة شاعر صعيدي يحمل اسم هشام الجخ، ليكتب في الحب بشكل مختلف، قائلًا في قصيدة من قصائده، حملت اسم "إيزيس": "حبيبتي أحلى من شعري وأحلي م الحروف، كُمّل.. ولا بتهجر ولا بتغدر ولا بظلمها تتململ.. لكني في حيرتي بستغرب.. أنا إزاي مش بغني لها؟ وهي إزاي بتتحمل؟".

بدا شعر الجخ مختلفــًا عن سابقيه، سواء بمضمونه أو للهجته الصعيدية، لكن الشعر الرومانسي الذي بالفعل أثار ضجة لاختلافه تمامــًا عن كل ما سبق في المضمون والشكل والمفردات، كان إنتاج "شعراء" جدد، أطلقوا دواوين كان آخرها ديوان حصل على شهرة كبيرة، للكاتب وليد ديدا، ليتغزل في حبيبته في قصيدة قائلًا: "مريم.. أنتي الوحيدة.. وأنت البعيدة.. وأنتي القريبة.. وأنت الغريبة.. وأنت الحقيقة.. وأنت الخيال.. أنتي معاكي بكون.. عايش فعلًا أحلى أيام.. أنتي إزاي كده!"[111].

أما القصيدة التي نالت قدرًا كبيرًا من الاهتمام، فكانت بلغة العصر الحديث، لغة "حب الفيسبوك"، قال فيها ديدا: "فاكر طيب

---

[111] أحمد حمدي، الشعر الرومانسي من "شوقي" إلى"ديدا".. للخلف در، جريدة "المصري اليوم"، القاهرة، 14 فبراير 2016.

ول صورة.. لما فرحت إنك هتشوفها.. كان إحساسك عالي إزاي.. وقتها جريت كتبتلها.. كلمة جميلة على الـKeyboard.. إنك مش هتحب غيرها.. فاكر لما كان كل اللي رابطكم.. ما بينكم Chat وقصة غريبة وصلت لحب.. وعذاب وموت.. وزي ما القصة ما بدأت هنا.. على الـFacebook خلصت حكايتكم.. بشتيمة ووراها block فاكر؟".

تراثنا الحُر.. وعقولنا المحرمة!

قديمًا، كان التطرق إلى الموضوعات الجنسية في كتب التراث أمرًا شائعــًا. فظهر في الكثير من الكتب حكايات ونوادر عن العامة والشعراء، بل وحتى عن الوزراء والخلفاء.

ظهر بعض من تلك الحكايات في كتب تراثية مهمة مثل "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني و"عيون الأخبار" لأبي قتيبة الدينوري، و"طوق الحمامة في الألفة والإيلاف"، و"فهرست" ابن النديم، و"كشف الظنون"، والكتابان الأخيران حفظا لنا أسماء تلك الكتب، وأسماء بعض مؤلفيها، ومضمون بعضها.

وتبدو الأعمال المنسوبة للإمام جلال الدين السيوطي من أبرز وأغزر الأعمال التي تناولت الجنس بأشكاله ووقائعه المختلفة، ومنها:

(شقائق الأترنج في رقائق الغنج)، (نزهة المتأمل ومرشد المتأهل في الخاطب والمتزوج)، (رشف الزلال من السحر الحلال)، (الوشاح في فوائد النكاح)، (الأيك)، (نزهة الجلساء في أشعار النساء)، (المستظرف في أخبار الجواري)، (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسحر)، (الرحمة في الطب والحكمة)، (غاية الإحسان في خلق الإنسان)، (لقط المرجان في أحكام الجان)، (الكنز المدفون والفلك المشحون)، (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، (الإفصاح في أسماء النكاح)، (ضوء الصباح في لغات النكاح)، (باسم الملاح ومناسم الصباح في مواسم النكاح)، (نواظر الأيك)، (نوادر الأيك في معرفة..).

وتكتنز هذه الأعمال بأحاديث عن وصفات حول أثر غنج المرأة وما يضيفه من متعة، وكيفية مباشرة الرجل لزوجته، وما يجب فعله مع الحليلة ليلة الزفاف، ونوادر وأخبار حول معجم الباه، منتخبات شعرية نسائية عربية عند تقاطيع جسد المرأة، وأمور مستحبة في الجماع، وكلها وغيرها وصفات ترجح في كثرتها وانكشافها ما نجده في.. ألف ليلة وليلة.

وبخلاف الإمام السيوطي، وردت كتابات عربية عديدة قاربت صوغ ثقافة جنسية، منها (نزهة الألباب) للتيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، و(تحفة العروس) للتماني نهاية القرن نفسه، و(الروض

العاطر) في النصف الاول من القرن الرابع عشر، و(رجوع الشيخ إلى صباه فيما هو في تقوية الباه وزيادة الألفاظ) لأحمد بن سليمان، و(بلاغة النساء) لابن أبي طاهر مطلع القرن السادس عشر.

ويعتبر ديوان أبي حكيمة، لصاحبه أبو حكيمة راشد بن اسحق، من أكثر الدواوين جدلية، خاصة بعد تعرض معظم أشعاره للطمس، وهو ما يظهر في الديوان المطبوع، واختفاء معظم الأبيات من النصوص المحققة.

الديوان يحكي حروب أبي حكيمة مع عضوه الذكري، خلال العصر العباسي، وما كان يصحبه من معاناة في سهراته الحميمية، مظهرًا الجانب الآخر من حياة الشاعر، كون معظم النصوص تحمل كلامـــًا حزينـــًا مرّة، وكلامـــًا فيه الكثير من اللوم والإهانة تارّة، تاركـــًا بينهما فاصلًا للفكاهة والطرفة.

ويورد الجاحظ مجموعة من الأشعار والنوادر الجنسية في متون أكثر من مؤلف من مؤلفاته، نقلًا عن كتّاب سبقوه أو عاصروه، وخاصة في "الرسائل"، "كتاب الحيوان"، "البيان والتبيين"، و"المحاسن والأضداد"، المنسوب إليه.

لا يتفرّد الجاحظ، إضافة إلى كتاب "ألف ليلة وليلة" بنسخته غير المهذبة، بهذه الخاصية في تاريخ اللغة العربية وآدابها، بل إنّ كثيرًا من كبار المؤلفين تحتوي كتاباتهم على شواهد ومنقولات من هذا النوع.

نجد -على سبيل المثال لا الحصر- نصوصــاً مماثلة المحتوى عند المسعودي في "مروج الذهب"، وهو كالجاحظ من القرن التاسع، أو التوحيدي وهو من القرن العاشر، في "البصائر والذخائر"، أو "الإمتاع والمؤانسة"، إضافة إلى الأصبهاني في "محاضرات الأدباء" والأصفهاني في "الأغاني".

لا تنضب النصوص في الحقب التالية؛ إذ نطالع نصوصــاً مماثلة للثعالبي النيسابوري في "يتيمة الدهر"، "الكناية والتعريض"، و"فقه اللغة"، وكذا ابن سيده في مصنفه "المخصص"، والآبي في كتابه "نثر الدر في المحاضرات". وأيضــاً في القرون اللاحقة، نقرأ ما كتبه السلفي في "معجم السفر"، وهو من القرن الثاني عشر.

كذلك عند ياقوت الحموي في "معجم البلدان"، وعند ابن منظور في "لسان العرب"، وكلاهما من القرن الثالث عشر، أو ابن كثّير في "البداية والنهاية"، في القرن اللاحق، وداود الأنطاكي من السادس عشر في كتابه "أخبار العشاق".

وأصحاب هذه الأعمال لم يكونوا من المهمشين المتمردين أو منحرفي الأخلاق، بل من المشتغلين المرموقين بالفقه والقضاء؛ إذ تسلم التيفاشي منصب القضاء لسنوات طويلة في مصر، وكان التجاني واحدًا من كبار أئمة المالكية في شمال إفريقيا، والنتراوي قاضيــاً في مدينة تونس، وأحمد بن سليمان فقيهــاً، وهم جميعــاً يرون أعمالهم

ذات توجه ناضج للدنيا والدين، وقد جمعت هذه الأعمال بين القرآن والحديث والنوازل الفقهية، جنبًا مع النوادر والمُلَح والطرائف والحكايات والنصوص الشعرية والحكم.

وجنب هذه الأعمال، خصص العشرات من المؤلفين العرب في القرون الوسطى رسائل وكتبًا كاملة لموضوع الحب والعشق، فعالجوه من وجهات نظر مختلفة (الجاحظ، السراج، ابن قيم الجوزية، الغزالي، ابن حزم، ابن داود، الرازي، العامري النيسابوري، ابن سينا، ابن عربي).

يحتل أبو نواس مكانة متميزة في هذا السياق. هو صاحب أشعار طمستها يد الرقيب، فلم يصلنا منها تدريسًا وشيوعًا إلا أبيات باهتة عن الخمرة، حسبناها ونحن طلاب ذروة ما قال من شعر "جريء". لأبي نواس شعر أعاد تحقيقه الشاعر العراقي جمال جمعة، وصدر عن "دار الريس" بعنوان "النصوص المحرمة" يحتوي على قصائد ماجنة "متجاوز فيها الحد"، وتكمن روعتها في كونها انعكاسًا لشخصية الشاعر واهتماماته وعواطفه، بعيدًا عن بلاط الخليفة والمديح والهجاء، وفي أنّها تعبر عن جو طبقة معينة في بغداد تحت حكم هارون الرشيد، ثم الأمين فالمأمون، وفي كونها مطموسة أصلًا. يتشارك أبو نواس بهذا الأمر مع طائفة من الشعراء "الخلعاء" الذين عاصروه أو كادوا، كوالبة بن الحباب، الحسين بن الضحاك، مطيع

بن اياس، يحيى بن زياد، واللائحة تطول بين العراق والشام، وحواضر أخرى في الدولة العباسية.

ذهب أبو نواس إلى الحدود القصوى للتمرد على النصوص كما على قواعد السلوك، مستفيدًا بدرجة أو بأخرى من الحرية النسبية التي وفرها خلفاء بني العباس الأوائل بفعل شعورهم بالقوة واستتباب أمور الدولة وتمتع المجتمع البغدادي بنسبة غير قليلة من الرخاء. وكما تساهل الأمويون مع مجتمعي مكة والمدينة في الشأن المتعلق بالأخلاق وأنماط السلوك الفردي والحريات الشخصية بهدف إبعاد الناس عن السياسة، فعل العباسيون الأمر نفسه فأباحوا الكثير من المحرمات الدينية والأخلاقية، فيما تشددوا في قمع ثورات البرامكة والطالبيين وغيرهم. اللافت في وضع أبي نواس أنه لم يتجنب في سخريته أي تابو أو محظور ديني واجتماعي، حيث يتداخل المقدس والمدنس بطريقة غير مسبوقة: «أصلي الصلاة الخمس في حال وقتها/ وأشهد بالتوحيد لله طائعـــًا/ وإن لاح لي صيدٌ وثبت بنهضةٍ/ على ردفه، في السرِّ، كالذئب جائعـــًا». فهو بظرفه المحبب يعمد إلى «تفخيخ» النص الديني وتأويله بما يوافق أهواءه ورغباته، واضعـــًا آيات الكتاب في غير موضعها الأساسي: «أقول إذ صرتُ على ظهره/ كقول قومٍ رحلوا سائرين/ سبحان من سخَّر هذا لنا/ منا، وكنا له مقرنين».

لم يكن ذلك النزوع الشهواني عند أبي نواس وليد الصدفة المجردة بالطبع. بل غذته عوامل سياسية واجتماعية ونفسية معقدة، بينها الاستعداد الفطري، وصورة الأم المتهتكة، وعلاقته المربكة بهرون الرشيد، والملتبسة بالأمين، والرواسب المانوية والمزدكية التي خالطت إسلامه، مما يحتاج إلى بحوث ودراسات طويلة ومعمقة. على أن نزوعه ذاك لم يقتصر على العلاقات الماجنة مع النساء، والتي جعلتها وفرة الجواري والقيان في ذلك الزمن سهلة التحقق، بل تعدى ذلك ليأخذ أشكالًا أخرى ذات طبيعة مثلية وانحرافية. وفي معرض انحيازه للذة التي يوفرها اللواط في مقابل اللذة النمطية للعلاقة مع المرأة يقول الشاعر: أأختار البحار على البراري/ وحيتانـــًا على ظبي الغلاة». ومع ذلك فهو لا يكتفي بالتبريرات الحسية والجنسية الصرفة، بل يتوسع في تفسير الآية التي تغلب الذكور على الإناث ليأخذه إلى المكان الذي يريده: «بذا أوصى كتاب الله فينا/ بتفضيل البنين على البنات». لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد. فإذا كان لا بد من الجنس المثلي فليكن مع غلمان بني هاشم بالذات حيث تتم إصابة أكثر من هدف برمية واحدة: «أحسن من ركض إلى مارق/ يقتل فيها المرء أو يجرح/ ركوب ظبي من بني هاشم/ للعين في وجنته مطرحُ».

وإذا كانت نصوصه «المحرمة» تنضح بالعديد من المقطوعات التي تؤثر متعة الحب على قسوة الحرب وفظاعتها، فإن أبلغ تلك النصوص

وأكثرها طرافة هو ذلك الذي ينشئه الشاعر على شكل حوار ثنائي بينه وبين أحد فقهاء اللذة والداعين إلى مواجهة الأعداء بسلاح الجنس الفتاك دون سواه. وفيها يقول الشاعر: «قلت: الطغاة؟، فقال لي: لا تغزُهُمْ/ حتى لو اقتربوا من الأنبارِ/ سالْهُمُ واقتصَّ من أولادهم/ إن كنت ذا حنقٍ على الكفار/ واطعنْ برمحك بطنَ تلك وظهر ذا/ هذا الجهاد، فنعم عقبى الدار!».

إيناس الدغيدي.. "الجريئة" والتابوهات!

شخصية مثيرة للجدل، سواء أكانت أمام الكاميرا أم خلفها.

أعمالها تشبه تصريحاتها.. جريئة إلى حد الصدمة، وقوية إلى حد اتهامها بالانفلات الأخلاقي. غير أنها بقيت هادئة الطباع، وتواصل تحطيم المزيد من التابوهات المجتمعية والدينية.

ورغم أن المخرجة إيناس الدغيدي في الستينيات من عمرها (من مواليد 10 مارس 1953)، فإنها مازالت تحتفظ بقدر من الجمال والجاذبية يجعلها تبدو أصغر سنـــاً من عمرها الحقيقي.

في حلقة من حلقات برنامجها "الجريئة"، استضافت إيناس الدغيدي، الفنانة يسرا، التي لعبت دور المذيعة بدلًا من إيناس. وأثناء

لحوار سألتها يسرا عن عمرها الحقيقي فردت قائلة: "هفضل طول عمري عروسة، وهبيّن رجلي دايما لأنها حلوة وملفوفة".

مسيرتها الفنية التي بدأت منذ تخرجها في المعهد العالي للسينما في القاهرة العام 1975، حيث أخرجت فيلمها الأول في العام 1985 ("عفوًا أيها القانون" - بطولة نجلاء فتحي ومحمود عبدالعزيز) جعلتها من أشهر مخرجات الأفلام الروائية الطويلة.

اقتحمت مجال الإنتاج السينمائي من خلال شركة "فايف ستارز" حيث أنتجت 7 أفلام روائية وهي: استاكوزا - دانتيلا- الوردة الحمراء - كلام الليل - مذكرات مراهقة - الباحثات عن الحرية - ما تيجي نرقص.. وجميعها من إخراجها، ولاقت بعض أفلامها -البالغ إجماليها 16 فيلمـــًا- جدلًا حادًا من البعض بدعوى الموضوعات أو المشاهد.

ورغم أن فيلمها الأول "عفوًا أيها القانون" أثار جدلًا في ذلك الوقت، مثل أغلب أفلامها، لاحتوائه على معالجة صادمة، فإن الدغيدي قالت إن رسالة الفيلم كانت "تسليط الضوء على التمييز بين المرأة والرجل، فالرجل إذا قتل زوجته لضبطها متلبسة بالخيانة، يخفف عنه الحُكم، في حين لا ينص القانون على تخفيف العقوبة بالنسبة للمرأة".

أعمال الدغيدي توالت بعد ذلك متخطية الإيحاءات إلى مشاهد مثيرة للغرائز، في أفلام "لحم رخيص" و"دانتيلا" و"كلام الليل"، و"امرأة واحدة لا تكفي" وغيرها، إلا أنها تبرر ذلك بأن السينما تعكس واقع المجتمع، وأن أفلامها للكبار فقط، كما أن منتقديها يرون أنها تضخم حالات فردية لتقدمها على أنها ظاهرة، إلى جانب أن لافتة "للكبار فقط" ليست مبررًا لما تنتجه؛ لأنها لا تمنع مشاهدة المراهقين لتلك الأعمال.

في المقابل، بقيت حياتها الشخصية غامضة بشكل كبير، لكن تعطي بعض الإشارات على أنها غير نمطية، فقد ارتبطت في شبابها، بقصة حُبٍّ مع طبيب أسنان مسيحي، هو الدكتور نبيل معوض، غير أن عائق الديانة حال لفترة دون زواجهما، حتى قرر إشهار إسلامه والزواج منها.

عن هذا الزواج، قالت الدغيدي في أحد لقاءاتها "الزواج يتم بعقد مدني، لكن لا يمكن زواج مسيحي من مسلمة، وزوجي السابق كان مسيحيـــاً وأسلم ليتزوجني، لكنه احتفظ بدينه في قلبه".

تمرد الدغيدي على المجتمع والتقاليد، امتد إلى علاقتها بزوجها الذي انفصلت عنه بعد حياة دامت 29 عامـــاً، أنجبت خلالها ابنة واحدة هي حبيبة، ففي حين ترجع سبب الانفصال إلى الخلاف الفكري و"الملل الزوجي"، لكن مقربين منها، رجحوا أن يكون

السبب إعلانها عن قناعاتها المبالغة في التحرر بشكل مثير للجدل.

ومع أن طليقها التزم الصمت، رافضـاً الحديث عن سبب الانفصال، قالت هي في تصريحات إعلامية "إن السبب الرئيسي في الطلاق هو الملل والروتين، فبعد كل هذه السنوات أصبحت أجلس في غرفة وهو في غرفة أخرى، وكل منا له ما يشغله وله أفكاره المختلفة، ومن الطبيعي أن يكون لكل شيء نهاية، حتى الحُبّ ينتهي مثل الحياة بمرور الوقت".

ومنذ فيلمها "مجنون أميرة" (2009)، تفرغت للعمل التليفزيوني والحوارات الصحفية، فقدمت برنامج "هالة شو" على قناة "روتانا سينما"، خلفـاً لصديقتها المقربة هالة سرحان. في التليفزيون المصري، قدمت الدغيدي برنامج "الجريئة" على قناة "نايل سينما"، وهو البرنامج الذي عرّض القائمين على إدارة ماسبيرو لهجوم حاد، لتستنسخ بذلك منهج الإثارة في السينما، إلى الإثارة في برامجها التليفزيونية، لكن البرنامج استمر بعد أن نجحت في استغلال علاقاتها القوية بالوسط الفني لاستضافة كبار النجوم في شهر رمضان. غير أن تركيزها على الحياة الجنسية لأغلبهم، والأسئلة المحرجة أبقت على الانتقادات الحادة للبرنامج، ودفعت العديد من الضيوف للتهرب ورفض الاستجابة لطلبات الاستضافة.

دأبت إيناس على الخروج بتصريحات مثيرة للجدل، فقد خرجت لتقول إنها "رأت ربنا في المنام، وتحدثت إليه". وأضافت، خلال حوار مع مفيد فوزي: "قلت لربنا يا رب في حاجات الأنبياء بيقولوها أنا مش مقتنعة بيها، لو أنا غلط سامحني لكن أنا عقلي مش قادر يجيبها". وتابعت أنها "رأت نفسها تنصهر مع الكون والسماء، وشاهدت عروقها ونفسها تجسدت أمامها، وفسَّرت الأمر بأنها ستبقى وأن روحها ستبقى في الكون".

الزوبعة التي أثارتها الدغيدي، لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة في الأغلب، فقد صرحت عام 2000، أن الكثير من الفتيات في مصر "سيدات"، سبق فض أغشية بكارتهن، إلا أنهن أجرين عمليات ترقيع لغشاء بكارة، وهو ما عرضها لهجمة شرسة في حينه، لإساءتها لنساء مصر.

وحين دعت الدغيدي إلى تقنين بيوت الهوى، ومنح تراخيص لفتيات الليل اللاتي يمارسن أقدم مهنة في التاريخ، دافعت عن وجهة نظرها قائلة إن "الدعارة حسب ما يعلم الجميع موجودة في كل العالم، وأنها من أقدم المهن، ولا يمكن محاربتها، ويجب تقنينها، ومنح بيوت الدعارة تراخيص، هدفه تلافي سلبياتها، فالترخيص يحصرها في مكان معلوم، وإجراء كشف طبي على ممارسيها".

يومها أكدت أن "ترخيص بيوت الدعارة في مصر يقلل من ضغط الجنس على الشباب".

وفي حوار تليفزيوني لها مع مفيد فوزي، في برنامج "مفاتيح"، على قناة "دريم"، قالت إن "مصر كان فيها قبل الثورة تلك البيوت، وممارسة البغاء، والحوض المرصود، وكان الشباب يذهب لأنه عنده طاقة يحتاج أن يفرغها". وذكرت أن "ذلك ربما يكون صعبـــاً، ويبدأ الناس في تعليق المشانق لمجرد سماع هذا"، موضحة أن "ترخيص بيوت الدعارة سيعود بالفائدة على المجتمع".

كما خرجت بتصريحات ترفض فيها الحجاب، للدرجة التي دفعتها للتصريح علنـــاً بأنها لا ترى أن "الحجاب فريضة لأنه لا يتفق مع العقل". وأضافت، خلال حوار أجرته مع طوني خليفة، في برنامج "لماذا"، أنها "من المستحيل أن تعطي دور في أحد أفلامها لفنانة محجبة"، مؤكدة أن "الحجاب أصبح موضة وليس نوعـــاً من التدين".

وتابعت أنها "ترى فتيات محجبات في الشارع يقمن بأشياء فاضحة"، وعند سؤالها "متى نرى إيناس الدغيدي ترتدي الحجاب؟"، فأجابت: "يا رب ما تكتبها عليا".

كما أقامت المخرجة إيناس الدغيدي ولم تقعدها بتصريحات لها ترى فيها أنه لا مانع من إقامة علاقات جنسية قبل الزواج.

في حديثها الصادم والمثير للجدل، اعتبرت إيناس الدغيدي أن الجنس بشكل عام حرية شخصية، حتى وإن كان خارج إطار الزواج، قائلة في مداخلة هاتفية أجرتها مع جعفر عبدالكريم، في برنامجه "شباب توك"، على قناة "دويتشه فيله" الألمانية، إن هناك أناســاً يخافون الإقدام على الجنس؛ لأنه "محطوط في مخهم من وهما صغيرين إنه حرام"، على حد قولها.

وأضافت أن "الجنس اختيار شخصي ليس له أي اعتبارات من الآخرين، وهذا حق لكل شخص يمارسه حسب فكره وحسب عقليته وعاداته وتقاليده".

وأضافت الدغيدي أن العلاقة الجنسية قبل الزواج، تكمن أهميتها في معرفة الأشخاص بعضهم البعض قبل الزواج، منوهة بوجود مشكلات كثيرة تظهر بعد الزواج من الناحية الجنسية، تتمثل في ظهور حالات عجز جنسي بين الشباب، الأمر الذي يؤدي إلى الطلاق.

بدا الرأي العام مصدومــاً من هذه التصريحات التي تدولتها وسائل الإعلام ومواقع إلكترونية.غير أن المخرجة السينمائية تراجعت عنها فيما بعد في حوار أجرته مع شريف عامر، في برنامج "يحدث في مصر"، في مايو 2015؛ حيث قالت إن تصريح "الجنس قبل الزواج حلال كان مجتزءاً من السياق"، مؤكدة أنها تعلم تمامــاً أن الجنس

قبل الزواج محرم في الأديان السماوية، وأنها تُعلّم ذلك لابنتها.

وتابعت: "لم أقل أن ممارسة الجنس قبل الزواج حلال.. أنا لست غبية، ولا كافرة، أنا أعلم ديني جيدًا".

واستطردت: "الجنس في كل الأديان خارج العلاقة الزوجية حرام وحدوثه خارج الزواج حلال. لبعض المشكلات رأي شخصي لي وليست دعوة لممارسة ذلك".

غير أنها قالت إن "العلاقة الجنسية قبل الزواج هي أشبه بالزواج، لأن بها إشهار وموافقة". وأضافت، أنها "عرضت رأيها الشخصي في الجنس في فيلم "مذكرات مراهقة"، عندما تزوج البطل من البطلة شفهيــاً بعبارة "زوَّجتك نفسي"، ثم أشهرا علاقتهما في الصحراء".

وذكرت أن "ممارسة الجنس قبل الزواج ربما تساعد في حل العديد من المشكلات التي تحدث بين الأزواج بعد زواجهما". وأكملت: "شرط الجواز في الإسلام هو الإشهار فقط، والأوراق هو ضمانة لحقوق المرأة وضعها القانون، ممكن أن تتنازل امرأة عن حقوقها وتقرر الزواج بدون أوراق، وهذا لا يمثل مشكلة".

الدغيدي صرحت كذلك بأنه قريبــاً سيتصالح المجتمع مع فكرة الشذوذ. وذكرت أن لديها أصدقاء كثيرين من "المثليين جنسيــاً"، مؤكدة أنها تحبهم وتحترمهم أكثر من الرجال الطبيعيين.

وأضافت، في حوار لها مع الإعلامي نيشان، في برنامج "ولا تحلم"، في يوليو 2014، إن أصدقاءها "المثليين" يختصونها بالكشف عن هويتهم الجنسية رغم أنهم يخفونها عن المجتمع؛ لأنهم يعلمون أنها ستتقبلهم.

بل إنها قالت، في لقاء مع عمرو أديب، في برنامج "القاهرة اليوم"، عام 2011، إن "المثليين جنسيـــًا موعودون بالغلمان في الجنة". كانت الكاتبة إقبال بركة قالت، خلال الحلقة، إن "الشذوذ الجنسي كان منتشرًا في زمن ما في الدولة الإسلامية، وموجود في الشعر العربي"، فردت عليها الدغيدي قائلة: "ووعدوهم في الجنة بالغلمان".

الدغيدي لا تعدم المؤيدين لها، الذين ينبهرون بقدرتها على كسر التابوهات الدينية والاجتماعية، فقد اختيرت في العام 2005 من قبل مجلة "نيوزويك" الأميركية من بين أهم 43 شخصـــًا يُحدثون تأثيرًا في العالم العربي، لتضم الجائزة الى الجوائز السينمائية التي نالتها، مثل جائزة العمل الأول من الجمعية المصرية لفن السينما العام 1985، وجائزة أفضل فيلم من مهرجان القاهرة السينمائي الدولي العام 2004 وجائزة أحسن إخراج من مهرجان الإسكندرية السينمائي الدولي الثالث عشر العام 1997 وجائزة أفضل فيلم من مهرجان القاهرة السينمائي الدولي العام 2001.

غير أن إيناس بآرائها الصادمة في الملف الديني ومظاهر السلوك الاجتماعي بقيت ظاهرة قائمة.. ولو إلى حين.

حُمَّى ميا خليفة!

الكل يبحث عن ميا!

محرك البحث غوغل انشغل بأخبار وصور ميا خليفة، أول لبنانية تُصنف باعتبارها نجمة أفلام جنسية في الولايات المتحدة.

إنها ميا خليفة، التي قررت يومـــًا الالتحاق بجامعة تكساس وتخصصت في الدراسة في قسم التاريخ.. غير أنه على ما يبدو انتهى بها الأمر في قسم الجغرافيا!

فتاة لا تزيد قامتها عن 158 سنتيمترًا ولا يتجاوز وزنها 55 كيلوغرامـــًا، أثارت عاصفة من الجدل الأخلاقي والديني في الشرق الأوسط اعتبارًا من مطلع العام 2015. جدل استمر مثل دوامات لا تنتهي.

"أليس هناك ما يشغل الشرق الأوسط إلى جانب قصتي، ماذا عن انتخاب رئيس لبناني أو مواجهة داعش؟!". هكذا ردت الصبية اللبنانية ميا خليفة في تغريدة عبر حسابها على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، مبدية استياءها من حملة الانتقادات التي طالتها عبر المواقع الإجتماعية.

غير أن هذا لا يعكس حقيقة استياء هذه الشابة من اهتمام العالم العربي بصورها وأفلامها العارية واحتلالها للمرتبة الأولى من حيث المشاهدة في موقع "بورن هب" pornhub الإباحي. فهي اختارت أفلام البورنو كي تتحول إلى نجمة وتصبح حديث الناس.

كانت ميا تعمل في أحد محال بيع شطائر البرغر حين سئلت من أحد الزبائن عما إذا كان مهتمة بتجربة عمل جديد يمكنها أن تجني منه مبالغ طائلة بفضل جمال جسدها ولون بشرتها.

هكذا انتقلت ميا خليفة من عالم الوجبات السريعة إلى الأفلام الإباحية.

بدأت الشركة المؤسسة لموقع "بورن هب" في تدريبها على التمثيل من قبل خبراء وممثلين محترفين، حتى تؤدي "أدوارها" مثل أي ممثلة في فيلم روائي. في الفترة الأخيرة، جمعت ميا بين عدة مهن وأنشطة، منها نجمة أفلام إباحية وجالبة حظ غير رسمية لفريق رياضي محلي في الولايات المتحدة، تشجعه وتروج له باستمرار.

في يناير 2015، أعادت ميا نشر تغريدة للموقع الإباحي الذي تعمل به يعلن فيها حلولها في المركز الأول، بعد أن كانت الأميركية ليزا آن (42 عامـــاً) حاملة اللقب. هذا "اللقب" لم يأت بسهولة، فميا قامت ببطولة نحو 500 فيلم وأخرجت أكثر من خمسين، حسبما ذكره الموقع الكندي الأصل.

هنا اندلعت حرب كونية في الفضاء الإكتروني عنوانها الأبرز: ميا خليفة.

في مصر مثلًا، وبمراجعة الكلمات المفتاحية للبحث على مؤشرات محرك البحث "غوغل"، كان اسم الشابة اللبنانية ميا خليفة في المركز الأول والثاني، وذلك بعد أن قرر المصريين البحث عن هوية تلك الفتاة، وحل الموقع الإباحي الذي تعمل لصالحه في المركز الرابع، فيما جاءت كلمة "المولد النبوي" في المركز السابع.

في يوم واحد، تصدر موقع "بورن هب" عمليات البحث في مصر، حيث بلغت أعداد البحث على الموقع فوق الخمسين ألف بحثـــاً بسبب فيديوهات ميا خليفة الجنسية.

بين عشية وضحاها، استطاعت ميا أن تتحول إلى حديث الناس، وأكثرهم يعرب عن استيائه ويلقي عليها وعلى الآخرين محاضرات بالعفة والشرف والتقاليد والدين، في تناقض مدهش مع حقيقة المعدلات المرتفعة لزيارات أفراد من العالم العربي للمواقع الإباحية.

ميا خليفة التي لم تكتب عنها الصحف اللبنانية من قبل، ولم تكن تتوفر معلومات عنها باللغة العربية، بدأت تشغل المتابعين على مواقع التواصل الاجتماعي في أواخر ديسمبر 2014، قبل أن تصبح حديث الجميع، سواء المهتمين بهذه النوعية من الأفلام، أو الراصدين لشيزوفرينيا المجتمعات العربية.

أصبحت هذه الفتاة شهيرة بعد تصدرها نتائج البحث وعبر المواقع الاجتماعية فيسبوك وتويتر وانستغرام، إثر نشرها على حسابها، الذي تجاوز عدد متابعيه في يناير 2015 أكثر من 55 ألف متابعٍ، صورة مثيرة لها مع خبر تصدرها سباق الأفلام الإباحية.

في خضم هذا كله، تلقت ميا، سلسلة من التهديدات التي لوّحت بقتلها، إلى جانب هجوم بعض الأشخاص عليها بوصفها بــ"القبيحة" و"المقززة"، فيما خرج آخرون ليلوحوا "بذبحها"، وآخرون بادروا الى نشر مجموعة من الصور المركبة التي تُظهِرها وهي مأخوذة كرهينة من جانب القاتل الداعشي الذي يُعرف بــ"الجهادي جون".

من أبرز الأشياء التي أثارت غضب كثيرين ممن سمعوا عن تلك الفتاة وعن كونها نجمة أفلام إباحية، هو ظهور مقطع مصور لها وهي تقوم ببعض الأفعال الجنسية وهي ترتدي الحجاب.

بشكل ساخر، كتب شخص يُدعى أمين على حسابه في موقع تويتر: "إنجاز جديد للبنان. الفنانة ميا خليفة تدخل لبنان إلى العالمية

من جديد". وكتب الكوميدي نمر أبو نصار في حسابه على موقع تويتر: "ميا نحن نحبك، أتمنى أن أصافحك يومـــًا ما"، في حين كتبت ندى "لا يمكن إلا أن نحترم ميا خليفة جراء صراحتها ووضوحها". وأبدى آخرون دعما أكثر تحفّظـــًا، حيث كتب فيليب أبو زيد على مدونته "لم تؤذ ميا خليفة أحدًا، هي حرة بجسدها، ولكننا أحرار بعدم اعتبارنا ما تقوم به "تحررًا" بل تعد سافر على الحرية". كما كتبت جوليانا يزبك في مقال نشره موقع "ناو ليبانون" أنه "لدينا الحرية لنقوم بما نشاء. لكن هذا يعني أيضـــًا أننا نملك حرية القتال بأدمغتنا، وليس بأعضائنا التناسلية فقط".

في مقابل التغريدات والتعليقات الداعمة لها، تعرضت ميا إلى هجوم وانتقاد لاذع من قبل آخرين. وكتبت هيام تعليقا على إحدى الصور التي تظهر فيها ميا بثياب داخلية بيضاء "أنت بلا شرف. أنت أداة للجنس فقط". وكتب زي في تغريدة: "اللبنانيون في بداية 2015 انقسموا إلى قسمين: قسم فخور بميا خليفة، وقسم فخور بالبغدادي خليفة"، في إشارة إلى زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي الذي أعلن نفسه "خليفة" للمسلمين. كما كتب منير بدوره "مليون خليفة مثل ميا ولا خليفة مثل البغدادي".

وغالبـــًا ما تنشغل مواقع التواصل الاجتماعي في لبنان، الذي يواجه فراغًا رئاسيًا منذ صيف 2014 وتحديًا أمنيًا واقتصاديًا

واجتماعيًا بسبب الأزمة في سوريا المجاورة، بقضايا مماثلة لقضية ميا. ففي بداية 2014، أحدثت صور للمتزلجة اللبنانية جاكي شمعون ظهرت فيها عارية الصدر ونشرت لدى مشاركتها في الألعاب الاولمبية الشتوية في مدينة سوتشي الروسية رغم أنها التقطت قبل نحو ثلاثة أعوام، بلبلة تواصلت على مدار أسابيع. كما أن زواج المحامية اللبنانية البريطانية أمل علم الدين من الممثل الأميركي الشهير جورج كلوني في شهر سبتمبر تحول إلى مادة دسمة انشغل بها اللبنانيون لبضعة أشهر.

لم ينحصر الجدل حول ميا بمواقع التواصل الاجتماعي، بل تعداها إلى وسائل إعلام محلية وأجنبية، نشرت عنها تقارير مكتوبة ومصورة، وبينها تقرير لقناة "الجديد" اللبنانية ذكرت فيه أن "الخبر شكل مادة تفاعلية جديدة على الصفحات الافتراضية كون ميا أول لبنانية تفاخر بامتهانها هذا العمل علنـــاً".

ميا، في كل الأحوال، ليست العربية الأولى ولا الأخيرة التي تمتهن هذا المجال، لكنها الأولى التي تجاهر به عبر مقاطع فيديو انتشرت في المواقع الإباحية، ولولا أن ميا نفسها اختارت نشر صورها على موقعَي فيسبوك وانستغرام لما كان قد انتبه إليها أحد.

تعيش الفتاة اللبنانية الأصل في مدينة ميامي بولاية فلوريدا الأميركية، التي تشتهر بوجود عدد كبير من صناع "البورنو" وممثليه،

وربما يفسر هذا جزءًا من شهرتها المفاجئة، لكنه بالطبع ليس السبب الوحيد، وفقـًا للموقع الكندي؛ لأنها تمتلك خفة ظل كما يصفها متابعوها، مع إجادتها لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، فهي حاضرة بشكل قوي على "تويتر"، وترد بنفسها على كثير من متابعيها، ولها حضور بارز على موقع لقطات الفيديو القصيرة Vine، المملوك لشركة تويتر، وبالطبع لها حسابها الشخصي على انستغرام وفيسبوك، ناهيك عن سنها الصغير.

سببٌ آخر قد يكون ساهم في الصعود المفاجئ لـــ"ميا" يتعلق بزيادة الاهتمام العالمي بـــ"البورنو" الشرق الأوسطي أخيرًا، حسبما رصدته وسائل إعلام غربية، وهو يظهر في اتجاهات البحث الآتية من المنطقة، والتي تعد الأكبر عالميـــًا مقارنة بنسبة الدخول على الإنترنت.

من ناحية أخرى، فإن الكثير من مواقع "البورنو" الشهيرة ومواقع الجنس المباشر، أصبحت تنتج أفلامـــًا متطرفة لإرضاء هذا الطلب القادم من منطقة الشرق الأوسط، عن طريق إنتاج أفلام يرتدي أبطالها ملابس على الطراز العربي أو الايراني، ومن بينها الحجاب.

وعلى موقع "تويتر" سأل أحد المتابعين "ميا خليفة" عن كون تأديتها لأفلام بورنو وهي ترتدي الحجاب أمرًا غير أخلاقي بالمرة، فكان ردها أنها كانت فكرة الشركة المنتجة وليست فكرتها، مبررة

ذلك: "سيناريو الفيلم كان يتطلب هذا". وأضافت. "أنا أصلًا غير مسلمة".

ورغم ذلك فإن "ميا" تعتز بأصولها العربية، وخصوصـــًا اللبنانية، فكثير من أفلامها وصورها على مواقع التواصل الاجتماعي تظهر فيها وهي تضع أكثر من وشم باللغة العربية، أشهرها الوشم الذي يحتوي على عبارة مثل "كلّنا للوطن للعلى للعلم"، وهي الجملة الأشهر في النشيد الوطني اللبناني، كما أنها تضع على رسغها وشم الصليب، شعار حزب "القوات اللبنانية".

عائلة ميا أعربت عن أسفها وانتقدت فكرة أن "تتباهى المدعوة ميا بتصرفاتها اللاأخلاقية". وقالت: "هي من مواليد 10 فبراير 1993 وانتقلت مع العائلة عام 2000 إلى الولايات المتحدة، وغادرت المنزل عندما بلغت 18 سنة كما هو رائج في الغرب. وتزوجت في فبراير 2011 من مواطن أميركي وتعيش معه في ولاية فلوريدا. وانقطعت علاقتها مع العائلة منذ ذاك التاريخ".

وتابعت، في بيان: "إننا ربما ندفع ضريبة الاغتراب والبعد من الوطن، حيث أولادنا يندمجون في المجتمعات التي لا تشبه بيئتنا وتقاليدنا وعاداتنا؛ لذا نشدد على أننا براء من تصرفتها التي لا تعكس لا إيمان عائلتها ولا تربيتها وجذورها اللبنانية الأصيلة، ونتمنى أن تعود عن ضالتها عودة "الابن الشاطر"، فصورها لا تشرف لا عائلتها

لصغيرة ولا موطنها الأم لبنان".

قصة صعود "ميا خليفة" على قمة مشاهير واحدة من أشهر أنواع التجارة غير المشروعة في العالم، تفتح الباب أمام حجم التمثيل العربي في صناعة "البورنو" الغربية، فهناك عددٌ لا يستهان به من ذوي الأصول العربية في هذه الصناعة الضخمة، بجانب محاولات مصرية وعربية لإنتاج "بورنو" احترافي في فترات سابقة في التسعينيات وأوائل الألفية الجديدة.

بغض النظر عن الحضور العربي في هذه الصناعة كممثلين، فإن العرب حاضرون بالمكان؛ إذ يوجد عدد كبير من أفلام "البورنو" التي تم تصويرها في المنطقة العربية، ومنها مصر، وخصوصـــًا في منطقة الأهرامات وساحل البحر الأحمر.

هناك على سبيل المثال كيمبرلي كيندال، وهي ممثلة ومنتجة بورنو أميركية، ولدت يوم 28 مايو 1993 في مدينة ميلووكي بولاية وسكونسن، واسمها الحقيقي إيڤانا ڤويتون، وتقول إن أسرتها من أصول مصرية وأرمينية.

تضم القائمة حفيظة الكبشي المعروفة في هذا المجال باسم "ياسمين لافيت"، وهي فتاة مغربية الأصل، من مواليد 1 أكتوبر 1973 في طاهر سوق بالمغرب. انتقلت مع أسرتها إلى فرنسا حين كان عمرها لا يتجاوز 5 أشهر، وترعرعت في إحدى ضواحي ليون.

عملت ياسمين كعارضة أزياء لدى بعض المجلات الإباحية لتغطية نفقاتها الشهرية. كما امتهنت الرقص الشرقي قبل أن تلتحق رسميـــاً بالعمل لدى شركات إنتاج الأفلام الإباحية عام 2004 . امتد مشوارها في هذا المجال إلى خمس سنوات، شاركت خلالها في أكثر من عشرين فيلمـــاً وفازت بالعديد من الجوائز. في عام 2009 ، أعلنت اعتزالها العمل كممثلة إباحية. ياسمين متزوجة من الممثل ومنتج الأفلام الإباحية ألكسندر ليغلاند، واسمه الحقيقي أوليفييه لافيت، ولها منه ولدان.

دليلة، فتاة مغربية الأصل، من الدار البيضاء، سافرت إلى فرنسا عام 1990 وهي في سن الحادية والعشرين لاستكمال دراساتها العليا في تخصص الجغرافيا. سرعان ما دخلت مجال الأفلام الإباحية لتغطية نفقاتها الشهرية. لتعرف شهرة كبيرة بفضل جسدها ذي المواصفات الشرقية المثالية.

انقطعت ممثلة الأفلام الإباحية الإيطالية ذات الأصول العربية، أنيسة كايت، عن الدراسة سنة 2011. فقد كانت تعتبر أن الدروس التي تتلقاها آنذاك، في تخصص الاقتصاد، مملة بعض الشيء. في محاولة منها الهروب من الروتين اليومي، التحقت أنيسة كايت ببعض الأندية الخليعة الموجودة في مدينة ليون الفرنسية. امتهنت التمثيل الإباحي بعد إعجابها بجيسي فولت، إحدى ابرز نجمات الأفلام الإباحية في

العالم.

وسعيـــًا لشهرة مماثلة، سارت الممثلة الإباحية ديانا جهاد أيوب، التي زعمت أنها من أصول أردنية. وتُلقب ديانا بـــ"أليه جوردان"، وهي تعمل في الشركة نفسها التي تتعامل مع ميا خليفة، وقد قوبلت باستنكار وانتقادات شديدة في الأردن.

وهي نفس التهديدات الغاضبة التي تلقاها شريف طلياني، أول ممثل مصري يعمل في أفلام الجنس، وشهرته "صايع غرب"، وهو يعرض على حسابه الشخصي صورًا إباحية له وهو يمارس الجنس مع عشرات الفتيات. شريف أبو العينين، أو "شريف طلياني"، فاجأ الجميع ونشر صورته شبه عارٍ يمارس الجنس مع فتاة أجنبية، وكتب مُعرفـــًا نفسه: "صورتي وأنا في الشغل في عرض "بورنو لايف 2".. بشتغل ممثل بورنو في إيطاليا.. شغل ممثل البورنو مش عيب".

شريف ليس فقط ممثلًا في الأفلام الإباحية، ولكنه يروج لنفسه بوصفه ملحدًا، كما يتهكم باستمرار على المؤمنين بوجود الإله، وكتب على صفحته ذات مرة: "هم المؤمنين والمتدينين دول إيمانهم وتدينهم ضعيف لدرجة أنهم مش قادرين يشوفوا ممثل بورنو مبتدئ في إيطاليا من أصل مصري.. انشفوا واستحملوا"، وهو أيضًا من مؤيدي محمد إسماعيل، أحد أشهر الملحدين في مصر، ومقدم أحد البرامج على موقع "يوتيوب".

ويقدم طلياني برنامجـــًا على الموقع ذاته، وبنفس منهج ميا وديانا يتهكم فيه على سلوكيات الشعب المصري، ويدعو خلاله إلى الحرية المطلقة والإلحاد.

دخل شريف عالم "البورنو" ليس بسبب ظروفه المادية وليس بسبب حبه للمهنة بشكل أساسي، ولكن الحب كان دافعه لدخول الصناعة التي تساهم بأكثر من 20 مليار دولار سنويـــًا في الاقتصاد العالمي، فبعد أن تركته حبيبته المصرية قرر أن يغادر القاهرة ويتجه للعمل كموديل في إيطاليا، وظهر في عروض مع رئيس الوزراء الإيطالي، وأخيرًا بدأ طريقه نحو صناعة "البورنو"، ليصبح –في حدود علمنا– أول ممثل مصري محترف لأفلام الجنس في أوروبا.

لشريف قصتا حب في مصر على حد قوله، الأولى أسماها "فتاة الأقمار السوداء"، والثانية كانت بعنوان "فتاة كأس النار"، فبعدما رفضته هي الأخرى قرر أن ينطلق ويثبت لها أنه مرغوب من الجميع، فبدأ ينشر صورًا له وفيديوهات تعبر عن مدى الحرية والانطلاق في حياته ومنها فيديو بعنوان "قبلات مسروقة في روما".

ويدعي طلياني أنه دخل هذا العالم بسبب أزمة عاطفية، عندما رفضت حبيبته المصرية الزواج منه، فقرر أن ينتقم منها على طريقته فسافر إلى إيطاليا ودخل عالم البورنو، وكتب لها: "إنتي رفضتيني ودلوقتي أجمل وأشهر فنانات العالم عايزاني".

أما ميا خليفة فقد وضعت صورًا على الإنترنت تحتفل مع أصدقاء لها في نادٍ ليلي إسرائيلي في تل أبيب بمناسبة عيد ميلادها في فبراير 2016، وكانت برفقة صديقها ديفيد الإسرائيلي الجنسية، الذي سرَّب إلى الإعلام الغربي فيديو ترقص فيه ميا خليفة بطريقة إيحاء جنسي وهي شبه عارية مع أصدقائها في ملهى ليلي إسرائيلي. كما أعلنت صحيفة "واشنطن بوست" انفصال ميا عن زوجها اليهودي الذي أدخلها المجال واتخاذ مدير أعمالها عشيقــًا لها.

وتصرح ميا خليفة في موقعها قائلة: "مهمتي في هذا الموقع بسيطة، هي تجربة كل شيء، وأريد الفتيات الأخريات اللاتي يشعرن بأنهن مكبوتات جنسيــًا أن يعرفن أنهن بخير للخروج من هذه الحالة ولو بطريقة وقحة. سوف أمارس الجنس وأجري لقاءات مع جميع الإناث. وسأكون منفتحة على القيام بذلك مع الذي يحتاج حقــًا مساعدة. وفي يوم عظيم أحببت إقامة علاقة جنسية مع ثلاثة رجال، وطلبت ممارسة الجنس معهم؛ لذلك قلت لهم الحقيقة ولم أكذب، وكانت النظرة على وجوههم لا تقدر بثمن".

الأكثر لفتــًا للانتباه أن ظاهرة أو حُمّى ميا خليفة، وصلت إلى إسرائيل.

فقد نشرت الكاتبة الإسرائيلية هداس هروش مقالًا ردًا على الحملة التي استهدفت بطلة أفلام البورنو ميا خليفة، جاء فيه:

"منذ عدة أيام، لا يتوقف العالم العربي عن الغضب بخصوص ممثّلة الإباحية من أصول لبنانية، ميا خليفة. كان السبب الرئيس للانشغال بها، خصوصـًا كونها نجمة الإباحية الأكثر شهرة في العالم العربي، هو اختيارها لتكون نجمة في فيلم إباحي وهي ترتدي الحجاب. الدمج بين رمز إسلامي واضح جدًا، مما اعتُبر ذروة اللعنة.

"ولكن، تطرح هذه القضية العديد من التساؤلات. إلى جانب صرخات الـ"حرام"، من الواضح أنّ الحديث عن خليفة أصبح شائعا جدا لكونها ممثّلة إباحية، بخلاف صورها الإباحية المكشوفة التي تظهر في كل مكان في الشبكة. أصبحت كلمات "ميا خليفة" على مدى عدة أيام أكثر كلمات يتم البحث عنها في غوغل في غالبية الدول العربية، ومن المرجّح أن الناس لم يبحثوا عن المقالات فحسب.. أحد الأدلة على ذلك هو أنّه بعد كلمات "ميا خليفة" بشكل مباشر كان البحث التالي في القائمة هو موقع "بورن هب"، وهو أحد مواقع الإباحية الأكثر شهرة في العالم. أي أن الاهتمام بميا خليفة نابع من البحث عن الإباحية.

وتمضي الكاتبة الإسرائيلية قائلة: "ويوجد لذلك مرجعية من الإثباتات. تُظهر العديد من الدراسات، بالإضافة إلى إحصاءات التصفّح البسيطة، أنّ استهلاك الإباحية في العالم الإسلامي هو من الأكبر في العالم. على سبيل المثال، وفقـًا لما نشرته غوغل، من بين

10 دول في العالم كان فيها أكثر نسبة عمليات بحث مرتبطة بالجنس، فإنّ 6 منها كانت دولًا إسلامية، حيث تقع باكستان في المركز الأول، ومصر في المركز الثاني. ويأتي بعدها أيضًا إيران (المركز 4)، المغرب (5)، السعودية (7) وتركيا (8).

"بالإضافة إلى ذلك، كانت اللغة التي بحث فيها أكبر عدد من الأشخاص عن كلمة "سكسي" هي العربية. يُظهر بحث صغير في موقع تصنيف المواقع، "أليكسا"، أنّه من بين أكثر 50 موقعــًا مشهورًا في مصر، هناك 3 مواقع إباحية، وهكذا أيضًا في الأردن. وذلك أيضــًا دون تضمين الدخول إلى مواقع كهذه من خلال نوافذ "التصفّح المتخفّي" التي لا يمكن تعقّبها.

"لماذا، إذا كان الأمر كذلك، هناك فجوة كبيرة جدًا؟ لماذا في الدول الإسلامية بالذات هناك الكثير من المعارضة للإباحية على أساس أنها "خطيئة ورجس"، ومن جهة أخرى فإنّ استهلاك الإباحية فيها هو من بين أعلى المعدّلات عالميــًا؟ هل هو نفاق؟

"أول تفسير يقفز إلى الذهن مباشرة هو أنّ الحظر تحديدًا هو الذي يزيد من الفضول. إنه قانون بسيط يعمل على كلّ طفل: المحظور هو الأكثر رغبة. ولأنّ تلك الدول تحظر مواقع الإباحية وتحجبها، يتزايد الفضول والبحث عنها. لأنّ موضوع الجنس هو أحد "المحظورات" ولا يتم الحديث عنه، فإنّ الفضول إزاءه يتزايد، بحيث إنّ المزيد

والمزيد من الأشخاص يبحثون عن معلومات عن الجنس في الإنترنت.

في تفسير الظاهرة تقول هداس هروش: "ولكن في نظري هناك تفسير أكثر عمقـًا. من وجهة نظري ليس هناك في الحقيقة تناقض بين تلك المعارضة العلنية للإباحية، وبين الاستهلاك المتزايد لها في العالم الإسلامي. من وجهة نظري أنهما وجهان لعملة واحدة؛ اضطهاد المرأة وتشييؤها، النظر إلى المرأة كـ"ممتلكات" تخصّ الرجل، وأداة في يديه يفعل بها ما يشاء، وفقـًا لما تمليه الثقافة العربية والإسلامية منذ مئات السنين. قضية ميا خليفة توضّح ذلك جيّدًا. من جهة؛ كان هناك من صاح من فوق أسطح المنازل بأنّها كافرة، وأنّه يجب قتلها وقطع رأسها، كما لو أنهم يعرفون ما هو الجيّد لها، وكان هناك من بحث ببساطة عن صورها العارية والأفلام الإباحية من بطولتها، بالتالي، من أجل تلبية احتياجاتهم الخاصة".

قضية شائكة، بين تسليع المرأة في مصر والعالم العربي، وتقييدها.. بين الاتجار في جسدها واستباحتها، وحرمانها من حقوقها وحرياتها الأساسية. وفي كل الأحوال، فإن جرائم ما ترتكب، وأوضاعـًا مختلة تتشكل، وارتباكـًا ما يحصل، من دون أن يتأنى أحدهم ويدرس أسباب ظهور ميا خليفة وأخواتها في تجارة الجسد، التي يعد العرب أبرز زبائنها ومستهلكيها في العالم والواقع الافتراضي على حدٍ سواء.

سيرة موجزة

ياسر ثابت، صحفي مصري، من مواليد ألمانيا عام 1964.

حاصل على درجة الدكتوراه في الصحافة عام 2000.

عمل مديرًا للأخبار في قناة «سكاي نيوز عربية»، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة (2011)، ومنتجـــًا أول للأخبار في قناة «الجزيرة» في قطر (2002)، ورئيســـًا لتحرير غرفة الأخبار في قناة «الحرة» في الولايات المتحدة (2007)، ورئيســـًا للتحرير في قناة «العربية» في دبي، الإمارات العربية المتحدة (2007).

له مؤلفاتٌ عدة، بينها:

«باشوات وأوباش: التاريخ السري للفساد» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2016)

«خنجر في المرآة: نصوص ووجوه منسيـــّة» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«جمرتان: تمارين على النسيان» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«الموت على الطريقة المصرية» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«حرائق التفكير والتكفير» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«العصا والمطرقة: صراع السلطة والقضاء» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«صديق الرئيس: حكام مصر السريون» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«دين مصر: أمراء الدم والفيديو» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«وطن محللك سر» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«المتلاعبون بالعقول: سقطات الإعلام في مصر» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«حروب الهوانم» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«مصر قبل المونتاج» (دار دلتا، القاهرة 2015)

«حكام مصر من الملكية إلى السيسي» (دار الحياة، القاهرة 2014)

«غرفة خلع الملابس: وجوه وقياسات» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«أجمل القتلة» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«ذنب» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«الصراع على مصر: ذئاب مبارك والعهد الجديد» (دار كنوز،

القاهرة 2014)

«أيامنا المنسيّـــة» (منشورات ضفاف، بيروت/ منشورات الاختلاف، الجزائر 2014)

«تحت معطف الغرام» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«مراودة» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«زمن العائلة: صفقات المال والإخوان والسلطة» (دار ميريت، القاهرة 2014)

«صناعة الطاغية: سقوط النخب وبذور الاستبداد» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«رئيس الفرص الضائعة: مرسي بين مصر والجماعة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«حروب العشيرة: مرسي في شهور الريبة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«دولة الألتراس: أسفار الثورة والمذبحة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«محاكمة الرئيس: البحث عن القانون الغائب» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«شهقة اليائسين: الانتحار في [illegible]ربي» (دار التنوير، القاهرة 2013)

«فصة الثروة في مصر» (دار ميريت، القاهرة 2012)، (طبعة ثانية، مكتبة الأسرة، القاهرة 2013)

«هيا بنا نلعب: عن الأوطان والأوثان» (دار اكتب، القاهرة 2012)

«فضة الدهشة: تغريد على غصن تويتر» (دار العين، القاهرة 2012)

«لحظات تويتر: ألف تغريدة وتغريدة» (دار العين، القاهرة 2011)

«جرائم بالحبر السري» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2010)

«حروب كرة القدم» (دار العين، القاهرة 2010)

«فتوات وأفندية» (دار صفصافة، القاهرة 2010)

«فيلم مصري طويل» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2010)

«كتاب الرغبة» (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010)

«جرائم العاطفة في مصر النازفة» (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2009)

«يوميات ساحر متقاعد» (دار العين، القاهرة 2009)

«قبل الطوفان: التاريخ الضائع للمحروسة في مدونة مصرية» (كتاب «ميزان»، القاهرة 2008)، (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة 2013)

«جمهورية الفوضى: قصة انحسار الوطن، وانكسار المواطن» (كتاب «ميزان»، القاهرة 2008)، (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة 2013)

«ذاكرة القرن العشرين» (مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 2001)

«موسوعة كأس العالم» (مدبولي الصغير، القاهرة 1994).

الفهرس